مُخْتَصَر

مَشارع الأشوَاق إلى مَصارع العُشاق
ومُثير الغرَام إلى دار السَّلام

في الجهَاد وفضَائله

تأليف

الإمامِ أبي زكريَّا أحمَدَ بنِ إبراهيمَ بنِ محمَّدٍ الدِّمَشقيِّ ثمَّ الدُّمياطِيِّ
المشهور بابنِ النَّحَّاسِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العَالمين ، الحمدُ للهِ حمدًا يُوافي نِعَمَه ، وَيَدفعُ نِقَمَه ، ويُكافِئُ مَزيدَه ، سُبحانك اللَّهُمَّ لا نُحصِي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك ، وأشهَدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه ، صدَق وعدَه ، ونصَرَ عبدَه ، وأعزَّ جندَه ، وهزَم الأحزابَ وحدَه ، لا شيءَ قبلَه ولا شيءَ بعدَه ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُ اللهِ ورسولُه ، وصفيُّه وخليلُه ، بلَّغَ الرسالةَ ، وأدَّى الأمانةَ ، ونصَح الأمَّةَ ، وجاهَد في اللهِ حقَّ جهادِه حتى أتاهُ اليَقين ، صلَّى اللهُ وسَلَّم علَيه ، وزادَه فَضلًا وشَرَفًا لدَيه .

وبعد : فإن كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق للشيخ الإمام أبي زكريا أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي المشهور بابن النحاس من أفضل الكتب وأنفعها كيف لا وهو يتحدث عن أعظم الفرائض وأرفعها بل اختار بعض أئمتنا الشافعية أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى للأحاديث الصحيحة المصرحة بذلك وحملها جمهورهم على خصوص السائل أو المخاطب أو الزمن وعليه فيلتقي القولان في هذا الزمن فيكون هو الأفضل بعد الإيمان بالله تعالى نسأل الله تعالى أن يستعملنا لطاعته وللجهاد في سبيله ولقتال وقتل الكافرين والختمَ لنا بالشهادة قال ربنا عز وجل (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ، وربنا عز وجل يقول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي اقتداء به في القتال والثبات في المواطن كما قال الجلال المحلي فلما رأيتُ حجمَه قد كَبِرَ وخصوصا بكثرة التعليقات والهوامش التي أخرجت الكتاب عن مقصوده همَمتُ باختصاره وتجريده عن ذلك ولكن علمتُ من نفسي العجز وعلمتُ أن ذلك يحتاج إلى أهل علم صادقين أمثالِ المؤلف الذين جاهدوا في سبيل الله تعالى فبحثتُ لعلي أجدُ مختصَرا له يسهُل حمله وقراءته وإقراؤه فوجدت ذلك بحمد الله تعالى وهو اختصارٌ للمؤلف نفسِه رحمه الله تعالى وكان بعناية بعض الإخوة المجاهدين وفقهم الله تعالى وقد اعتنوا به قدر طاقتهم وزادوا عليه تعليقاتٍ وهوامشَ وحكايا المجاهدين التي زادَت حجمَ الكتاب كثيرا ولعل ذلك أيضا أخرج المختصَر عن المقصود فأحببتُ أن أجردَ المختصَر من تلك التعليقات وإن كان فيها خيرا كثيرا ولكن لما أسلفتُ من أننا نريد سهولة حمله وقراءته وإقرائه وتم ذلك بحمد الله تعالى وتوفيقه ولكن بقي في النفس شيء وهو أنه لا بد من مراجعة المخطوط فهناك أخطاء كثيرة في النص قد استدركتُ ما استطعتُ استدراكه ولم أتمكن من مراجعة ذلك كله لفقد المخطوط ولما يحتاج إلى وقت طويل أفقده في هذه الأيام وشرحتُ مختصِرا بعضَ الكلمات في النص وجعلتها بين هاتين [ ] وأرجو أن يتقبل الله سبحانه وتعالى هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يعيذنا ووالدينا ومشايخَنا وأهلَنا وأحبائَنا به من نار الجحيم ، وأختم كلامي بدعاء للمؤلف عليه سحائب الرحمة والرضوان رجاء أن يستجاب لنا ، قال : اللهم إليك يا من بيده أزِمَّة القلوب ترغَبُ في إثباتِها ، وعليكَ يا علامَ الغيوبِ نعتمدُ في تصحيح قصدِها وإخلاصِ نياتها ، وإلى غناكَ نمدُّ أيدِي الفاقةِ أن ترزقنا شَهادةً ترضاها ، وأن تُنيلَ نفوسَنا من ثباتِ الأقدامِ في سبيلكَ مُناها ، فالحِرَاكُ والسُّكون إليك ، والمعَوَّلُ في كلِّ خيرٍ عليك ، وأنت على كلِّ شيء قدير .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون

والحمد لله رب العالمين

كتبه

عدي بن محمد

مقدمة المؤلف

الحمد لله معلي كلمتِه بسيوف أولي الجهاد ، ومولي نعمتِه بصنوف أهل الاجتهاد ، ومنزلِ نقمتِه بذوي الشقاء والعناد ، ومسدلِ رحمتِه على الشهداء السعداء من العباد ، والصلاةُ والسلام على من شدَّ الله ببيانه أطنابَ [الحبال] الإيمان ، وردَّ بسِنانه أحزابَ الشيطان ، وأذهب بأنواره ظُلَمَ الشرك والطغيان ، وأرهبَ بأسراره أُمَمَ الإفك والبُهتان ، وعلى آله لُيوثِ السُّرى ، وغُيوثِ القُرَى ، وأصحابهِ نجومِ الإقتدا ، وشموسِ الإهتدا ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً دائماً أبداً .

أما بعدُ :

فلمَّا مَنَّ اللهُ سبحانه وتعالى بإتمام الكتاب الذي ألَّفتُه في فضل الجهاد – الموسومِ : بمشارع الأشواقِ إلى مصارعِ العشاق : المؤلَّفِ من كتاب الجهاد لابن المبارك ، ومصنَّفِ أبي بكر ابن أبي شيبةَ ، والصحيحين ، والسنن الأربع ، وصحيح أبي عوانة ، ومصنف عبد الرزاق ، والسنن لسعيد بن منصور ، ومسند أحمد ، ومسند أبي يعلى الموصلي ، ومسند البزار ، والمعاجم للطبراني ، وصحيح ابن حِبَّانَ ، ومستدرَك الحاكم ، والسنن الكبرى للبيهقي ، وشُعَب الإيمان له أيضاً ، وغيرِ ذلك من الكتب المذكورةِ في الأصل – عَنَّ لي أن أختصره في أقلَّ من نصف حجمهِ ، ليسهُلَ تناوُلُه على الأكثرين ، ويعمَّ نفعُه المكثرين والمقترين ، فشرعتُ في ذلك مستعيناً بالله ، ومفوِّضاً إليه ، ومستغيثاً به ، ومتوكلاً عليه .

ورتبتُه على سبعةٍ وعشرين باباً وخاتمةٍ :

الباب الأول : في الأمر بجهاد الكفار ووجوبه ، وإثمِ من ترَكَه وأعرَض عنه مع القدرة عليه .

الباب الثاني : في فضل الجهاد والمجاهدين .

الباب الثالث : في ما جاء في فضل الجهاد على الحج .

الباب الرابع : في التحريض على الجهاد وفضله .

الباب الخامس : في فضل السبق إلى الجهاد والمبادرة إليه .

الباب السادس : في فضل الغزو والرواح في سبيل الله تعالى .

الباب السابع : في فضل المشي والغبار في سبيل الله تعالى .

الباب الثامن : في فضل الغزو في البحر على الغزو في البر ، وفضلِ النظر في البحر ، والتكبيرِ في سبيل الله تعالى .

الباب التاسع : في فضل النفقة في سبيل الله تعالى .

الباب العاشر : في فضل تجهيز الغزاة وخَلْفِهم في أهلهم .

الباب الحادي عشر : في فضل إعانة المجاهدين وإمدادهم بالعُدة وغيرها ، وإطعامِهم وخدمتهم وتشييعهم ووداعهم وغير ذلك .

الباب الثاني عشر : في فضل الخيل واحتباسها بنية الجهاد في سبيل الله تعالى ، وفضلِ الإنفاق عليها .

الباب الثالث عشر : في فضل خدمة الخيل وإكرامها والتعليق عليها ، وذكرِ ما يحمد منها وما يذم ، والنهيِ عن قص نواصيها وأذنابها .

الباب الرابع عشر : في فضل عمل المجاهد والمرابط من الصوم والصلاة والذكر ونحو ذلك .

الباب الخامس عشر : في فضل الرباط في سبيل الله تعالى .

الباب السادس عشر : في فضل الحراسة في سبيل الله تعالى والخوف فيه .

الباب السابع عشر : في فضل الصف في سبيل الله تعالى والقيام فيه .

الباب الثامن عشر : في فضل الرمي في سبيل الله تعالى وبيانِ إثم من تعلمه ثم تركه .

الباب التاسع عشر : في فضل سيوف المجاهدين ورماحهم وعُدتهم .

الباب العشرون : في فضل الجرح في سبيل الله تعالى وذكر بعض الجرحى .

الباب الحادي والعشرون : في فضل انغماس الرجل الشجيع أو الجماعة القليلة في العدو الكثير رغبةً في الشهادة ونكايةً في العدو ، وفضلِ من قَتَلَ كافراً في سبيل الله تعالى .

الباب الثاني والعشرون : في تغليظ الإثم في الفرار من الزحف .

الباب الثالث والعشرون : في بيان أن الأجر في الجهاد لا يحصل إلا بالنية الصالحة ، وتفصيلِ أنواع النيات .

الباب الرابع والعشرون : في بيان أن من خرج غازياً في سبيل الله تعالى فمات من غير قتال فهو شهيد وله الجنة ، وفضلِ من صَدَعَ رأسُه في سبيل الله تعالى أو مرض .

الباب الخامس والعشرون : في الترغيب في سؤال الشهادة والحرص عليها ، وذكر بعض من تعرض لها فأناله الله إياها .

الباب السادس والعشرون : في فضل الشهيد المقتول في سبيل الله تعالى .

الباب السابع والعشرون : في بيان تحريم الغلول وتغليظِ الإثم فيه ، والدليلِ على أن من غل في سبيل الله تعالى ثم قُتل لا يكون شهيدا .

الخاتمة : تشتمل على فصول .

واللهُ المسؤول في نجاح النية ، وصلاحُ الطوية ، والمأمولُ في نيل الأمنيَّة ، قبل نزول المنيَّة ، وهو حَسْبُ من أمَّ بالِافتقار بابَ جُودِه وغِناه ، وعَمَّ بالاضطرار جميعَ وُجوده فأغناه ، ولجأ في جميع أمره إلى حِماه فحَمَاه ، ورضِي في عُسره ويسره بما قضاه فكفاه ، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً .

الباب الأول

في الأمر بجهاد الكفار ووجوبه وإثمِ من تركه وأعرض عنه مع القدرة عليه

قال الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ والآيات في الأمر بجهاد الكفار كثيرة .

١ – وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً ، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم براً كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر) .

٢ – وروى أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : (ثلاث من أصل الإيمان : الكفُّ عمَّن قال لا إله الا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمَل ، والجهادُ ماضٍ منذ بعثني الله عز وجل إلى أن يقاتل آخرُ أمتي الدجالَ لا يُبطله جَورُ جائر ولا عَدلُ عادل ، والإيمانُ بالأقدار) .

٣ – وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) . رواه أبو داوود والنسائي والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . والأحاديث الدالة على وجوب الجهاد كثيرة جداً . وقد أجمع العلماء على أن جهاد الكفار في بلادهم فرض كفاية ، وقال بعضهم : هو فرض عين . وقد ذكرت في الأصل جملةً من الأحكام المتعلقة بذلك .

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه أقام عن الجهاد عاماً واحداً فقرأ هذه الآية : ﴿ انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾ فغزا من عامه وقال : ما رأيت في هذه الآية من رخصة .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : قرا أبو طلحة رضي الله عنه هذه الآية : ﴿ انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾ قال : أمرنا الله واستنفرنا شيوخاً وشباناً ، جهزوني . فقال بنوه : يرحمك الله قد غزوت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فنحن نغزوا عنك ، فغزا البحر فمات ، فطلبوا جزيرة يدفنوه فلم يقدروا عليها إلا بعد سبعة أيام وما تغير . خرَّجه ابن المبارك والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

وقال أبو صالح : ﴿ انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾ قال : الشيخ والشاب . قال قتادة : نِشَاطاً وغيرَ نِشَاط . وقال الحكم : مشاغيلَ وغيرَ مشاغيل . قال الإمام القرطبي في تفسيره : والصحيح في معنى الآية أن الناس أمروا جملة أن ينفروا خفت عليهم الحركة أو ثقلت . انتهى .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كتب عليكم ثلاثة أسفار : الحج والعمرة والجهاد . رواه عبد الرزاق في مصنفه .

ومثل هذه الأقوال المصرحة بوجوب الجهاد عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم كثيرة جداً ، وفي هذا كفاية .

فصل

وقد أكد الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الوعيدَ لمن ترك الجهاد وأعرض عنه بما في بعضه كفايةٌ وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ففي هذه الآية من التهديد والتخويف لمن ترك الجهاد رغبةً عنه وسكوناً إلى ما هو فيه من الأهل والمال ما في بعضه كفاية لمن وفقه الله تعالى ، وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ فوبَّخ اللهُ سبحانه وتعالى بهذه الآية من اثَّاقل إلى النعيم الزائل رغبة عن الجهاد ورضى بالحياة الدنيا بما يقطع نياط قلوب الخائفين ويزعج همم المتقين ، وأبان لهم أن ما رضوا به وسكنوا إليه قليل بالنسبة إلى ما أعرضوا عنه من الثواب الجزيل والنعيم المقيم ، ثم أردف سبحانه ذلك بوعيده الشديد فقال : ﴿ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

٤ – وخرَّج أبو داود بإسنادٍ حسن عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا تبايعتم بالعِينَةِ ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلَّط اللهُ عليكم ذلّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) . وفي هذا الحديث بيانُ أنَّ تركَ الجهاد والإعراضَ عنه خروجٌ من الدين . العينة بكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة تحتُ وبعدهما نون وهاء تأنيث : هو أن يقول الرجل اشتر مني هذه السلعة بمائة وخمسين مثلاً إلى شهر وأنا اشتريها منك بمائة حالاً ، ولا يريدان حقيقة البيع بل حيلة على دفع المائة بالمائة والخمسين إلى الأجل ، وللعلماء في جواز ذلك خلاف ، والله أعلم .

٥ – وخرَّج ابنُ عساكر الحافظُ في كتاب الجهاد بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من غزا غزوةً في سبيل الله فقد أدى إلى الله جميع طاعته ﴿ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً ﴾) ، قال : قيل : يا رسول الله أوَ بعد هذا الحديث الذي سمعناه مَن يدع الجهاد ويقعد ؟ ، قال : (مَن لعنه اللهُ وغضب عليه وأعد له عذاباً عظيماً ، قوماً يكونون في آخر الزمان لا يرون الجهاد ، وقد اتخذ ربي عنده عهداً لا يُخلفه : أيما عبد لقيه وهو يرى ذلك أن يعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين) .

٦ – وذكر صاحب شفاء الصدور عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لايزال الجهاد حلواً خَضِراً ما قطَر القطرُ من السماء ، وسيأتي على الناس زمان يقول فيه قراءٌ منهم ليس هذا زمان جهاد ، فمن

أدرك ذلك الزمان فنِعم زمانُ الجهاد) ، قالوا يا رسول الله وأحد يقول ذلك ؟ قال : (نعم ، من لعنه الله والملائكة والناس أجمعون) .

٧ – وخرَّج الطبرانيُّ بإسناد حسن عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما ترك قومٌ الجهادَ إلا عمَّهم اللهُ بالعذاب) .

٨ – وخرَّج ابن عساكر عن الشعبي قال : لما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه صعِد المنبر فذكر الحديث وقال فيه : (ولا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم اللهُ بالفقر) .

٩ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لقي الله بغير أثَرٍ من جهادٍ لقي اللهَ وفيه ثُلمة) . رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه البغوي في المصابيح .

١٠ – وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات ولم يغزُ ولم يحدِّث نفسَه بالغزو مات على شعبةٍ من النفاقِ) . رواه مسلم .

١١ – وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلُف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة) . رواه أبو داوود بإسناد حسن .

١٢ – وعن سعيد بن عبد العزيز قال : سمعت مكحولاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من أهل بيتٍ لا يخرج منهم غازٍ أو يجهزون غازياً أو يخلفونه في أهله إلا أصابهم الله بقارعة قبل الموت) . خرجه عبد الرزاق وهو مرسل .

فائدة :

قال القرطبي في تفسيره : إن قيل كيف يَصنع الواحد إذا قصر الجميع – يعني في الغزو – ؟ قيل له : يعمد إلى أسير واحد يفديه ، فإنه إذا فدى الواحد فقد أدى في الواحد أكثر مما كان يلزمه في الجماعة ، فإن الأغنياء لو اقتسموا فداء الأسارى ما أدى كل واحد منهم إلا أقل من درهم ، ويغزو بنفسه إن قدر وإلا جهز غازياً . انتهى .

حكاية عجيبة :

قال أبو عمران الجويني : سمعت أبي يقول : كان رجل يقال له البَطال يدخل أرض الروم ، ويتزيَّا بزيهم [1] ويلبس البرنس ويعلق الإنجيل في عنقه ، فإذا وجد من الروم عشرة إلى خمسين قتلهم كلَّهم وإن كثروا أمسك عنهم ، فيظنون أنه أُسقُفٌ من أساقفهم لا يتعرضون له ، فكان ذلك دأبه سنين كثيرة في أرض الروم ، ثم خرج إلى أرض المسلمين في زمن هارون الرشيد ، فدعاه هارون وقال له : يا بطال حدثني بأعجب شيء رأيته في أرض الروم ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، كنتُ يوماً في مرج من مروجها أمشي والبرنس علي والإنجيل معلَّق في عنقي إذ سمعت خلفي وقع حوافر الدواب فالتفتُّ فإذا أنا بفارس عليه سلاح وفي يده رمح ، فلما دنا مني سلم علي تسليم المسلمين ، فعرفت أنه مسلم فرددت عليه السلام ، فقال لي : يا صاحب البرنس هل تعرف بأرض الروم رجلاً يقال له بطال ؟ فقلت : ما تريد من بطال ؟ أنا بطال ، قال : فنزل عن دابته وعانقني ثم جثا بين يدي وقَبَّلَ رجلي وقال : جئتك لأخدُمَك عمري فأكونَ معك خادماً ، قال : فجزيته الخير ودعوت له ، قال : فبينما نحن كذلك إذ أبصرونا من قصر بعيد ، فأقبل أربعة فرسان شاكّون السلاح وبأيديهم الرماح يركضون نحونا ، فقال لي صاحبي : يا بطال أتأذن لي فأخرجَ إليهم ، قال : فأذنت له ، فخرج إليهم فتطاردوا ساعة ثم قتلوه وأقبلوا إلي وحملوا علي وقالوا : انج بنفسك ودَع ما معك ، قلت : ما معي إلا

[1] لعل هذا الفعل اجتهاد منه وإلا فالتزيي بزيي الكفار وفي أرضهم ردة عند بعض أئمتنا الشافعية كالرافعي والأصح أنه غير ردة .

البرنس والإنجيل ، فإن أردتم محاربتي فأمهلوني حتى أتسلح بسلاح صاحبي وأركب دابته ، قالوا : لك ذلك . قال : فلبست السلاح وركبت الدابة ، فأقبلوا نحوي فقلت : ما هذا بإنصاف ، أنتم أربعة وأنا واحد ، ولكن ليبرز إليَّ رجلٌ رجلٌ ، فقالوا : قد أنصفت ولك ذلك ، قال : فخرج إليّ رجل منهم فقتلته يا أمير المؤمنين ، ثم خرج إليّ آخر فقتلته ، ثم الثالث فقتلته ، ثم خرج إليَّ الرابع فما زلنا نتطارد بالرماح ويحمل علي وأحمل عليه حتى انكسرت رمحي ورمحه ، ونزلنا عن دوابنا وأخذ ترسه وسيفه وأخذت سيفي وترسي فما زلنا حتى انكسر ترسي وترسه وانقطعت ذؤابة سيفي وسيفه وسقطت أسيافنا على الأرض ، قال : فتصارعنا فما زلنا نتصارع حتى أمسينا ولم يقدر أن يصرعني ولا قدرت أن أصرعه وعيينا جميعاً ، فقلت : يا هذا فاتتني الصلاة في ديني اليوم ، وفاتك مثلها – وكان ذلك أُسقُفا – فقلت : فهل لك أن نفترق ونقضي فوائتنا ونستريح الليلة فإذا أصبحنا عدنا فيما نحن فيه ؟ قال : نعم ولك ذلك ، فتفرقنا وحمدت الله تعالى وصليت صلاتي يا أمير المؤمنين ، وكفر هو بربه وفعل ما فعل ، فلما كان عند الرقاد ، قال : أنتم معشر العرب فيكم الغدر ، ثم أخرج جلجلتان وقال : عَلِّق إحداهما بأذنك والأخرى بأذني ، وتضع رأسك علي وأضع رأسي عليك ، فإن تحركتَ صاحت جلجلتك فاسيقظتُ ، وإن تحركتُ صاحت جلجلتي فاستيقظتَ ، قال : قلت : أفعل ذلك . فنمنا على هذه الحالة ، فلما أصبحت حمدت الله تعالى يا أمير المؤمنين وصليت ، وكفر هو بربه وفعل ما فعل ، ثم قمنا فاصطرعنا وكنت وجدت في نفسي راحة وقوة فصرعته وقعدت على صدره ، فلما أردت أن أذبحه ، قال : اعف عني هذه المرة حتى نعود ، قلت : ولك ذلك . ثم اصطرعنا ثانياً فزلقت رجلي فصرعني وقعد على صدري وهمَّ بذبحي ، فقلت : قد عفوت عنك مرةً أفلا تعف عني ؟ قال : ولك ذلك . ثم تصارعنا ثالثاً وقد انكسر قلبي فصرعني وقعد على صدري وهمَّ بذبحي ، فقلت له : كنت عفوت عنك فعفوت عني واحدة بواحدةٍ فتفضل عليَّ بهذه المرة واعف عني ، قال : ولك ذلك . ثم تصارعنا رابعاً فصرعني وقعد على صدري ، وقال لي : قد عرفتُ الآن أنك لأنت البطال لأذبحنك ولأريحن الأرض منك ، فقلت : إلا أن يشاء ربي بسلامتي فلم تقدر على ذلك ، قال : قل لربك يمنعْني عنك ، ورفع الخنجر ليضعه في حلقي فقام المقتول صاحبي يا أمير المؤمنين رافعاً سيفه وضرب رأسه من قبل أن ينزل في الخنجر وقرأ هذه الآية : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ثم خرَّ مقتولاً كما كان ، فهذا أعجب ما رأيت يا أمير المؤمنين .

قال المؤلف عفا الله عنه : ذكر هذه الحكاية الزندويشتي في كتابه روضة العلماء ، والبطال هذا اسمه عبد الله وهو أحد التابعين ، قال الحافظ ابن الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء : هو رأس الشجعان والأبطالِ من أعيان الأمراءِ الشاميين وكان شاليشَ الأمير مسلمة بن عبد الملك أوطأ الرومَ خوفاً وذلاً ، ولكنة كُذِبَ عليه أشياءُ مستحيلة في سيرته الموضوعةِ وجرَت عليه أعاجيب . انتهى . وقد ذكرتُ طرفاً من ترجمته في مواضعَ متفرقة من الأصل ، والله أعلم .

الباب الثاني

في فضل الجهاد والمجاهدين

قال الله تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ

وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والآيات في هذا الباب كثيره جداً .

واعلم أن فضائل الجهاد والمجاهدين لا تنحصر ، ولكن نذكر منها في هذا المختصر ما فيه كفاية ، وبالله المستعان :

١٣ – ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله ورسوله) قيل : ثم ماذا ؟ قال : (الجهاد في سبيل الله) قيل : ثم ماذا ؟ قال : (حج مبرور) .

١٤ – وعن ماعز رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وحده ، ثم الجهاد ، ثم حجة مبرورة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها) . رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . وماعز صحابي مشهور لم ينسب . ومعنى قوله : تفضل سائرَ الأعمال أي : باقيَ الأعمال بعد الإيمان والجهاد . وقد جاء أن أفضل الأعمال الإيمان والجهاد جميعاً :

١٥ – ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال ، قال : فقام رجل فقال : يا رسول الله أرأيتَ إن قُتلتُ في سبيل الله ، تُكَفَّر عني خطاياي كلُّها ؟ قال : (نعم) ... الحديثَ .

فصل

وقد جاء أن الجهاد أفضل الأعمال على الإطلاق :

١٦ – ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلتُ يا رسول الله ترى الجهاد في سبيل الله أفضلَ الأعمال ، أفلا نجاهد ؟ قال : (لَكُنَّ أفضل الجهاد : حج مبرور) .

١٧ – وعن حنظلة الكاتب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (خير أعمالكم الجهاد) . خرَّجه ابن عساكر .

١٨ – وخرَّج الطبراني عن بلال رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أفضل عملِ المؤمن الجهادُ في سبيل الله) .

وخرَّج ابن عساكر بإسناده عن الفضل بن فَضالة عن أبيه قال : استأذن قوم على عبد الملك بن مروان أميرِ المؤمنين وهو شديد المرض فدخلوا عليه فقال : إنكم دخلتم عليَّ في حينِ إقبال آخرتي وإدبار دنياي ، وإني تذكرت أرجى عمل لي فوجدته غزوةً غزوتُها وأنا خُلوٌ من هذه الأشياء ، فإياكم وأبوابنا هذه الخبيثة أن تُطيفوا بها .

قال المؤلفُ عفا الله عنه : كان عبد الملك بن مروان رحمه الله من علماء التابعين وكان معاوية رضي الله عنه قد استعمله على المدينة وهو ابنُ ستةَ عشر سنة فركب بالناس البحرَ غازياً .

وقال محمد بن الفضيل بن عياض : رأيتُ ابن المبارك في النوم فقلت له : أي عمل وجدتَ أفضل ؟ قال : الأمر الذي كنتُ فيه ، قلت : الرباط والجهاد ؟ قال : نعم ، قلت : وما صنع بك ربك ؟ قال : غفر لي مغفرةً ما بعدها مغفرة . خرجه الخطيب في تاريخ بغداد .

قال الفضيلُ بنُ زيادٍ : سمعتُ أبا عبد الله – يعني أحمد بن حنبل – وذُكِرَ له الغزو فجَعَلَ يبكي ويقول : ما من أعمال البِرِّ شيءٌ أفضلُ منه . ذكره صاحب المغني .

فصل

في أن الجهاد أحب الأعمال إلى الله تعالى :

١٩ – عن عبدالله بن سلَام رضي الله عنه قال : قعَدنا نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ إلى آخر السورة ، فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه الترمذي والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

فصل

في أن المجاهدَ أفضلُ الناس :

٢٠ – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أتى رجلٌ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : أي الناس أفضلُ ؟ قال : (مؤمنٌ يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) قال : ثم مَن ؟ قال : (رجلٌ معتزلٌ في شِعب من الشِّعاب يعبد ربه ويدع الناسَ من شره) . رواه البخاري ومسلم .

٢١ – وخرج الطبراني من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ذُروة سنام الإسلام الجهادُ في سبيل الله ، لا يناله إلا أفضلهم) .

فصل

في أن أحداً لا يستطيع عملاً يعدل الجهاد :

٢٢ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : (لا تستطيعونه) فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا ، كلُّ ذلك يقول : (لا تستطيعونه) ثم قال : (مثَلُ المجاهد في سبيل الله كمَثَل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتُر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهدُ في سبيل الله) . رواه البخاري ومسلم وفي رواية البخاري : أن رجلاً قال : يا رسول الله دُلَّني على عملٍ يعدل الجهاد ؟ قال : (لا أجده) ثم قال : (هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك وتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر ؟) فقال : من يستطيع ذلك ؟ .

٢٣ – وعن أكدر بن حمام قال : أخبرني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جلسنا يوماً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لفتى منا : اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله ما يعدل الجهاد ؟ فأتاه فسأله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا شيء) ثم أرسلوه الثانية فقال : مثلها ، ثم قلنا : إنا نريد أن تسأل رسول الله ثلاثا فإن قال : لاشي ، فقل : ما يقرب منه ؟ فأتاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا شيء) فقال : ما يقرب منه يا رسول الله ؟ قال : (طيب الكلام وإدامة الصيام والحج كل عام ولا يقرب منه شيء) . خرجه ابن عساكر .

٢٤ – وخرج أيضاً بإسناده عن أبي الغادية المزني قال : سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول وهو يخطب على المنبر : يا أهل المدينة ألا تأخذون بحظكم ونصيبكم من الجهاد ؟ ألا ترون إلى إخوانكم من أهل الشام وإخوانكم من أهل مصر وإخوانكم من أهل العراق ؟ والله ليوم يعمله أحدكم في سبيل الله خير من ألف يوم في بيته صائماً قائماً لا يفتر ولا يفطر .

فصل

في أن المجاهد خير الناس وأكرمهم على الله تعالى :

٢٥ – عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرَج عليهم وهم جلوس في مجلس لهم فقال : (ألا أخبركم بخير الناس منزلاً ؟) قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : (رجل آخذ برأس فرسه في سبيل الله حتى يموت أو يقتل ، ألا أخبركم بالذي يليه ؟) قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : (امرؤ معتزل في شِعْب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور الناس ن ألا أخبركم بشر الناس ؟) قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : (الذي يُسأل بالله ولا يعطِي) . خرجه ابن المبارك ورواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان في صحيحه .

٢٦ – وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال : يا رسول الله أي الناس خيرٌ منزلةً عند الله عز وجل بعد أنبيائه وأصفيائه ؟ قال : (المجاهد في سبيل الله بنفسه وماله حتى تأتيَه دعوة الله عز وجل وهو على متن فرسه وآخذ بعنانه) ... الحديث . خرجه ابن المبارك ورواه البيهقي والنسائي في السنن بنحوه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

٢٧ – وعن يوسف بن يعقوب عن أشياخه قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتقوا أذى المجاهدين فإن الله يغضب للمجاهدين كما يغضب للأنبياء والمرسلين ويستجيب لهم كما يستجيب للأنبياء والرسل ، ولا طلعت شمس ولا غربت على أحدٍ أكرم من مجاهد) . ذكره في شفاء الصدور ورواه ابن عساكر مسنداً من حديث علي بنحوه .

فصل

في أن الجهاد أفضل من العزلة والتفرغ للعبادة ، وتقدم في حديث أبي سعيد : أن أفضل الناس المؤمن المجاهد ثم يليه المعتزل ، وكذلك في حديث ابن عباس في الفصل قبله .

٢٨ – وخرَّج ابنُ عساكر بإسناده عن أبي هريره رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أخبركم بخير الناس منزلةً ؟ رجل معتزل في غنم له يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، يعبد الله ولا يشرك به شيئاً) .

٢٩ – وعن أبي هريره رضي الله عنه قال : مر رجل بشعب فيه عين من ماءٍ عذبة فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقه وجبت له الجنة) . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . فواق الناقة : بضم الفاء وتخفيف الواو وآخره قاف قال الجوهري وغيره : هو ما بين الحلبتين من الوقت ، لأنها تحلب ثم تترك سويعة ثم يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب ، وقال بعضهم : هو قدر ما تحلب فيه ، وقيل : هو ما بين الشخبتين ، وقيل غير ذلك .

٣٠ – وعن عسعس بن سلامة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر ففقد رجلا من أصحابه فقال : أردتُ أن أخلو بجبل وأتعبد ، فقال : (فلا تفعله ، ولا يفعله أحدكم ، فلصبر ساعة في بعض مواطن الإسلام أفضل من عبادة أربعين سنه خالياً) . خرجه البيهقي في الشعب وابن عساكر وغيرهما .

وستأتي جملة من الأحاديث الدالة على فضل الجهاد على العزلة والاجتهاد ، والله أعلم .

حكاية :

قال محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة : أملى علي عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس وأرسلها معي إلى الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه :

يـا عابـدَ الحـرَمين لـو أبصـرتَنا	لعلمتَ أنـك في العبـادةِ تلعبُ
مـن كـان يخضِبُ خـدَّه بدموعـهِ	فنحورُنـا بـدمائنا تتخضَّبُ
أو كـان يُتعـب خيلَـه في باطـلٍ	فخيولنـا يـومَ الصـبيحة تتعَبُ
ريـح العبـير لكـم ونحـن عبيرُنـا	رهَـجُ السَّـنابكِ والغبـارُ الأطيَبُ
ولقـد أتانـا مـن مقـال نبينـا	قـولٌ صـحيحٌ صـادقٌ لا يكـذِبُ
لا يسـتوي وغبـارُ خيـلِ الله في	أنـف امـرئٍ ودخـانِ نـار تلهَّبُ
هـذا كتـابُ الله ينطِـقُ بيننـا	لـيسَ الشـهيدُ بميِّـتٍ لا يكـذِبُ

قال : فلقيت الفضيل بكتابه ، فلما قرأه ذرفت عيناه ثم قال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحني .

قال المؤلف عفا الله عنه : روى هذه الحكاية جماعة من الأئمة ، وفيها التصريح باتفاق هذين الإمامين الجليلين : عبدالله بن المبارك والفضيل بن عياض : على أن الجهاد أفضل من العزلة والانفراد .

فصل

في أن نوم المجاهد أفضل من قيامِ غيرِه الليلَ وصيامِه النهارَ ، وأن الطاعمَ في سبيل الله كالصائم في غيره سرمدا :

٣١ – خرَّج سعيدُ بنُ منصور في سننه عن الحسن بن أبي الحسن أن رجلاً كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم له مال كثير فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أخبرني بعملٍ أُدرك به عمل المجاهدين في سبيل الله ؟ فقال : (كم مالك ؟) فقال : ستة آلاف دينار ، فقال : (لو أنفقتها في طاعة الله لم تبلغ غبار شراك نعل المجاهد في سبيل الله) ، وأتاه رجل فقال : يا رسول الله أخبرني بعمل أدرك به عمل المجاهدين في سبيل الله ؟ فقال : (لو قمت الليل وصمت النهار لم تبلغ نوم المجاهد في سبيل الله) .

قال المؤلف عفا الله عنه : هذا مرسل ، وقد خرَّج الحديثَ الأولَ ابنُ عساكر من حديث أبي هريرة مرفوعاً بنحوه .

٣٢ – وعن مكحول قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن الناس قد غزوا وقد حبسني شيء فدلني على عملٍ يلحقني بهم ، قال : (هل تستطيع قيام الليل ؟) قال : أتكلف ذلك ، قال : (تستطيع صيام النهار ؟) قال : نعم ، قال : (فإن إحياءَك ليلَك وصيامَك نهارَك كنومة أحدهم) . خرجه ابن أبي شيبة وهو مرسل أيضاً .

٣٣ – وخرج ابن المبارك بإسناده عن صفوان بن سليم أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : أيستطيع أحدكم أن يقوم فلا يفتر ، ويصوم فلا يفطر ما كان حيا ؟ فقيل : يا أبا هريرة ومن يطيق هذا ؟ فقال : والذي نفسي بيده إن نوم المجاهد أفضل منه . وهذا موقوف وقد يقال : إن مثله لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد فسبيله سبيل المرفوع سيما والأحاديث السابقة والآتية تعضده ، والله أعلم .

٣٤ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله – كمثل القائم الصائم الخاشع الراكع الساجد) . رواه ابن المبارك والنسائي بإسنادٍ صحيح ، وفي الصحيحين بنحوه . وفي رواية ابن المبارك : (مثلُ المجاهد في سبيل الله عز وجل كمثل الصائم

القائم بآيات الله آناء الليل وأطراف النهار مِثلَ الأسطوانة) . رواه ابن حبان في صحيحه ولفظه : (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم لا يفتر من صلاةٍ ولا صيام حتى يرجعه الله إلى أهله بما يرجعه إليهم من غنيمة أو أجرٍ أو يتوفاه فيدخله الجنة) . قال المؤلف عفا الله عنه : خرجه ابن حبان من حديث شيخه عمرو بن سعيد بن سنان قال : وكان قد صام النهار وقام الليل ثمانين سنة غازياً ومرابطاً . وعن سعيد بن عبد العزيز قال : نومة في سبيل الله خير من سبعين حجة يتلوها سبعون عمرة . ذكره في شفاء الصدور ، وذكر فيه أيضاً :

٣٥ – عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الطاعم في سبيل الله كالصائم في غيره سرمداً) . قال المؤلف عفا الله عنه : وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة المتقدم : (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم لا يفتر من صلاةٍ ولا صيام) .

فصل

وقد جاء أن من داوم الصيام والقيام والذكر لا يبلغ العشر من ثواب المجاهد في سبيل الله :

٣٦ – خرَّج أحمد والحاكم وصحح إسناده عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة أتته فقالت : يا رسول الله ، اِنطلق زوجي غازياً وكنت أقتدي بصلاته إذا صلى وفعله كله ، فأخبرني بعملٍ يبلغني عمله حتى يرجع قال لها : (أتستطيعين أن تقومي فلا تقعدي وتصومي ولا تفطري وتذكري ولا تفتري حتى يرجع ؟) قالت : ما أطيق هذا يا رسول الله ، قال : (والذي نفسي بيده لَوْ طُوِّقتِيهِ ما بلغتِ العشرَ من عمله) .

فصل

في أن الله تعالى يرفع المجاهد في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض : قال الله تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

٣٧ – وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) .

٣٨ – وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وجبت له الجنة) ، فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها علي يا رسول الله فأعادها عليه ، ثم قال : (وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) قال : وما هي يا رسول الله ؟ قال : (الجهاد في سبيل الله) .

٣٩ – وعن أبي هريرة وأبي أمامة رضي الله عنهما قالا : ذُكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد ، فقال : (إن للمجاهدين في سبيل الله سبعين درجة من ياقوت ، ما بين كل درجتين مثل ما بين السماء والأرض) . خرجه ابن عساكر ورواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محيريز قال : بلغني أن الدرجات سبعون درجة ما بين الدرجتين سبعون عاماً للجواد المضمر . وقد ذكرت في الأصل الجمع بين هذه الأحاديث ، والله أعلم .

فصل

في أن المجاهد في ضمان الله وكفالته وعونه وهدايته من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه أو يقتل فيدخل الجنة : قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

٤٠ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهادُ في سبيله وتصديقٌ بكلماته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ) .

رواه البخاري ومسلم بنحوه والنسائي ، وفي رواية للنسائي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (انتدب الله لمن يخرج في سبيله لا يخرجه إلا الإيمان والجهاد في سبيلي أنه علي ضامن حتى أدخله الجنة بأي مكان يقتل أو وفاة أو أرده إلى مسكنه الذي خرج منه مع أجرٍ أو غنيمة) ، وفي بعض روايات الصحيحين (مع أجر وغنيمة) .

٤١ – وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف) . خرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . قال المؤلف عفا الله عنه : وقد ذكرت في الأصل قصة الزبير ودَينه وأنهم كانوا يظنون أنَّ تركته لا تفي بمائة ألف من دينه ، وكان دينه ألفي ألف ومائتي ألف ، فجمع ما خلف فكان خمسين ألف ألف ومائتي ألف ، ذكره البخاري وبوب عليه : باب بركة الغازي في ماله حياً وميتاً .

فصل

ومن ضمان الله سبحانه وتعالى ومعونته للمجاهدين في سبيله :

٤٢ – ما روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمَّر علينا أبا عبيدة نتلقى عيراً لقريش وزودنا جراباً من تمرٍ لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرةً ، قال : قلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يوماً إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله ، قال : فانطلقت على ساحل البحر فوقع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر ، قال : قال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال : لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اضطررتم فكلوا ، قال : فأقمنا عليها شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سَمِنَّا ، ولقد رأيتنا نغترف من وَقْبِ [داخل عينه ونقرتها] عينه بالقلال الدهنَ ونقطع منه الفِدَر [القطيع] كالثور أو كفدر الثور ، فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقْب عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق [وشائق : هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء ولا ينضج ويحمل في الأسفار] ، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك فقال : (هو رزق الله أخرجه لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ؟) قال : فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله . الخبط : بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة جميعا : هو ورق السنط المعروف بشحرة أم غيلان .

حكايات :

قال أبو يعقوب المصيصي : غزونا بلاد الروم فقال لنا الدليل : ها هنا واد من عسل ، فعدلنا عليه وأنزلنا رجلاً يغرف لنا بالأسطال ، فخرج علينا الروم فتشاغلنا بهم ونسينا الرجل ، فغِبنا عن الموضع فلما كان بعد سنة غزونا فجئنا إلى ذلك الوادي فإذا الرجل حي ! قال : فقلنا له : إيش خبرك ؟ قال :كنت أعطش فأشرب العسل وأجوع فآكل العسل ، فرأيناه كأنه البلور إذا طعم شيئاً رأيناه في جوفه من صفاء جلده . رواه السلطان نور الدين محمود المعروف بالشهيد بإسناده في كتاب الاجتهاد في فضل الجهاد .

وخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الجهاد بإسناده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : خرج قوم غزاة ومعهم محمد بن المنكدر وكانت صائفة ، فبينما هم يسيرون في الساقة قال رجل من القوم : أشتهي جبنا رطبا ، فقال محمد بن المنكدر : استطعموا الله يطعمكم فإنه القادر ، فدعا القوم فلم يسيروا إلا قليلاً حتى وجدوا مكتلا مخيطا كأنما أتى به من السيالة أو الروحاء فإذا هو جبن رطب ، فقال بعض القوم : لو كان عسلاً ، فقال محمد بن المنكدر : إن الذي أطعمكم جبناً ها هنا قادر أن يطعمكم عسلاً ، فوجدوا قاقزَّة [مشربة] عسل على الطريق فنزلوا وأكلوا الجبن والعسل .

وخرج ابن عساكر بإسناده عن عبد الله بن أبي جعفر قال : غزونا القسطنطينية فكسر بنا مركبنا فألقانا الموج على حشفة في البحر وكنا خمسة أو ستة فأنبت الله لنا بعددنا ورقة لكل رجل منا فكنا نمصها فتشبعنا وترويناً فإذا أمسينا أنبت الله تعالى مكانها حتى مر بنا مركب فحملنا . الحشفة : بفتح الحاء المهملة والشين المعجمة جميعا بعدهما فاء ثم هاء : هي الجزيرة في البحر لا يعلوها الماء .

وعن أبي سبرة النخعي قال : أقبل رجل من اليمن فلما كان في بعض الطريق نفق حماره – يعني مات – فتوضأ وصلى ركعتين ثم قال : اللهم إني جئت من الدثينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لا تجعل لأحدٍ علي اليوم منةً أطلب إليك أن تبعث لي حماري ، قال : فقام الحمار ينفض أذنيه . خرجه البيهقي في دلائل النبوة وصحح إسناده .

وخرج أبو القاسم القشيري في رسالته بإسناده عن أبي عبيد البسري عن أبيه : أنه غزا سنة من السنين فخرج في السرية فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية ، فقال : يا رب أعرناه حتى نرجع إلى بسرى – يعني قريته – فإذا المهر قائم فلما غزا ورجع إلى بسرى قال : يا بني خذ السرج عن المهر ، فقلت : إنه عرقان ، فإن أخذت السرج داخلته الريح ، فقال : يا بني إنه عارية ، قال : فلما أخذت السرج وقع المهر ميتاً .

فصل

يشتمل على أنواع مختلفة في أمر الجهاد والمجاهدين :

٤٣ – عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أنا زعيم – والزعيم الحميل – لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وبيت في وسط الجنة ، وأنا زعيم لمن آمن وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة ، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهرباً يموت حيث شاء أن يموت) . رواه النسائي وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . ربض الجنة : بالضاد المعجمة محركاً : هو ما حولها .

٤٤ – وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من غزا غزوة في سبيل الله فقد أدى إلى الله عز وجل جميع طاعته فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) . خرجه ابن عساكر وقال : هذا حديث حسن .

٤٥ – وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي ؟) قلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : (المهاجرون يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون ، فيقول لهم الخزنة : أوَ قد حوسبتم ؟ قالوا : بأي شيء نحاسب ؟ وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله ، قال : فتفتح لهم فيقيلون فيها أربعين عاماً قبل أن يدخلها الناس) . رواه أحمد وأبو عوانة في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما .

٤٦ – وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما أذن الله لعبد في جهاده ولو قدْرَ فواق ناقة إلا استحى أن يرده إلى منزله ولم يعتقه من النار) . ذكره في شفاء الصدور .

٤٧ – وذكر أيضاً عن قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما أذن الله لعبدٍ في الجهاد حتى يفتح له رحمة من التسع والتسعين التي ادخرهن الله يوم القيامة) .

٤٨ – وخرج ابن المبارك عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟) قالوا : بلى ، قال : (فاغزوا) . وقال مكحول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اغزوا

تصحوا) . وهذا الحديث مرسل ، أخرجه ابن المبارك من حديث يزيد بن أسلم مرسلاً أيضاً فقال فيه : (اغزوا تصحوا وتغنموا) .

٤٩ – وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (جاهدوا في سبيل الله فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجي الله تعالى به من الهم والغم) . خرجه عبدالرزاق وأحمد بإسناد جيد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وعن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : سيغزو أناس من هذه الأمة متطوعين بغير رزق ولا عطا ، أجورهم كأجور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكره في شفاء الصدور وهو موقوف .

وذكر فيه أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن المجاهدين في سبيل الله أولياء الله وأنصاره في الأرض ، ألا وإن الله يحتجب عن جميع خلقه وحملة عرشه حتى ينظر إليه المجاهدون في سبيل الله .

قال العوفي : وفي المجلس سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وميمون بن يسار فقال رجل لأنس بن مالك : يا أبا حمزة ما سمعنا ولا رأينا كاليوم قط ولا حديثا أعجب ولا أفضل من هذا ، قال أنس : والذي نفسي بيده إنه ليس أحد من الأنبياء والمرسلين يطمع في النظر إلى وجه الله تعالى حتى يأذن له في ذلك ، وإن المجاهد في سبيل الله يدخل على ربه متى شاء لا يحال دونه ولا يشفع في شيء إلا شفع حتى لو أن أحدهم دخل على ربه في كل يوم ألف ألف مرة ثم يسأله ألف ألف حاجة لكان قضاؤها على الله أيسر وأهون من مقام بعوضة ، ثم قال أنس : أزيدكم والله رب الكعبة إن منهم من يستقل الله له الجنة بجميع ما فيها لقربهم من الله تعالى ، قال : وأزيدكم إن منهم من لا يرضى الله له ثواباً حتى يكتب له الرضى بيده في لوح خاصته ، الأفضل فالأفضل أولهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم المجاهدون على قدر منازلهم ممن شاء ربك من خلقه ، هيهات هيهات ! انقطع العلم من جميع خلق الله عن منازلهم من الله وقربهم منه .

قال العوفي : فوالله لخرجنا من عند أنس وما منا من أحد يحدث نفسه أن يأوي إلى زوجة ولا ولد بعد هذا الحديث ، فخرج من المدينة في تلك السنة ثلاثمائة رجل فتفرقوا في نواحي الشام مرابطين حتى لحقوا بالله . وهذا أيضا موقوف غريب وفيه نكارة ، والله أعلم .

٥٠ – وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة) . رواه أبو داوود في حديث والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان ورواه أحمد من حديث عمرو بن عبسة إلا أنه قال فيه : (من قاتل في سبيل الله فواق ناقة حرم الله على وجهه النار) .

فواق الناقة قيل : هو ما بين رفع يديك عن ضرعها وقت الحلب ووضعها ، وقيل : غير ذلك ، وتقدم في هذا الباب .

٥١ – وخرج الطبراني عن أبي المنذر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن فلاناً هلك فصَلِّ عليه الليلة ، فقال عمر رضي الله عنه : إنه فاجر فلا تُصَل عليه ، فقال الرجل : يا رسول الله ألم تر الليلة التي صحبته فيها في الحرس فإنه كان فيهم ؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم تبعه حتى جاء قبرَه وقعد حتى فرغ منه حثى عليه ثلاث حثيات ، ثم قال : (تثني عليك الناس شراً وأنا أثني عليك خيراً) ، فقال عمر رضي الله عنه : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دعنا عنك يا ابن الخطاب ، من جاهد في سبيل الله وجبت له الجنة) .

٥٢ – وعن معاذ بن جبل قال : ينادي مناد يوم القيامة ألا ليقم المفجعون في سبيل الله ، فيقوم المجاهدون في سبيل الله ما معهم أحد غيرهم . رواه ابن المبارك وليس في أصلي رفعه ، وخرج ابن عساكر بإسناده عن يوسف بن سعيد قال : سمعت علي بن بكار يقول : يكون الناس يوم القيامة في الحساب ، وأهل الجهاد حلق حلق يتذاكرون الجهاد .

٥٣ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أظلتكم فتن كقطع الليل المظلم ، أنجى الناس منها صاحب شاهقة يأكل من رسل غنمه ، أو رجل من وراء الدروب آخذ بعنان فرسه يأكل من فيء سيفه) . رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . رسل الغنم : كسر الراء وإسكان السين المهملة : هو لبنها .

٥٤ – وخرج ابن عساكر بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من وقف موقفاً بذل فيه نفسه لمن خلقه تحاتت ذنوبه كما يتحات ورق الشجر) .

٥٥ – وعن سبرة بن الفاكه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آباءك ؟ فعصاه فأسلم فغفر له ، فقعد له بطريق الهجرة فقال : تهاجر وتترك دارك وأرضك وسماك ؟ فعصاه ، فقعد له في طريق الجهاد فقال : تجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ؟ فعصاه فجاهد) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة) . رواه أحمد والنسائي وابن حبان .

٥٦ – وخرج ابن عساكر بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من دعي إلى الإسلام فأجاب ودعي إلى الإيمان فأجاب ودعي إلى الهجرة فأجاب ودعي إلى الجهاد فأجاب لم يدع من الخير مطلباً ولا من الشر مهرباً) .

حكاية :

قال عكرمة : كان عمرو بن الجموح شيخاً من الأنصار أعرج ، فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر قال لبنيه : أخرجوني ، فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم عرَجه فأذن له في المقام ، فلما كان يوم أحد خرج الناس فقال لبنيه : أخرجوني ، فقالوا : قد رخَّص لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن لك في المقام ، فقال : هيهات ، منعتموني الجنة ببدر وتمنعونيها بأحد ؟ فخرج ، فلما التقى الناس قال : يا رسول الله إن قتلت أأطأ بعرجتي هذه الجنة ؟ قال : (نعم) قال : فوالذي بعثك بالحق نبياً لأطأن بها في الجنة اليوم إن شاء الله تعالى ، فقال لغلام له كان معه يقال له : سليم : ارجع إلى أهلك ، قال : وما عليك إن أصبت اليوم خيراً معك ، قال : فتقدم إذاً ، قال : فتقدم العبد فقاتل حتى قتل ثم تقدم هو فقاتل حتى قتل رضي الله عنهما . رواه ابن المبارك وهو مرسل ، والقصة مشهورة رواها أصحاب السير وغيرهم ، وذكر أبو عمر ابن عبد البر في هذه القصة قال : فأخذ سلاحه وولى فلما ولى أقبل على القبلة وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره ، منهم عمرو بن الجموح ، ولقد رأيته يطأ بعرجته في الجنة) ، وقتل وهو وابنه خالد حين انكشف المسلمون فقتلا جميعاً .

الباب الثالث

فيما جاء في فضل الجهاد على الحج

٥٧ – ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وحده ، ثم الجهاد ، ثم حجة مبرورة) . وتقدم حديث ماعز أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وحده ، ثم الجهاد ، ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها) . وفي هذين الحديثين التصريح بأن رتبة الجهاد مقدمة على رتبة الحج في الفضيلة .

وقال عمر رضي الله عنه : عليكم بالحج فإنه عمل صالح أمر الله به والجهاد أفضل منه . رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح .

٥٨ – وعن يحيى بن أيوب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (للغازي في سبيل الله من الأجر سبعون ضعفا على المقيم القاعد ، وللحاج نصف ما للغازي ، وللمعتمر نصف ما للحاج) . ذكره في شفاء الصدور وذكر فيه أيضاً عن إسماعيل بن حسان أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أراد الغزو فأمر بدوابه فرحلت ثم أمر بها فحط عنها قال : فقال معاذ بن جبل : لَهَذا أفضلُ من عشر حجج .

٥٩ – وعن آدم بن علي قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول : لَسَفرة في سبيل الله أفضل من خمسين حجة . رواه ابن المبارك وسعيد بن منصور في سننه وابن أبي شيبة بأسانيد صحاح . قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذه الأحاديث كلها أن الجهاد مطلقاً أفضل من الحج مطلقاً ، وقد جاء في أحاديث أخر أن الجهاد دائماً هو أفضل من حج النافلة وأن حجة الإسلام أفضل من الجهاد ، والظاهر أن حجة الإسلام إنما تكون أفضل من جهاد هو فرض كفاية ، وأما الجهاد إذا صار فرض عين فهو مقدم على حجة الإسلام قطعاً لوجوب فعله على الفور ، ولعل الأحاديث المتقدمة محمولة على ذلك ، والله أعلم . فمن الأحاديث الذي جاء فيها التفضيل :

٦٠ – قوله صلى الله عليه وسلم : (حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات ، وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج) . رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمر والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري . وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : غزوة في سبيل الله أفضل من عشر حجج لمن قد حج . رواه ابن أبي شيبة وهو موقوف .

٦١ – وخرج أبو داوود في مراسيله عن مكحول قال : كثر المستأذنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج في غزوة تبوك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (غزوة لمن قد حج أفضل من أربعين حجة) .

٦٢ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (حجة خير من أربعين غزوة ، وغزوة خير من أربعين حجة) يقول : إذا حج الرجل حجة الإسلام فغزوة خير له من أربعين حجة ، وحجة الإسلام خير من أربعين غزوة . خرجه البزار ورجاله موثوقون . وقال عبد الرحمن بن غنم الأشعري : حجة قبل غزوة خير من عشر غزوات ، وغزوة بعد حجة خير من ثمانين حجة . رواه ابن المبارك موقوفاً ورجاله ثقات ، وعبد الرحمن بن غنم أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في صحبته . وخرج سعيد بن منصور في سننه بإسناد صحيح عن أبي العالية قال : كان يقال حجة خير من مائة غزوة ، وغزوة خير من مائة حجة .

٦٣ – وخرج ابن عساكر بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (غزوة في سبيل الله بعد حجة الإسلام أفضل من ألف حجة) . وذكر صاحب شفاء الصدور عن كعب قال : غزوة بعد حجة الإسلام خير من ألف ألف حجة .

قال المؤلف عفا الله عنه : قد اختلفت الأحاديث في قدر التضعيف كما تقدم ، فإن تعين الاحتجاج ببعضها لصحته اعتُمد ، وإلا فالتفاوت راجع إلى تفاوت الغزاة في إخلاصهم وحسن أعمالهم ، فمنهم من تكون غزوته أفضل من عشر حجج ، ومنهم من تكون غزوته أفضل من أربعين وأكثر ، وقد يكون التفاوت باعتبار النظر إلى موقع الجهاد في وقته ، والنظر في ترجيح المصلحة وتأكدها في الغزو على الحج ، والله أعلم .

وذكر صاحب شفاء الصدور عن ضرار بن عمرو قال : طالت إقامتي ببلد الجهاد فاشتقت إلى الحج وأردت أن أجاور البيت فتجهزت إلى الحج ثم أتيت أودع إخواني فأتيت إسحاق بن أبي فروة لأودعه فقال : وأين تريد يا ضرار ؟ قال : قلت الحج ، قال : وما نقض رأيك عن الجهاد ؟ قلت : لا ، إلا أنه طالت إقامتي ببلد الجهاد وقد أحببت الحج وقد

أردت أن أجاور ذلك البيت ، قال : فقال لي : لا تنظر فيما تحب يا ضرار ، ولكن انظر فيما يحب الله ، يا ضرار بن عمرو أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج ذلك البيت قط إلا حجة واحدة ثم لم يزل مغيرا في الجهاد حتى لحق بالله تعالى ؟ يا ضرار بن عمرو أما إذا حججت فإنما لك أجر حجتك وعمرتك ، وإنك إذا كنت مرابطاً او مجاهداً أو من وراء عورات المسلمين فحج ذلك البيت مائة ألف ومائة ألف وما أنت قائل من العدد لكان لك مثل أجر حجتهم وعمرتهم وكان لك من الأجر بعدد كل مؤمن ومؤمنة منذ خلق الله تعالى آدم إلى يوم ينفخ في الصور ، لأن من نصر آخر المؤمنين كان له كأجر من نصر أولهم وآخرهم ، وكان له من الأجر بعدد كل مشرك ومشركة منذ خلق الله آدم إلى أن ينفخ في الصور ، لأن من جاهد آخر المشركين كان كمن جاهد أولهم وآخرهم ، وكان له من الأجر بعدد كل حرف أنزله الله في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، لأنك تجاهد عن سراج الله لا يطفأ نوره ، يا ضرار بن عمرو أما علمت أنه ليس من أحد أقرب إلى درجة النبوة من درجة العلماء والمجاهدين ؟ قال : فقلت : وكيف ذلك رحمك الله ؟ قال : لأن العلماء قاموا بما جاءت به الأنبياء من تثبيت أمر الله في عباده وبلاده ويدلون الناس على الله ، وأن المجاهدين قاموا بما جاءت به الأنبياء عن الرب من توحيد لا يطفأ نوره وأن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، أو كما جاء الحديث ، قال ضرار : فتركت ما أنا فيه من قصد الحج وأقمت ببلد الجهاد حتى ألحق بالله تعالى .

الباب الرابع

في التحريض على الجهاد وفضله

قال الله تعالى : ﴿ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِأْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّأْئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾ والآيات في تحريض الله عباده على الجهاد في سبيل الله وترغيبهم فيما عنده من الأجر والثواب على ذلك كثيرة جداً .

٦٤ – وفي سنن ابن ماجه وصحيح ابن حبان وغيرهما عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا هل مشمر إلى الجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها ، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دارٍ سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهيةٍ) قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها ، قال : (قولوا إن شاء الله) ، فقال القوم : إن شاء الله ، ثم ذكر الجهاد وحض عليه .

٦٥ – وعن محمد بن جحادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يدخل الجنة سراً والناس في شدة الحساب من أَمَر بالجهاد وحض عليه) . ذكره صاحب شفاء الصدور وهو مرسل ، وذكر أيضاً عن علي موقوفاً قال : من حرض أخاه على الجهاد كان له مثل أجره ، وكان له في كل خطوة في ذلك عبادة سنة .

قال المؤلف عفا الله عنه : القرآن العظيم والسنة النبوية مشحونان بالتحريض على الجهاد والترغيب فيه ، ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم ومن بعدهم وأئمة السلف الصالح رضي الله عنهم يحرضون الناس على الجهاد في سبيل الله تعالى وقتال أعداء الله ، والمأثور عنهم في ذلك لا ينحصر .

٦٦ – وقد ذكر صاحب شفاء الصدور وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على الناس يوم بدر فحرضهم القتال ثم قال : (والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة) ، فقال :

عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلها : بخٍ بخٍ ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ فقذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

ركضًا إلى اللهِ بغيرِ زادِ إلا التُّقى وعمَلَ المعادِ

والصبرَ في اللهِ على الجهادِ فكلُّ زادٍ عُرضةُ النَّفادِ

غيرَ التُّقى والبِرِّ والرَّشادِ

وقصة عمير هذه في الصِّحاح وغيرهما بنحوه دون الشعر .

٦٧ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت في مجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل عتيقة بن الحارث الأنصاري فسلم ثم جلس ثم قال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم شهدتك يوم بدر وأنت تحرض الناس على الجهاد فلم أستطع أن أسألك وأنا سائلك ففهمني يا رسول الله ، قال : (سل عما بدا لك يا عتيقة) ، قال : يا رسول الله ما لمن تقلد سيفاً في سبيل الله ؟ قال : (يقلده الله وشاحاً من أوشحة الجنة من ذهب وفضة وزبرجد) ، قال : يا رسول الله ما لمن اعتقل رمحاً في سبيل الله ؟ قال : (يكون له به علم يعرف به يوم القيامة) ، قال : ما لمن تقلد قوساً في سبيل الله ؟ قال : (يكون له رداء أخضر من أردية الجنة يوم القيامة) ، قال : فمن رمى بسهم في سبيل الله ؟ قال : (بخٍ بخٍ يا عتيقة ، لقد سألت عن خير كثير ، إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثةً الجنةَ : صانعه ، والمقوى به ، والرامي به في سبيل الله تعالى ، يا عتيقة بن الحارث من رمى بسهم في سبيل الله بلغ العدوَّ أو قصُر عُدل له عتق رقبة) ، قال : يا رسول الله ما لمن لبس درعاً في سبيل الله ؟ قال : (يكون له جُنة من النار) ، قال : فما لمن تعضد ترساً في سبيل الله ؟ قال : (يكون له ستراً من حر شمس الأرض وقد أدنيت من الناس بقدر ميل وقد زيد في حرها ثمانية عشر جزءاً ورهِق الناسُ من العرق على قدرِ أعمالهم ، فالمؤمن في ضحضاح ، والكافر ملجَم) ، قال : يا رسول الله فما لمن ركب فرساً في سبيل الله أماناً لمن خلفه وهيبة لمن بين يديه ؟ قال : (بخٍ بخٍ يا عتيقة بن الحارث ، من ارتبط فرساً في سبيل الله هيبة لمن بين يديه وأماناً لمن خلفه إلا تلقته خزنة الجنة بخيل خضر مسرجة لم تلقحها الفحول ولم تحملها البطون ولم تر بين الضلوع ، خلقهن الله يوم خلق الجنة ألوانها من ذهب وفضة ولؤلؤ وزبرجد يأكلن من ثمارها ويشربن من أنهارها ولا يبلن ولا يرثن ولا يعيين ولا يهرمن يقلن : يا ابن آدم ركبت في الدنيا فرساً تموت فدونك ما لا يموت) ، فقال : يا رسول الله ما نرى لأحد من أهل الجهاد في شيء ؟ قال : (أجل ، ما أعمال البر كلها في عرض الجهاد إلا كتفلة تفلها عبد في بحر لجي ، فماذا زادت فيه حين تفلها وماذا نقص حين حبسها ؟) قال : (وما خرج عبد في سبيل الله غاديا أو رائحاً مهللاً مكبراً حامداً ذاكراً إلا آنت الشمس بذنوبه) قال : (وما من غازٍ ببطنِ وادٍ حمد الله وسبحه وكبره وهلله إلا نادت أشجاره بعضها بعضاً وصخره بعضه بعضا ونباته بعضه بعضاً : هذا مجاهد في سبيل الله ، فيمتلئ ذلك الوادي حسنات حتى يفيض من جانبيه) . ذكره في شفاء الصدور .

قال المؤلف عفا الله عنه : وعتيقة بالقاف ذكره الحافظ أبو موسى الأصبهاني في كتاب الصحابة ، وذكر له هذا الحديث بنحوه وهو حديث غريب وإسناده غير ثابت ، والله أعلم .

حكاية :

قال أبو جعفر أحمد بن جعفر بن اللبان رحمه الله في كتابه المسمى : تنبيه ذوي الأقدار على مسالك الأبرار :

روي أنه كان بالبصرة نساء عابدات وكانت منهن أم إبراهيم الهاشمية فأغار العدو على ثغر من ثغور المسلمين فانتدبت الناس للجهاد فقام عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد في الناس خطيباً فحرضهم على الجهاد ، وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة في مجلسه ، وتمادى عبد الواحد على كلامه ثم وصف الحور العين وذكر ما قيل فيهن وأنشد في صفة حوراء :

غـــــــادةٌ ذاتُ دلالٍ ومـــــــرَحْ	يجِــدُ الناعــتُ فيهــا مــا اقــترَحْ
خُلِـقت مـن كـل شـيء حسَـنٍ	طيِّـــبٍ واللـــينُ منهـــا مُطَّـــرَحْ
زانهــــا اللهُ بوجـــــهٍ جُمعـــــتْ	فيـــه أوصـــافٌ غريبـــاتُ الْمِلَـــحْ
وبعـــينٍ كُحلُهـــا مـــن دَعجِهـــا	وبخَـــدٍّ مســـكةٍ فيـــه رَشَـــحْ
ناعـــمٌ يجـــري علـــى صـــفحتها	نضـــرةُ الْمُلـــكِ ولألاءُ الفـــرَحْ
أتُـــــرى خاطبُهـــــا يســــمعُها	إذ تُـــدير الكـــاسَ طـــوراً والقـــدَحْ
في ريـــــاضٍ مُونَّــــقٍ نـــــرجسٍ	كلمـــا هـــبَّ لـــه الـــريحُ نَفَـــحْ
وهـــي تـــدعوه بـــودٍّ صـــادقٍ	مِـــلاء القلـــبِ بـــه حـــتى طفَـــحْ
يـــا حَبيبـــاً لســـتُ أهـــوى غـــيرَه	بالخـــــــواتيمِ يَـــــتمُّ المفتَـــــتَحْ
لا تكـــــونَنَّ كمَـــــن جـــــدَّ إلى	منتهـــــى حاجتـــــهِ ثم جمَـــــحْ
لا فمـا يخـطُب مثلـي مـن سَـها	إنمــا يخطُــب مثلــي مــن ألَــحّْ

قال : فماج الناس بعضهم في بعض واضطرب الناس فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس وقالت لعبد الواحد : يا أبا عبيد ألست تعرف ولدي إبراهيم ؟ ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم ؟ وأنا لم أرض به عليهم ، فقد والله أعجبتني هذه الجارية وأنا أرضاها عروساً لولدي فكرر ما ذكرت من حسنها وجمالها . فأخذ عبد الواحد في وصف حور ، ثم أنشد :

تولَّـدَ نـورُ النـورِ مـن نـورِ وجههـا	فمازَجَ طيبَ الطيبِ من خالصِ العِطرِ
فلو وَطِئَت بالنعل منها على الحصَى	لأعشبَت الأقطارُ من غير ما قَطرِ
ولو شئتَ عِقدَ الخِصر منها عُقدتُه	كغصنٍ من الريحانِ ذي ورَقٍ خُضرِ
ولـو تفِلـت في البحـرِ شَـهْد رُضَـابِهَا	لطابَ لأهـل البَرِّ شربٌ مـن البَحرِ
يكـادُ اختلاس اللَّحظِ يجرحُ خـدَّها	بجارحِ وهمِ القلب من خارجِ البِشرِ

قال : فاضطرب الناس أكثر فوثبت أم إبراهيم وقالت لعبد الواحد : يا أبا عبيد والله قد أعجبتني هذه الجارية وأنا أرضاها عروساً لولدي فهل لك أن تزوجه بها وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار ويخرج معك في هذه الغزوة ؟ فلعل الله تعالى يرزقه الشهادة فيكون شفيعاً لي ولأبيه في القيامة ، فقال لها عبد الواحد : لئن فعلتِ هذا لتفوزين أنت وولدك فوزاً عظيماً ، ثم نادت ولدها : يا إبراهيم ، فوثب من وسط الناس وقال : لبيك يا أماه ، قالت : يا بني أرضيت بهذه الجارية زوجةً ببذل مهجتك في سبيل الله تعالى وترك العود في الذنوب ؟ فقال الفتى : إي والله يا أماه رضيت أيّ رضىً ، فقالت : اللهم إني أشهدك أن ولدي هذا رضي بهذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك وترك العود في الذنوب فتقبله مني يا أرحم الراحمين ، قال : ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار وقالت : يا أبا عبيد هذا مهر الجارية تجهز به الغزاة في سبيل الله تعالى ، وانصرفت ، فابتاعت لولدها فرساً جيداً واستجادت له سلاحاً ، فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيم يغدو والقراء حوله يقرؤون ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ والإنجيل وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ قال : فلما أرادت فراق ولدها دفعت إليه كفناً وحنوطاً وقالت له : أي بني ، إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن وتحنط بهذا الحنوط وإياك أن يراك الله تعالى مقصراً في سبيله ، ثم ضمته إلى

صدرها وقبلت بين عينيه وقالت : يا بني لا جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة ، قال عبد الواحد : فلما بلغنا بلاد العدو ونودي بالنفير وبرز الناس في القتال برز إبراهيم في المقدمة فقتل من العدو خلقاً كثيراً ثم اجتمعوا عليه فقتل ، قال عبد الواحد : فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي : لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب أجرها ، قال : فلما وصلنا إلى البصرة خرج الناس يتلقوننا وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج ، قال عبد الواحد : فلما بصرت بي قالت : يا أبا عبيد هل قُبِلت مني هديتي فأُهنَّأ أم رُدت علي فأُعزَّى ؟ قلت لها : قد قبلت هديتك والله ، إن إبراهيم حي مع الأحياء يرزق ، قال : فخرت ساجدة لله تعالى شكراً ، وقالت : الحمد لله الذي لم يخيب ظني وتقبل نسكي مني ، وانصرفت ، فلما كان من الغد أتت إلى مسجد عبد الواحد فنادته : السلام عليك يا أبا عبيد ، بشراك ، فقال : لا زلت مبشرة بالخير ، فقالت له : رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضةٍ حسناء وعليه قبة خضراء وهو على سرير من اللؤلؤ وعلى رأسه تاج وإكليل وهو يقول لي : يا أماه أبشري فقد قبل المهر وزفت العروس .

الباب الخامس

في فضل السبق إلى الجهاد والمبادرة إليه

قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وقال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ . قال عثمان بن أبي سودة أحد أئمة التابعين : بلغنا في هذه الآية ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ قال : أولهم خروجاً في سبيل الله تعالى وأولهم خروجا إلى الصلاة . رواه عنه عبدالرزاق بإسناد رجاله رجال الصحيح .

٦٨ – وعن الحسن بن أبي الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً فيه معاذ بن جبل رضي الله عنه ، فغدا القوم وتخلف معاذ حتى صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (ألا أراك سبقك القوم بشهرٍ في الجنة ؟ اِلحق أصحابك) فقال : يا رسول الله إني أردت أن أصلي معك وتدعو لي ليكون لي بذلك الفضل على أصحابي ، فقال : (بل لهم الفضل عليك ، الحق اصحابك) وقال : (روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وغدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها) . رواه سعيد بن منصور في سننه بإسناد جيد وهو مرسل . ورواه ابن المبارك عنه أيضاً مرسلاً إلا أن المتخلف عنده عبد الله بن رواحة وهو المعروف ولفظه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً فيهم عبد الله بن رواحة فغدا الجيش وأقام عبد الله بن رواحة ليشهد الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته قال : (يا ابن رواحة ألم تك في الجيش ؟) قال : بلى يا رسول الله ، ولكن أحببت أن أشهد الصلاة معك وقد علمت منزلهم فأروح فأدركهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم) . رواه أحمد وابن أبي شيبة والترمذي من حديث مقسم عن ابن عباس متصلاً بنحوه .

٦٩ – وخرج أحمد من طريق ابن لهيعة عن زبان عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر أصحابه بالغزو وأن رجلاً تخلف وقال لأهله : أتخلف حتى أصلي مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ثم أسلم عليه وأودعه فيدعو لي بدعوة تكون سابقة يوم القيامة ، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أقبل الرجل مسلماً عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتدري بكم سبقك أصحابك ؟) قال : نعم سبقوني اليوم بغدوتهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده لقد سبقوك بأبعد ما بين المشرقين والمغربين في الفضيلة) .

وذكره صاحب شفاء الصدور من حديث محمد بن داوود الفهري وقال في آخره : قال : (بل لهم الفضل عليك ، اِلحق أصحابك ، فلو كان لك أحُد ذهباً ثم أنفقتها في طاعة الله حتى لا تبقي منها شيئاً ما أدركت سبقة القوم التي سبقوك بها) .

٧٠ – وعن نفيع الحارثي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الأناة في كل شيء خير إلا في ثلاث : إذا صيح في خيل الله فكونوا في أول من ينفر ، وإذا نودي بالصلاة فكونوا أول من يخرج ، وإذا كانت الجنازة فعجلوا بالخروج بها ، ثم الأناة بعدُ خير ثم الأناة بعدُ خير ثم الأناة بعدُ خير) . ذكره في شفاء الصدور .

الباب السادس

في فضل الغدو والرواح في سبيل الله تعالى

٧١ – عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد – يعني سوطه – خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) . رواه البخاري ومسلم باختصار . الغدوة : بفتح الغين المعجمة : هي المرة الواحدة من الذهاب ، والروحة : بفتح الراء : هي المرة الواحدة من المجيء . قال النووي رحمه الله في شرح مسلم : الغدوة : السير أول النهار إلى الزوال ، والروحة : السير من الزوال إلى آخر النهار ، ومعناه : أن الروحة يحصل بها هذا الثواب وكذا الغدوة ، والظاهر أنه لا يختص ذلك بالغدو أو الرواح من بلدته بل يحصل هذا الثواب حتى بكل غدوة أو روحة في طريقه إلى الغزو ، وكذا غدوه ورواحه في موضع القتال لأن الجميع يسمى غدوة وروحة في سبيل الله تعالى ، ومعنى الحديث : أن فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابها خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها إنسان وتصور تنعمه بها كلها لأنه زائل ونعيم الأخرة باق ، قال القاضي : وقيل معناه ومعنى نظائره من تمثيل أمور الآخرة وثوابها بأمور الدنيا : أنها خير من الدنيا وما فيها لو ملكها إنسان وملك جميع ما فيها وأنفقه في أمور الآخرة . انتهى . قال ابن دقيق العيد في شرح العمدة : ولا شك أنه يقع على اليسير والكثير من الفعل الواقع في هذين الوقتين . – يعني فيما قبل الزوال وبعده – ، وقاب القوس : قدره ، وقيل : قابه : ما بين مقبضه وسِيَتِه ، ولكل قوس قابان ، والنصيف : بفتح النون وكسر الصاد المهملة : هو الخمار .

٧٢ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لروحة في سبيل الله أو غدوة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب ، ولقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب) . رواه البخاري .

٧٣ – وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو عليَّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم ، لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) . رواه البخاري ومسلم . وفي رواية لهما : (تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة) .

٧٤ – وعنه أيضاً قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا خرج الغازي في سبيل الله جعلت ذنوبه جسراً على باب بيته فإذا خلَّفَه خَلَّفَ ذنوبه كلَّها فلم يبق عليه منها مثل جناح بعوضة ، وتكفل الله له بأربع : بأن

يخْلُفه فيما خلَّف من أهل ومال ، وأي ميتة مات بها أدخله الله الجنة ، وإن رده رده سالماً بما أصاب من أجر أو غنيمة ، ولا تغرب شمس إلا غربت بذنوبه) . خرجه الطبراني وقال : لم يروه عن زاهر إلا عصمة يعني ابن المتوكل .

٧٥ – وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ولوقوف أحدكم في الصف خير من عبادة رجل ستين سنة) . خرجه عبدالرزاق عن هشام عنه مرسلاً ، وقد روي متصلاً من حديث أبي هريرة وغيره .

٧٦ – وخرج أحمد من طريق معاذ بن رفاعة حدثني علي بن زيد عن القاسم بن أبي أمامة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سريةٍ من سراياه قال : فمر رجل بغارٍ فيه شيء من ماء ، قال : فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من شيء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى من الدنيا ، قال : لو أني أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فإن يأذن لي فعلت وإلا لم أفعل ، فأتاه فقال : يا رسول الله إني مررت بغارٍ فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ، ولكن بعثت بالحنيفية السمحة ، والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ومقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة) .

قال المؤلف عفا الله عنه : وقد روى هذا الحديث الترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة بنحوه وقال : صحيح على شرط مسلم .

٧٧ – وخرج الحافظ أبو حفص بن شاهين في كتاب الترغيب والترهيب بإسناده عن عبد الله بن بشر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من تعبد عبد في بيته سبعين عاما) .

٧٨ – وعن سعيد بن أبي هلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسالك الدرجات العلى من الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أين الداعي ؟) قال : ها أنا ذا يا رسول الله ، قال : (أتدري لمن هي ؟) قال : لا ، قال : (هي للغادين الرائحين في سبيل الله) . ذكره في شفاء الصدور وهو مرسل .

وخرج ابن عساكر بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : غدوة في سبيل الله خير من سبعين حجة . وهذا موقوف وقد رواه ابن المبارك وعبد الرزاق إلا أنهما قالا فيه : لسفرة في سبيل الله خير من خمسين حجة .

٧٩ – وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (قفلة كغزوة) . رواه أبو داوود والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . القفلة : هي الرجعة من السفر ، ومعنى الحديث : أن المجاهد يؤجر في الرجوع من غزوه كما يؤجر في الذهاب إليه .

٨٠ – وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كلما ازداد الغازي في سبيل الله من أهله بعداً ازداد من الله تعالى قرباً) . ذكره في شفاء الصدور . ويشهد لهذا فعل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه فإنه لما غزا القسطنطينية واحتضر عند انقضاء مغزاهم فقال : إذا قبضت فاتركوا الخيل ثم القوا العدو فيردونكم حتى لا تجدوا متقدماً فاحفروا لي حينئذٍ قبراً ثم ادفنوني ثم سووه ولتطأ الخيل والرجال عليه حتى لا يعرف ، وكذلك فعل كعب فإنه اكتتب في بعض بعث الصائفة فخرج في البعث وهو مريض فقال : لئن أموت بحرستا أحب إلي من أن أموت بدمشق هكذا ، وأن أموت بدوما أحب إلي من أن أموت بحرستا هكذا قِدْماً في سبيل الله عز وجل ، قال : فلما مضى حتى إذا كان بحمص فتوفي بها ، وكذلك فعل محيريز بن جنادة رضي الله عنه على ما ذكر في الأصل .

٨١ – وخرج ابن عساكر بإسناده عن سعيد بن عبد العزيز قال : توفي أبو مسلم الخولاني بأرض الروم بحمة بسر في خلافة معاوية فقال لبسر بن أرطاة : أَمِّرْني على من مات معك من المسلمين واعقد لي لواء عليهم واجعل قبري أقصى

القبور إلى العدو فإني أرجو أن أجيء يوم القيامة بلوائهم . وروى ابن المبارك عن مسعر قال : سمعت عون بن عبد الله يحدث أن رجلاً مر عليه يوم القادسية وقد انتثر قصبه فقال لبعض من مر عليه : ضم إلي منه لعلي أن أدنو في سبيل الله قيد رمح أو رمحين ، قال : فمر عليه وقد دنا قيد رمح أو رمحين .

قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذه الآثار دليل على أن السلف رضي الله عنهم كانوا يتنافسون في بعد المسافة من مكانهم الذي خرجوا منه إلى الجهاد ، ويرغبون في القرب من دار العدو والتوغل في أرضهم والدفن فيها ، وكيف لا والغريب الذي ليس بمجاهد إذا مات بغير الأرض التي ولد فيها قيس له في قبره من مولده إلى البقعة التي مات بها على ما ذكر في الأصل فكيف بمن خرج من بيته مجاهداً في سبيل الله وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .

الباب السابع

في فضل المشي والغبار في سبيل الله تعالى

٨٢ – خرج البخاري في صحيحيه عن أبي عبس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار) ، وفي لفظٍ له : (ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله وتمسه النار) .

٨٣ – خرج الطبراني والبيهقي بإسنادهما عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من رجل يغبر وجهه في سبيل الله إلا أمّنه الله من دخان النار يوم القيامة ، وما من رجل تغبر قدماه في سبيل الله إلا أمّن الله قدميه النار يوم القيامة) .

٨٤ – وعن عمرو بن قيس الكندي قال : كنا مع أبي الدرداء منصرفين من الصائفة فقال : يا أيها الناس اجتمعوا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من اغبرت قدماه في سبيل الله حرم الله سائر جسده على النار) . خرجه الطبراني في الأوسط وقال : تفرد به صدقة بن موسى الدقيقي .

٨٥ – وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من اغبرت قدماه في سبيل الله حاجاً أو غازياً أو مرابطاً حرم الله لحمه ودمه على النار) . خرجه ابن عساكر والسلطان نور الدين .

٨٦ – وعنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما اغبرت قدما أحدٍ في سبيل الله فأصيب بلهب النار أبداً) . خرجه ابن عساكر .

٨٧ – وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يعذب الله قدمي امرئ ولا وجهاً اغبر في سبيل الله عز وجل) . خرجه ابن عساكر أيضاً ، وفي رواية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من اغبرت قدماه في سبيل الله فلن يلج النار أبداً) .

٨٨ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً) . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائي والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٨٩ – وعن أبي الْمُصَبِّح الْمُقْرائي قال : بينما نحن نسير بأرض الروم في طائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمي إذ مر مالك بجابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو يمشي يقود بغلاً له فقال مالك : أي أبا عبد الله اركب فقد حملك الله ، فقال جابر : أصلح دابتي وأستغني عن قومي وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار) ، فسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت نادى بأعلى صوته : يا أبا عبد الله اركب فقد حملك الله ، فعرف جابر الذي يريد فقال : أصلح دابتي وأستغني عن قومي وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : (من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار) ، فتواثب الناس عن دوابهم ، فما رأيت يوماً أكثر ماشياً منه ، وفي رواية فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من اغبرت قدماه في سبيل الله ساعةً من نهار فهما حرام على النار) . رواه ابن المبارك وابن حبان . الْمُصَبِّح : بضم الميم وتشديد الباء الموحدة وكسرها . والْمُقْرائي : بضم الميم على المشهور وبسكون القاف بعدهما راء وألف ممدودة نسبة إلى مقراء قرية بدمشق .

٩٠ – وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يجمع الله عز وجل في جوف عبد غباراً في سبيل الله ودخان جهنم ، ومن اغبرت قدمه في سبيل الله باعد الله منه النار يوم القيامة مسيرة ألف عام للراكب المستعجل ، ومن جرح جراحة في سبيل الله ختم له بخاتم الشهداء له نور يوم القيامة لونها مثل لون الزعفران وريحها مثل المسك يعرفه بها الأولون والآخرون يقولون : فلان عليه طابع الشهداء ، ومن قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة) . رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن خالد بن دريك لم يدرك أبي الدرداء .

٩١ – وعن ربيع بن زياد أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير إذ بغلام من قريش معتزل من الطريق يسير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أليس ذاك فلان ؟) قالو : بلى ، قال : (فادعوه) قال : فدعوه قال : (فما بالك اعتزلت الطريق ؟) قال : يا رسول الله كرهت الغبار ، قال : (فلا تعتزله ، فوالذي نفسي بيده إنه لذريرة الجنة) . رواه ابن أبي شيبة وأبو داوود في المراسيل .

٩٢ – وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تلثموا من الغبار في سبيل الله فإن الغبار في سبيل الله قتار مسك الجنة) . رواه الطبراني ومن طريقه ابن عساكر وقال : حديث غريب .

٩٣ – وخرج ابن عساكر بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الغبار في سبيل الله أسفار الوجوه يوم القيامة) .

٩٤ – وعن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، قال : وكان أبو لبابة وعلي زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فكان إذا كان عقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا : لا يا رسول الله نحن نمشي عنك ، فيقول : (ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما) . رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

مسألة :

حكى ابن يونس الصقلي في كتاب الجامع لمسائل المدونة عن مكحول : أنه كره التلثم في سبيل الله ، يعني من أجل الغبار . قال المؤلف عفا الله عنه : وينبغي أن يكون مكروهاً عند غيره أيضاً لما ورد من النهي عن التلثم والترغيب في الغبار وفضله ، وقد كره جماعة من العلماء السواك للصائم بعد الزوال لا لنهي ورد فيه ولكن لإزالته الخلوف الذي هو أحب إلى الله من ريح المسك ، فكراهة التلثم للاحتراز من الغبار أولى لأن السواك من أفضل السنن وآكدها وقد صار مكروهاً لإزالته ذلك الأثر المرغب فيه ، فكراهة التلثم الذي ليس بمسنون ولا مستحب أولى لكونه يمنع الغبار الذي هو سبب التحريم على النار وقد نهي عنه ، والله اعلم .

حكاية :

ذكر صاحب شفاء الصدور عن القاسم بن محمد قال : أصبح سالم بن عبد الله ذات يوم فقال لأهله : جهزوني فإني لا أبيت فيها الليلة ، قالوا : فلو كنت تقدمت إلينا في هذا ، فقال : إني رأيت الليلة فيما يرى النائم كأني انتهيت إلى

باب السماء فقرعت الباب ، فقيل : من هذا ؟ فقيل : سالم بن عبد الله ، فقال : كيف نفتح لرجل لم تغبر قدماه في سبيل الله ليلاً ولا نهاراً ، قال : وبلغني أن سالماً قال : وأن عبد الله رأى مثل تلك الرؤيا .

الباب الثامن

في فضل الغزو في البحر على الغزو في البر
وفضل النظر في البحر والتكبير في سبيل الله تعالى

٩٥ – عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فأطعمته ، ثم جلست تفلي رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : (ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة) قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ، ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : (ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله) كما قال في الأولى ، قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : (أنت من الأولين) فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت . رواه البخاري ومسلم .
ثبج البحر : بفتح الثاء المثلثة والباء الموحدة جميعاً بعدهما جيم هو وسط البحر ومعظمه .
قال المؤلف عفا الله عنه : كان أول من غزا في سبيل الله في البحر معاوية في زمن عثمان رضي الله عنه ، وأغزا معاوية عبادة بن الصامت قبرص فخرجت معه زوجته أم حرام فلما أن جاءت قربت لها بغلة لتركبها فصرعت فاندق عنقها قال بعضهم : فأهل قبرص يستسقون بقبرها رضي الله تعالى عنها ، ثم أغزا أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية وجهز إليها الجيوش براً وبحراً فأغزا أهل الشام الجزيرة في البر في نحو من عشرين ومائة ألف وأغزا أهل مصر والمغرب في البحر في ألف مركب فنزلوا بفنائها يحاصرونها ثلاثين شهراً حتى أكل الناس الميتة والعذرة من الجوع ، هذا وفي وسط العسكر عرمة حنطة مثل الجبل يغيظون بها الروم ، قال محمد بن زياد الإلهاني : غزونا القسطنطينية فجعنا حتى هلك ناس كثير وإن كان الرجل ليخرج إلى قضاء الحاجة والآخر ينظر إليه فإذا فرغ أقبل ذلك على رجيعه فأكله وإن الأهراء [جمع هرى بالضم : بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان] من الطعام كالتلال لا نصل إليها نكايد بها أهل القسطنطينية ، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه أذن لهم في الترحل عنها وكان سبب امتناعهم عليهم ما ذكرناه في باب المغازي من الأصل في سنة ثمان وتسعين .
واعلم أن لغزو البحر فضائل ليست لغزو البر : منها : أن شهيد البحر أفضل على الإطلاق من شهيد البر :
٩٦ – لما رواه الطبراني عن سعيد بن جنادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (شهداء البحر أفضل عند الله من شهداء البر) . ومنها : أن غزوة في البحر أفضل من عشر غزوات في البر :
٩٧ – لما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات ، وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج ، وغزوة في البحر خير من عشر غزواتٍ في البر ، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها ، والمائد فيه كالمتشحط في دمه) . رواه الطبراني والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري .

٩٨ – وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فضل غازي البحر على غازي البر كعشر غزوات) . رواه الطبراني في حديث يأتي .

ومنها : أن المائد في البحر كالشهيد المتشحط في دمه في البر ، والمراد بالمائد : من تدور رأسه عند ركوب البحر .

٩٩ – روى أبو داوود بإسناد رجاله ثقات عن أم حرام رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (المائد في البحر : الذي يصيبه القيء له أجر شهيد) . وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو موقوفا قال : المائد في البحر غازيا كالمتشحط في دمه شهيداً في البر .

١٠٠– وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لو كنت رجلاً لم أجاهد إلا في البحر ، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من أصابه ميد في البحر كان كالمتشحط في دمه في البر) . خرجه سعيد بن منصور عن رجل عنها ، وقد روي هذا المعنى من حديث أبي أمامة وغيره على ما هو مذكور في الأصل .

١٠١– ومنها : ما خرجه ابن عساكر عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من غزا غزوة في سبيل الله في البحر والله أعلم بمن هو في سبيله فقد أدى إلى الله طاعته كلها وطلب الجنة كل مطلب وهرب من النار كل مهرب) .

ومنها : ما روي أن فضل الغازي في البحر على الغازي في البر كفضل الغازي في البر على الجالس في بيته :

١٠٢– خرج الطبراني بإسناده عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن لله ملائكة ينزلون كل ليلة يحبسون الكَلال عن دواب الغزاة إلا دابة في عنقها جرس) .

١٠٣– وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فضل غازي البحر كفضل غازي البر على القاعد في أهله وماله) . الكلال : بفتح الكاف هو أشد التعب . ومنها : ما روي : أن ملك الموت يقبض روح كل شهيد وغيره إلا شهيد البحر فإن الله تعالى يتولى قبض أرواحهم لكرامتهم عليه سبحانه وتعالى .

١٠٤– خرج ابن ماجه والطبراني وغيرهما من طريق عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (شهيد البحر مثل شهيدي البر ، والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر ، وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله عز وجل ، وإن الله وكل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهداء البحر فإن الله متول قبض أرواحهم ، ويغفر لشهيد البحر الذنوب كلها إلا الدين ويغفر لشهيد البحر الذنوب كلها والدين) . ومنها : أن أجر جهاد يوم في البحر كأجر جهاد شهر في البر :

عن سعيد بن أبي هلال أن كعب الأحبار كان يقول : لصاحب البحر على صاحب البر من الفضيلة أنه حين يضع قدميه فيه إذا كان محتسباً تفتح له أبواب الجنة ، فإن قتل أو غرق كان له أجر شهيدين ، وأنه يكتب له من الأجر من حين يركبه حتى يصير كأجر رجل ضربت عنقه في سبيل الله فهو يتشحط في دمه ، ويوم في البحر خير من شهر في البر وشهر في البحر خير من سنة في البر . خرجه سعيد بن منصور موقوفا على كعب ورجال إسناده رجال الصحيح .

١٠٥– وروى عبد الرزاق عن عبد القدوس حدثنا علقمة ابن شهاب القرشي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لم يدرك الغزو معي فليغز في البحر ، فإن أجر يوم في البحر كأجر شهر في البر ، وإن القتيل في البحر كالقتيلين في البر ، وإن المائد في سفينته كالمتشحط في دمه ، وإن خيار شهداء أمتي أصحاب الأكف) قالوا : وما أصحاب الأكف يا رسول الله ؟ قال : (قوم تنكفي بهم مراكبهم في البحر في سبيل الله) . خرجه ابن المبارك عن سعيد بن عبد العزيز عنه ، وخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عن سعيد بن عبد العزيز عنه ولفظه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لم يدرك الغزو معي فليغز في البحر فإن غزوة في البحر أفضل من غزوتين في البر ، وإن

شهيد البحر له أجر شهيدين في البر ، وإن أفضل الشهداء عند الله أصحاب الوكوف) قيل : يا رسول الله ما أصحاب الوكوف ؟ قال : (قوم تكفأ بهم مراكبهم في البحر في سبيل الله تعالى) .

ومنها : ما روي : أن لغازي البحر ما بين كل موجتين كمن قطع الدنيا في طاعة الله عز وجل ، تقدم في حديث أبي أمامة : وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله عز وجل .

١٠٦- وذكر في شفاء الصدور عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من ركب البحر غازياً كان له ما بين كل موجتين كأنه قطع الدنيا في طاعة الله عز وجل) .

ومنها : ما روى أن من غزا في البحر كان كمن غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم :

١٠٧- وخرج الطبراني وابن عساكر وغيرهما بأسانيدهم عن علقمة ابن شهاب عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من فاته الغزو معي فليغز في البحر) . وقد رواه ابن المبارك وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وجماعة أطول من هذا عن علقمة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم مرسلاً ولم يذكروا فيه واثلة وأسانيده صحاح .

١٠٨- وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن شريح أنه بلغه عن أبي حجيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من لم يدرك الغزو معي فعليه بغزو البحر) . وهذا الحديث مرسل وفيه انقطاع .

١٠٩- وعن معاوية بن صالح عن المهاجر بن حبيب أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (غزوة في البحر كخمسين غزوة معي ، ومن غزا في البحر ثم عاد إليه كان كمن استجاب لله والرسول) . أخرجه ابن عساكر وهو مرسل غريب . ومنها : أن غزاة البحر لا يحزنهم الفزع الأكبر :

١١٠- ذكر صاحب شفاء الصدور عن موسى بن وردان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رأيت قوماً من أمتي يغزون هذا البحر لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم القيامة) . قال المؤلف عفا الله عنه : وهذا مرسل ، وقد صح : أن المرابط إذا مات يبعث يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر كما سيأتي ، وغازي البحر أعلى منه مرتبة وأولى منه بهذا الفضل ، والله تعالى أعلم . ومنها : أن الغازي في البحر إذا وضع رجله في السفينة تخلف خطاياه خلف ظهره ويخرج منها كيوم ولدته أمه ويضحك الله عز وجل إليه : روى سعيد بن منصور في سننه بإسناد جيد عن كعب الأحبار موقوفاً عليه قال : إذا وضع الرجل رجله في السفينة خلّف خطاياه خلف ظهره ويخرج منها كيوم ولدته أمه ، والمائد فيه كالمتشحط في دمه في سبيل الله ، والصابر فيه كالملك على رأسه التاج . وعن حي المعافري أنهم كانوا جلوسا مع عبد الله بن عمرو عند منارة الإسكندرية حين رفعت المراكب متوجهين إلى العدو ، فقال عبدالله بن عمرو : يا مسلمة ، أين ذنوب هؤلاء ؟ فقال مسلمة : خطاياهم في رقابهم ، فقال عبد الله : كلا ، والذي نفسي بيده لقد خلّفوها في هذه الجبانة إلا ما استحدثوا من دَين . خرجه الإمام أبو بكر بن المنذر في كتابه الأوسط ، وهذان الحديثان وإن كانا موقوفين فإنهما كالمرفوعين لأن مثلهما لا يقال من قبل الرأي . وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرت أن مسلمة بن مخلد قال لقوم ركبوا غزاة في البحر : ما تركوا ورائهم من ذنوبهم شيئا . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : إن الله ليضحك إلى أصحاب البحر مرارا حين يستوي في مركبه ويخلي أهله وماله وحين يأخذه الميد في مركبه وحين يوجه البر فيشرف إليه . رواه ابن أبي شيبة هكذا موقوفا بإسنادٍ جيد ورواه ابن المنذر أيضا ولفظه : قال : يضحك الله إلى صاحب البحر ثلاث مرات : حين يركبه ويتخلى من أهله وماله ، وحين يميد ، وحين يرى البر إما شاكرا وإما كفورا . ومنها : ما روي أن شهيد البحر لا يجد القتل في سبيل الله إلا كشربة عسل بماءٍ باردٍ :

١١١- ذكر صاحب شفاء الصدور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (شهيد البحر لا يألم السلاح إلا كشربة عسل بماء بارد على الظمأ ، وشهيد البر لا يألم السلاح إلا كعضة نملة) .

حكاية :

قال خيثمة : كان عندنا بطرابلس رجل يعرف بعاصم ويكنى أبا علي فتوفي فرأيته في النوم فقلت : إيش حالك يا أبا علي ؟ فقال : إنا لا نكنى بعد الموت ، ولم يجبني بغير ذلك ، فقلت : إيش حالك يا عاصم وإلى ماصرت ؟ قال : صرت إلى رحمة واسعة وجنة عالية ، قلت : بماذا ؟ قال : بجهادي في البحر . خرجه ابن عساكر .

فصل

١١٢- وخرج الطبراني بإسناده عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جلس على البحر احتساباً ونيته احتياطاً للمسلمين كتب الله له بكل قطرة حسنة) .

١١٣- وذكر صاحب شفاء الصدور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الناظر في البحر في سبيل الله يكون له مد بصره نور ليستضيء به كما بين صنعاء والجابية) .

١١٤- وذكر أيضاً عن ابن أبي نجيح عمن حدثه برفع الحديث : أن النظر في البحر عبادة ، قال : (ومن نظر إلى البحر إحاطة على المسلمين غفر له بكل قطرة فيه) .

١١٥- وذكر أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج في بعض غزواته ومعه عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه فمروا بروضة وغدير فقال عثمان : يا رسول الله لو أن عبداً أقام هاهنا يعبد الله حتى يموت ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لنظرة ينظرها رجل في بحرٍ لجي خير له من عبادة رجل فيما هاهنا أربعين عاماً رجاء ثواب ربه وتصديق موعده) . وذكر أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : من كبر تكبيرةً في سبيل الله رافعاً بها صوته كتب الله له مائة ألف حسنة . وذكر أيضاً قال : ذكر عبد المؤمن قال : إذا كان يوم القيامة خلق الله أرضاً بيضاء يغشاها سحاب الرحمة ثم ينادي منادٍ من عنده : أين المرابطون ؟ اصعدوا على هذه الأرض ، فإذا صعدوا نصب لهم كراسي من نور ، ثم ينادي لهم جبريل : قولوا مثل الذي كنتم تقولون على ساحل البحر - يطلب منهم التهليل والتكبير - ، فتمر بهم الأرض مر السحاب حتى يقفوا بين يدي الله تعالى فيقول لهم : مرحباً وأهلاً بأوليائي المرابطين في دار الدنيا ، يا جبريل شق بهم الأرض شقاً إلى الجنة .

١١٦- وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة أصوات يباهي الله بها الملائكة : الأذان ، والتكبير في سبيل الله تعالى ، ورفع الصوت بالتلبية) . خرجه ابن عساكر .

١١٧- وخرج أيضاً بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كبر تكبيرة على البحر كانت في ميزانه صخرة) قيل : يا رسول الله ما قدرها ؟ قال : (تملأ ما بين السماء والأرض) . وذكره صاحب شفاء الصدور من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إلا أنه قال : (كان له بها صخرة في ميزانه يوم القيامة أثقل من السموات السبع والأرضين السبع وما بينهن وما فوقهن وما تحتهن) .

حكاية :

قال شهر بن حوشب : أردت غزاة وكان لي ابن أخٍ يرهق ، فكرهت أن أخلفه ، فغزوت به معي ، فلما قفلنا مرض مرضاً شديداً ، قال : فدخلت بعض تلك الصوامع ، فقلت : أصلي ، فانشقت الصومعة فدخل ملكان أبيضان وملكان أسودان ، فقعد الأبيضان عن يمينه والأسودان عن يساره ، فلمسه الأبيضان بأيديهما ، فقال الأسودان : إنا نحن أحق به ، فقال الأبيضان : كلا ، فأخذ أحد الأبيضين إصبعيه فأدخلهما في فيه فقلب لسانه فقال : الله أكبر !

نحن أحق به ، قد كبر تكبيرة يوم فتح أنطاكية ، فخرج شهر بن حوشب فنادى في الناس : من أراد أن يحضر جنازة رجل من أهل الجنة فليحضر جنازة ابن أخي ، فقال الناس : جن شهر ! بالأمس يقول ما يقول واليوم يقول رجل من أهل الجنة ؟ فبلغ ذلك الأمير فبعث إليه فأخبره بما رأى فصلى عليه والناس . خرجها ابن أبي الدنيا في كتاب الجهاد بإسناده ، وذكرها صاحب كتاب الوعظ والرقائق بغير إسناد إلا أنه قال : عن أبي قلابة قال : كان لي ابن أخ يتعاطى الشراب ، فمرض فبُعث إلي ليلا أن الحق به فأتيته فرأيت ملكين أسودين قد دنيا من ابن أخي فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! فقد هلك ابن أخي ، فاطلع ملكان أبيضان من الكوة التي في البيت فقال أحدهما لصاحبه : انزل إليه ، فلما نزل إليه تنحى الأسودان ، فجاءه فشم فاه فقال : ما أرى فيه ذكراً ، ثم شم بطنه فقال : ما أرى فيه صوماً ، ثم شم رجليه ، فقال : ما أرى فيه صلاةً ، ثم عاد فأخرج طرف لسانه فشمه فقال الملك : الله أكبر ! أراه قد كبر تكبيرةً في سبيل الله يريد بها وجه الله بأنطاكية ، ثم فاضت نفسه ، وشممت في البيت رائحة المسك ، وذكر نحو ما تقدم .

قوله : يرهق : يغشى المحارم .

الباب التاسع

في فضل النفقة في سبيل الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قال القرطبي وغيره : معناه : من ذا الذي ينفق في سبيل الله حتى يبدله الله بالأضعاف الكثيرة . وقال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

١١٨- قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : لما نزلت : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ الآية ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رب زد أمتي) فنزلت : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رب زد أمتي) فنزلت : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . رواه ابن حبان وغيره .

١١٩- وعن خريم بن فاتك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أنفق نفقةً في سبيل الله كتبت بسبعمائة ضعف) . رواه الترمذي وحسنه النسائي وابن حبان والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

١٢٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتي بفرس يجعل كل خطوة من أقصى بصره فسار وسار معه جبريل ، فأتوا على قوم يزرعون في يومٍ ويحصدون في يومٍ ،كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) الحديث ... خرجه البزار والبيهقي .

١٢١- وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل بناقةٍ مخطومةٍ فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة) .

١٢٢- وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا اغبرت قدم في عمل يبتغى به درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهادٍ في سبيل الله عز وجل ، ولا ثقل ميزان عبد كدابة تَنْفَق له في سبيل الله أو يحمل عليها في سبيل الله عز وجل) . خرجه ابن المبارك بإسنادٍ حسن .

قوله : شحب بفتح الشين المعجم وكسر الحاء المهملة وبعدهما باء موحدة : أي تغير ، والشحوب : تغير الوجه من خوف أو حزن أو نحوه . وقوله : تَنفَق : أي تموت .

١٢٣- وقد جاء في الحديث : (إن النفقة إنما تكون بسبعمائة ضعف إذا أرسلها الرجل أو جهزها من يجاهد ، وأما من جاهد وأنفقها في جهاده فإنه تكون له بسبعمائة ألف ضعف) .

١٢٤- وعن علي بن أبي طالب وأبي الدرداء وأبي هريرة وأبي أمامة وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين رضي الله تعالى عنهم كلهم يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أرسل نفقةً في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ، ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ، ثم تلى هذه الآية : ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ . خرجه ابن ماجه والبيهقي في الشعب وابن عساكر كلهم من طريق الخليل بن عبد الله عن الحسن عنهم ، وقال ابن عساكر : هو حديث حسن .

١٢٥- وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (طوبى لمن أكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة ، كل حسنة منها عشرة أضعاف مع الذي له عند الله من المزيد) قيل : يا رسول الله فالنفقة ؟ قال : (النفقة على قدر ذلك) قال عبد الرحمن : فقلت لمعاذ : إنما النفقة بسبعمائة ضعف ، فقال معاذ : قل فهمك ! إنما ذلك إذا أنفقوها وهم مقيمون في أهاليهم غير غزاةٍ فإذا غزوا وأنفقوا خبأ الله لهم من خزائن رحمته ما ينقطع عنه علم العباد وصفتهم فأولئك حزب الله وحزب الله هم الغالبون . خرجه الطبراني وفي إسناده راوٍ لم يسم . وعن الحجاج بن العرافصة قال : بلغنا أنه من خرج غازياً في سبيل الله تعالى بماله ونفسه كان له بكل درهم سبعمائة ضعف كل ضعف سبعون ألفاً . ذكره في شفاء الصدور . وجاء أيضاً : أن من أنفق نفقةً في سبيل الله وضعت في ميزانه كل يوم .

١٢٦- وروى ابن المبارك عن زائدة عن ركين بن الربيع عن الربيع عن خريم رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أنفق نفقةً في سبيل الله جعلت في ميزانه كل يوم) .

١٢٧- وجاء أيضاً : (أن من أنفق زوجين في سبيل الله ابتدرته خزنة الجنة يوم القيامة يدعونه إلى ما عندهم) .

١٢٨- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من أنفق من ماله زوجين في سبيل الله ابتدرته حجبة الجنة) زاد في رواية : قال صعصعة بن معاوية : قلت : وما زوجان من ماله ؟ قال : (فرسان من خيله أو بعيران من إبله) . خرجه النسائي والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ولفظه : (ما من عبد ينفق من مالٍ له زوجين في سبيل الله إلا استقبلته حجبة الجنة كلهم يدعونه إلى ما عندهم) قلت : وكيف ذلك ؟ قال : (إن كان رجالاً فرجلين وإن كان إبلاً فبعيرين وإن كان بقراً فبقرتين) . وخرجه ابن عساكر بنحوه وفيه قال : فسألناه ما هذان الزوجان ؟ قال : (درهمين أو خفين أو نعلين أو ثوبين) .

١٢٩- وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من رجل ينفق زوجين في سبيل الله إلا تلقته الملائكة يوم القيامة معهم الريحان على أبواب الجنة ينادونه : يا عبد الله ! يا مسلم ! هلم هلم) . خرجه ابن عساكر وهو في الصحيحين بنحوه أطول منه .

فصل

١٣٠- خرج أحمد والترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : جهز عثمان بن عفان رضي الله عنه جيش العسرة في غزوة تبوك بألف دينار فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول : (ما ضر ابنَ عفان ما عمل بعد اليوم) يرددها مراراً ، وفي رواية لابن هشام في سيرته : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض) ، وذكر أبو عمر ابن عبد البر : أن عثمان رضي الله عنه جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين ناقة وخمسين فرساً .

١٣١- وخرج أبو أحمد ابن عدي بإسناده عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم : بعث إلى عثمان يستعينه في غزاةٍ غزاها فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يديه ، قال : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بين يديه ويدعو له ويقول : (غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما عمل بعدها) . وخرج ابن عساكر بإسناده أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله وكان الرجل يعطى ألف دينار . وذكر القرطبي في تاريخه : أن ذا الرياستين بن سهل : أنفق في سبيل الله ألف ألف دينار وقال : لو كان لي ضعف ذلك لأنفقته .

وحكايات المنفقين في سبيل الله تعالى وما أنفقوه تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى رغبةً فيما عنده لا تنحصر ، وما زال السلف الصالح رضي الله عنهم يبذلون جهدهم في الإنفاق في سبيل الله والتقرب إلى الله بمساعدة الغزاة وإدخال السرور عليهم بما تصل إليه استطاعتهم قليلاً أو كثيراً ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

حكاية :

قال أحمد ابن الجوزي الدمشقي في كتابه المسمى بـ : سوق العروس وأنس النفوس : كان بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له : أبو قدامة الشامي وكان قد حبب الله تعالى إليه الجهاد في سبيل الله والغزو إلى بلاد الروم فجلس يوماً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع أصحابه فقالوا : يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيته في الجهاد ، قال : نعم ، إني دخلت في بعض السنين الرقة أطلب جملا أشتريه ليحمل سلاحي فبينا أنا جالس يوماً إذ دخلت علي امرأة فقالت : يا أبا قدامة سمعتك تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رزقت من الشعر ما لم يرزقه غيري من النساء وقد قصصته وأصلحت منه شكالاً للفرس وعفرته بالتراب لئلا يراه أحد وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرت في بلاد الكفار وجالت الأبطال ورميت النبال وجردت السيوف وشرعت الأسنة فإن احتجت إليه وإلا ادفعه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعري ويصيبه الغبار في سبيل الله تعالى ، فأنا امرأة أرملة كان لي زوج وعصبته كلهم قتلوا في سبيل الله ولو كان علي جهاد لجاهدت ، قال : وناولتني الشكال ، وقالت : يا أبا قدامة إن زوجي لما قتل خلف لي غلاماً من أحسن الشباب وقد تعلم القرآن والفروسية والرمي عن القوس وهو قوام بالليل وصوام بالنهار وله من العمر خمسة عشر سنة وهو غائب في ضيعة خلفها له أبوه ، فلعله يقدَم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى الله عز وجل وأنا أسألك بحرمة الإسلام لا تحرمني ما طلبت من الثواب ، قال : فأخذت الشكال منها فإذا هو مضفور من شعر رأسها ، فقالت : ألقه في بعض رحلك وأنا أنظر إليه ليطمئن قلبي ، قال : فطرحته في رحلي وخرجت من الرقة ومعي أصحابي ، فلما صرنا إلى حصن مسلمة بن عبد الملك إذا بفارس يهتف من ورائي : يا أبا قدامة قف قليلاً يرحمك الله فوقفت وقلت لأصحابي : تقدموا أنتم حتى أنظر من هذا ، وإذا بفارس دنا مني وعانقني وقال : الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائباً ، قلت : حبيبي أسفر لي عن وجهك فإن كان يلزم مثلَك غزوٌ أمرتك بالمسير ، وإن لم يلزمك غزو رددتك ، فأسفر عن وجهه فإذا غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة ، قلت : حبيبي ألك والد ؟ قال : لا بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدي فإنه استُشهد فلعل الله يرزقني الشهادة كما رزق أبي ، قلت : حبيبي ألك والدة ؟ قال : نعم ، قلت : اذهب إليها فاستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها ، فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد ، فإن الجنة تحت ظلال السيوف وتحت أقدام الأمهات ، قال : يا أبا قدامة أما تعرفني ؟ قلت : لا ، قال : أنا ابن صاحبة الوديعة ما أسرع ما نسيت وصية أمي صاحبة الشكال وأنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد سألتك بالله لا تحرمني الأجر معك في سبيل الله فإني حافظ لكتاب الله تعالى عارف بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عارف بالفروسية والرمي ، وما خلفت ورائي أفرس مني فلا تحقرني لصغر سني وإن أمي قد أقسمت علي أن لا أرجع وقالت : يا بني إذا لقيت الكفار

فلا تولهم الأدبار ، وهب نفسك لله واطلب مجاورة أبيك مع إخوانه الصالحين في الجنة ، فإذا رزقك الله تعالى الشهادة فاشفع فيَّ فإنه قد بلغني : أن الشهيد يشفع في سبعين من أهله وسبعين من جيرانه ، ثم ضمتني إلى صدرها ورفعت رأسها إلى السماء وقالت : إلهي وسيدي ومولاي هذا ولدي وريحانة قلبي وثمرة فؤادي سلمته إليك فقربه من أبيه ، قال : فلما سمعت كلام الغلام بكيت بكاءً شديداً أسفاً على حسنه وجمال شبابه ورحمة لقلب والدته وتعجبا من صبرها عنه ، قال : فسرنا ونزلنا تلك الليلة ، فلما كان الغداة رحلنا والغلام لا يفتر عن ذكر الله تعالى ، فتأملته فإذا هو أفرس منا إذا ركب وخادمنا إذا نزلنا منزلاً ، وصار كلما سرنا يقوى عزمه ويزداد نشاطه ويصفو قلبه وتظهر علامات الفرح عليه ، قال : فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على بلاد المشركين عند غروب الشمس فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعاماً لإفطارنا وكنا صائمين فغلبه النعاس فنام نومة طويلةً فبينا هو نائم إذ تبسم في نومه فقلت لأصحابي : ألا ترون لضحك هذا الغلام في نومه ؟ فلما استيقظ قلت له : حبيبي رأيتك الساعة تتبسم في نومك ضاحكا ، قال : رأيت رؤيا أعجبتني وأضحكتني ، قلت : ما هي ؟ قال : رأيت كأني في روضةٍ خضراء أنيقة فبينا أنا أجول فيها إذ رأيت قصرا من فضة شرفتاه من الدر والجوهر وأبوابه من الذهب وستوره مرخية وإذا جوار يرفعن الستور وجوههن كالأقمار فلما رأينني قلن لي مرحبا بك فأردت أن أمد يدي إلى إحداهن فقالت : لا تعجل ما أنا إلا لك ، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض : هذا زوج المرضية ، فقلن لي : تقدم يرحمك الله ، فتقدمت أمامي فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر قوائمه من الفضة البيضاء عليه جارية وجهها كأنه الشمس لولا أن الله تعالى ثبت علي بصري لذهب وذهل عقلي من حسن الغرفة وبهاء الجارية قال : فلما رأتني الجارية قالت : مرحباً وأهلاً وسهلاً يا ولي الله وحبيبه أنت لي وأنا لك فأردت أن أضمها إلى صدري فقالت : مهلا لا تعجل فإنك بعيد من الخنا ، وإن الميعاد بيني وبينك غدا عند صلاة الظهر فأبشر ، قال أبو قدامة : فقلت : حبيبي رأيت خيرا وخيرا يكون ، ثم بتنا متعجبين من منام الغلام فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا فإذا المنادي ينادي : يا خيل الله اركبي ، وبالجنة أبشري ، انفروا خفافاً وثقالاً ، فما كان إلا ساعةً وإذا جيش الكفر خذله الله قد أقبل كالجراد المنتشر ، فكان أول من حمل منا فيهم الغلام فبدد شملهم وفرق جمعهم وغاص في وسطهم فقتل منهم رجالاً وجندل أبطالا ، فلما رأيته كذلك لحقته فأخذت بعنان فرسه وقلت : يا حبيبي ارجع فإنك صبي ولا تعرف خدع الحرب ، فقال : يا عم ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴾ أتريد أن أدخل النار ؟ فبينا هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحدٍ فحالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه واشتغل كل واحدٍ بنفسه وقتل من المسلمين خلق كثير ، فلما افترق الجمعان إذ القتلى لا يحصون عدداً فجعلت أجول بفرسي بين القتلى ودماؤهم تسيل على الأرض ووجوههم لا تعرف من كثرة الغبار والدماء ، فبينا أنا أجول بين القتلى وإذا أنا بالغلام بين سنابك الخيل قد علاه التراب وهو يتقلب في دمه ويقول : يا معشر المسلمين بالله ابعثوا لي عمي أبا قدامة ، فأقبلت إليه عندما سمعت صياحه فلم أعرف وجهه لكثرت الدماء والغبار ودوس الدواب فقلت : ها أنا أبو قدامة ، فقال : يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة ، أنا ابن صاحبة الشكال ، فعندها رميت بنفسي عليه وقبلت بين عينيه ومسحت التراب والدم عن محاسنه ، وقلت : يا حبيبي لا تنس عمك أبا قدامة واجعله في شفاعتك يوم القيامة ، فقال : مثلك لا ينسى تمسح وجهي بثوبك ؟ ثوبي أحق به من ثوبك ، دعه يا عم حتى ألقى الله تعالى به ، يا عم هذه الحوراء التي وصفتها لك قائمة على رأسي تنتظر خروج روحي وتقول لي : عجل فأنا مشتاقة إليك ، بالله يا عم إن ردك الله سالماً فتحمل ثيابي هذه المضمخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلى الحزينة وتسلمها إليها لتعلم أني لم أضيع وصيتها ولم أجبن عند لقاء العدو وأقرأ مني السلام عليها وقل لها : إن الله تعالى قد قبل الهدية التي أهديتها ، ولي يا عم أخت صغيرة لها من العمر عشر سنين كانت كلما

دخلت استقبلتني تسلم علي وإذا خرجت تكون آخر من يودعني ، وإنها ودعتني عند مخرجي هذا وقالت لي : بالله يا أخي لا تبطء عنا ، فإذا رأيتها فأقرأها مني السلام وقل لها يقول لك أخوك : الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة ، ثم تبسم وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ثم خرجت روحه وعجل الله تعالى بها إلى الجنة رحمة الله تعالى عليه ، فكفناه في ثيابه وواريناه رضي الله عنه ، قال أبو قدامة : فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة لم يكن لي همة إلا دار أم الغلام فإذا جارية تشبه الغلام في حسنه وجماله وهي قائمة بالباب وكل من مر بها تقول : يا عم من أين جئت ؟ فيقول : من الغزاة ، فتقول : أما رجع معكم أخي ؟ فيقولون : لا نعرفه ، فلما سمعتها تقدمت إليها ، فقالت : يا عم من أين جئت ؟ فقلت : من الغزو ، قالت : أما رجع معكم أخي ؟ ثم بكت وقالت : ما بالي أرى الناس يرجعون وأخي لم يرجع ؟ فغلبتني العبرة ثم تجلدت خشية على الجارية ثم قلت لها : يا جارية قولي لصاحبة المنزل كلمي أبا قدامة فإنه على الباب ، فسمعت المرأة كلامي فخرجت إلي وقد تغير لونها فسلمت علي فرددت السلام ، فقالت : أمبشرا جئت يا أبا قدامة أم معزياً ؟ فقلت : بيني لي البشارة من التعزية ، قالت : إن كان ولدي رجع سالماً فأنت معزٍ وإن كان قتل في سبيل الله فأنت مبشر ، فقلت : أبشري فقد قبل الله هديتك ، فبكت وقالت : قبلها ؟ قلت : نعم ، فقالت : الحمد لله الذي جعله ذخيرة لي يوم القيامة ، قلت : فما فعلت الجارية أخت الغلام ؟ قالت : هي التي كانت تكلمك الساعة فتقدمت إلي فقلت لها : إن أخاك يسلم عليك ويقول لك : الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة ، فصرخت صرخة وخرت على وجهها مغشياً عليها فحركتها بعد ساعةٍ فإذا هي ميتة فتعجبت من ذلك ، ثم سلمت ثياب الغلام التي كانت معي لأمه وودعتها وانصرفت حزيناً على الغلام والجارية متعجباً من صبر أمهما .

قال المؤلف عفا الله عنه : وقد ذكر الحافظ العلامة أبو المظفر ابن الجوزي : أنه لما بلغته هذه الحكاية جمع عنده من شعور التائبين على يده ما ضفروه فكان منه ثلاثمائة شكال وأنه أحضرها على رؤوس الحمالين وهو يحرض الناس على الجهاد بجامع دمشق ، وكان في مجلسه نحو الثلاثين ألفا ، فلما رآها الناس ضجوا ضجة عظيمةً ، وقطعوا من شعورهم مثلها ثم خرج إلى الجهاد وهي معه ، فلما قدم على الملك المعظم بها وهو بنابلس أخذها وجعلها على وجهه وبكى ، على ما ذكرناه في الباب الرابع من الأصل والله الموفق لا رب غيره .

فصل

في الإنفاق في سبيل الله تعالى على نفسه ودابته وعلى غيره من الغزاة في ثمن سلاح وعدة ومركوب أو ما يحتاجون إليه من قوتهم ونفقة عيالهم في مدة غزوهم ونحو ذلك :

هو من أعلى الطاعات وأعظم القربات وأجل الصدقات لما تقدم ، وقد توعد الله تعالى من قدر على الإنفاق في سبيل الله تعالى فبخل به وعيداً شديداً فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ قال القرطبي : معناه : أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله تعالى وأنتم تموتون وتخلفون أموالكم وهي صائرة إلى الله تعالى ، فمعنى الكلام التوبيخ على عدم الإنفاق ﴿ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي إنهما راجعان إلى الله تعالى بانقراض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق . وقال تعالى ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ قال القرطبي في تفسيره : قال حذيفة بن اليمان وابن عباس وعطاء وعكرمة ومجاهد

وجمهور الناس : المعنى ﴿ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ بأن تتركوا النفقة في سبيل الله تعالى وتخافوا العيلة يعني الفقر ، فيقول الرجل : ليس عندي ما أنفقه ، وإلى هذا المعنى ذهب البخاري وإن لم يذكر غيره . انتهى . وروى ابن أبي شيبة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ الآية قال : لا يقول أحدكم لا أجد شيئاً ، إن لم يجد إلا مشقصا فليجهز به في سبيل الله ﴿ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ . المشقص بكسر الميم وإسكان السين المعجمة وفتح القاف : وهو نصل السهم إذا كان طويلاً ليس بعريض ، فإذا كان عريضاً فهي الْمِعْلَبَةُ .

وعن أسلم بن عمران قال : غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو فقال الناس : مه ، لا إله إلا الله يلقي بيده إلى التهلكة ؟ فقال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه : إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وظهر الإسلام قلنا هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ فكان الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الإنفاق في سبيل الله تعالى . رواه أبو داوود والترمذي وصححه والنسائي وابن حبان وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد على شرطهما ، وخرج ابن المنذر هذا الحديث في كتابه الأوسط وترجم عليه : باب التغليظ في ترك النفقة في سبيل الله تعالى .

١٣٢- وعن عبد الله بن الصامت قال : كنت مع أبي ذر رضي الله تعالى عنه فخرج عطاؤه ومعه جارية له فجعلت تقضي حوائجه ففضل معها سبعة فأمرها أن تشتري بها فلوسا ، قال : قلت : لو أخرته للحاجة تنوبك وللضيف ينزل بك ؟ قال : إن خليلي صلى الله عليه وسلم عهد إليَّ : (أن أيما ذهب أو فضة أوكي عليه فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه في سبيل الله عز وجل) . خرجه أحمد وهذا لفظه والطبراني ولفظه في إحدى طرقه : قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من أوكى على ذهبٍ أو فضةٍ ولم ينفقه في سبيل الله تعالى كان جمراً يوم القيامة يكوى به) . قال المؤلف عفا الله تعالى عنه : رجال إسناد هذا الحديث رجال الصحيح .

١٣٣- وعن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من أهل بيت لا يخرج منهم غاز أو يجهز غازياً أو يخلفونه في أهله إلا أصابهم الله بقارعةٍ قبل الموت) . خرجه عبد الرزاق عن سعيد بن عبد العزيز قال : سمعت مكحولاً يقول : فذكره ، وخرجه ابن عساكر فوصله بأبي هريرة .

١٣٥- وخرج أبو داود وابن ماجه من طريق القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة) .

وقد ذكرنا في هذا الباب من الأصل فصلاً نافعاً فليراجعه من شاء ، وبالله التوفيق .

الباب العاشر

في فضل تجهيز الغزاة وخلفهم في أهلهم

١٣٦- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعث إلى بني لحيان (ليخرج من كل رجلين رجل والأجر بينهما) . وفي لفظ : (ليخرج من كل رجلين رجل) ثم قال للقاعد : (أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير فله مثل نصف أجر الخارج) . رواه مسلم .

١٣٧- وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا) . رواه البخاري ومسلم .

١٣٨- وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من فطر صائماً كان له مثل أجره لا ينقص من أجره شيء ، ومن جهز غازياً في سبيل الله كان له مثل أجره لا ينقص من أجر الغازي شيء) . رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان .

١٣٩- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من جهز غازياً حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع) . الحديث رواه ابن ماجه وابن حبان .

١٤٠- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جهز غازياً أو خلفه في أهله بخير فإنه معنا) . رواه أحمد والطبراني عن رجل لم يسم عن معاذ .

١٤١- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من تكفل بأهل بيت غاز في سبيل الله حتى يغنيهم ويكفيهم عن الناس ويتعاهدهم قال الله تعالى يوم القيامة : مرحباً بمن أطعمني وسقاني وحباني وأعطاني ، اشهدوا يا ملائكتي أني قد أوجبت له كرامتي كلها ، فما يدخل الجنة أحد إلا غبطه بمنزلته من الله تعالى) . أخرجه السلطان المجاهد محمود المعروف بالشهيد .

١٤٢- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من تخلف على امرأة غاز وأولاده يقضي لهم حوائجهم حتى يرجع الغازي زوجه الله عشرة آلاف من الحور العين لكل زوجه عشرة آلاف قصر من در وياقوت في كل قصر عشر آلاف دار في كل دار عشر آلاف بيت في كل بيت سرير من در وياقوت على كل سرير جارية لو برز سوارها لغلب ضوؤه على ضوء الشمس والقمر) .خرجه الطبراني وفيه من المجازفة ما ترى .

١٤٣- وذكر صاحب شفاء الصدور عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه أتاه جبريل فأمره أن يجيش جيشاً نحو العدو ، فأمر بجهازهم فجهزهم وزودهم رجلاً رجلاً ونسي منهم رجلا من الأنصار يسمى حديراً فلم يجهزه ، فخرج في الجيش صابراً محتسباً يظن أنه سُخْطٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل حدير يمشي في آخر العسكر ولا يرفع قدماً ولا يضع أخرى إلا وهو يقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ونعم الزاد هذا يا رب ، فأرسل الله تبارك وتعالى جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك : جهزت العسكر وزودتهم ونسيت حديراً لم تجهزه ولم تزوده وهو في آخر الجيش وإنه يصعد إليه منه كلام أبكى به ملائكة السموات فعجل عليه بجهازه ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه بجهازه وقال للرسول : (احفظ أول كلامه وآخره) فأدركه الرسول وهو في آخر الجيش يقول : لا إله إلا الله والحمد لله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ونعم الزاد هذا يا رب ، فقال : دونك جهازك ، فقال : أَوَ رضي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما كان سخط عليك حتى يرضى عنك ولكن نسيك ، وإنه بُعث إليه جبريل يذكره بك ، فخر حدير لله ساجداً ثم رفع رأسه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : ذكرني ربي من فوق عرشه ، اللهم لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك . قال المؤلف عفا الله عنه : حدير بضم الحاء المهملة مصغراً قال ابن الأثير : ذكر في الصحابة . روى ابن أبي داوود عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعث جيشاً فيهم رجل يقال له حدير ، وذكر الحديث . أخرجه ابن منده وأبو نعيم مختصراً . انتهى .

فصل

ومن أعظم الذنوب عند الله تعالى أن يستخلف المجاهد رجلاً في أهله فيخونه فيهم :

١٤٤- لما في صحيح مسلم وغيره عن بريدة بن حصيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في ماله وأهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء ، فما ظنكم ؟) .

الباب الحادي عشر

في فضل إعانة المجاهدين وإمدادهم بالعدة وغيرها وإطعامهم وتشييعهم ووداعهم وخدمتهم ، وغير ذلك

١٤٥- عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أعان مجاهدا في سبيل الله تعالى أو غارما في عسرته أو مكاتبا في رقبته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) . خرجه أحمد وابن أبي شيبة بإسنادٍ حسن .

١٤٦- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيما رجل سمع بغازٍ فنهض إليه ليعينه على حاجةٍ من حوائجه أو شيعه ساعةً أو سلم عليه نهض وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهو رفيقه يوم القيامة مع الشهداء ، ومن جهز غازياً حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت ، ومن بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة) . ذكره في شفاء الصدور .

وخرج ابن عساكر بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً قال : من حمل على فرس في سبيل الله وأقام كتب له مثل أجر الرجل الذي يخرج بماله ونفسه صابراً ما كان ذلك الفرس ، ومن أعطى سيفاً في سبيل الله جاء يوم القيامة له لسان طويل على رؤوس الخلائق يقول : ألا إني سيف فلان بن فلان لم أزل أجاهد إلى يوم القيامة ، ومن أعطى ثوباً في سبيل الله أعطي ثوباً من ثياب الجنة يَتَلوَّنُ عليه كل يوم من الدنيا . وذكر صاحب شفاء الصدور عن كعب الأحبار قال : لا تحقروا شيئاً من المعروف أو من الخير فإنه قد دخل الجنة رجل في إبرةٍ أعارها في سبيل الله ، ودخلت امرأة الجنة في مسلةً أعانت بها في سبيل الله تعالى ، ودخلت امرأة الجنة في معول المسحاة أعانت به في بناء بيت المقدس .

وعن يحيى بن عمرو بن سلمة عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لئن أُمتِّعَ بسوطٍ في سبيل الله أحب إلي من حجة في أثر حجةٍ . رواه ابن المبارك عن سفيان عنه وابن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان عنه .

١٤٧- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أظل رأس غاز أظله الله يوم القيامة ، ومن جهز غازياً في سبيل الله فله مثل أجره حتى يموت أو يرجع ، ومن بنى لله مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة) . رواه بن أبي شيبة وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

١٤٨- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل الصدقات ظل فُسْطاطٍ في سبيل الله ، ومنحة خادم في سبيل الله ، أو طروقة فحلٍ في سبيل الله) . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

قوله : طروقة فحلٍ بفتح الطاء وبالإضافة : هي الناقة التي صلحت لطرق الفحل وأقل سنها ثلاث سنين وبعض الرابعة هي الحقة ، ومعنى الحديث : أن من أظل الغازي في سبيل الله بفسطاط وهي الخيمة أو منحة خادم يعني أعطاه إياه بغير عوض أو أعطاه ناقة هذه صفتها كان ذلك أفضل الصدقات .

١٤٩- وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي الصدقة أفضل ؟ قال : (خدمة الرجل يخدم أصحابه في سبيل الله) قلت : يا نبي الله فأي الصدقة بعد ذلك أفضل ؟ قال : (بناء يفيء به الرجل على أصحابه في سبيل الله) قلت : يا رسول الله فأي الصدقة بعد ذلك أفضل ؟ قال : (عسب فرسه يحمله صاحبه في سبيل الله تعالى

) . رواه سعيد بن منصور في سننه والحاكم باختصار وقال : صحيح الإسناد . وعن سليمان بن عمر بلغه أنه كان يقال : ثلاثة لا يعلم أحد ما فيهن من الأجر : صاحب الخدمة في سبيل الله وصاحب الظل في سبيل الله وصاحب عسب الفحل . خرجه سعيد أيضاً بإسنادٍ صحيح . عسب الفرس بفتح العين وإسكان السين المهملة بعدهما باء موحدة : هو ضرابه ، ومعنى الحديث : أن من أعار غازياً فحله ليحمله على فرسه كان ذلك من أعظم القربات .

١٥٠- وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من قرب إلى غازٍ طعاماً أقام الله له مائدة في الجنة تصدر عنها الثقلان شباعاً ، ومن قرب إلى غازٍ شربةً من ماء أعطي نهراً في الفردوس عرضه ما بين المشرق والمغرب وعلى حافتيه قباب الدر فيها الأزواج من الحور العين ، ومن تعرض لغازٍ بنفقةٍ أو شيءٍ يُلْطِفُه به أدنى لطف خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقال الله له : أبشر عبدي كما أوليتني وكفى بالله وليا) ذكره في شفاء الصدور .

١٥١- وذكر أيضاً عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من خدم اثنا عشر رجلاً في سبيل الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ويسبق أصحابه إلى الجنة بسبعمائة سنة ، ومن استقى لأصحابه قربة من ماء خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ومن سقى رجلاً في سبيل الله ورد يوم القيامة هو وسبعون ألفاً في شفاعته حوض محمد صلى الله عليه وسلم) . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافروا اشترط أفضلهم الخدمة فإن أخطأته اشترط الأذان . وذكر أيضاً عن علي رضي الله عنه موقوفاً قال : من قام إلى فرس غازٍ بمخلاة أو جَلَّلَهُ أو سقاه فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء . وذكر أيضاً عن معاذ رضي الله عنه قال : لئن أشيع رفقة في سبيل الله فأصلح لهم أحلاسهم وأرد عليهم من دوابهم أحب إلي من عشر حجج بعد حجة الإسلام .

١٥٢- وعن ضمرة بن حبيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أعظم القوم أجراً خادمهم) . خرجه سعيد بن منصور عن اسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن أبي مريم عنه وهو مرسل . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : من خدم أصحابه في سبيل الله فضل على كل إنسان منهم بقيراط من الأجر . خرجه ابن المبارك من طريق ابن لهيعة وهو موقوف .

١٥٣- وعن موسى بن علي بن رباح عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كان يصلي على الرجل يراه يخدم أصحابه) . خرجه ابن المبارك وهو مرسل صحيح الإسناد .

١٥٤- وعن أبي قلابه أن النبي صلى الله عليه وسلم : كان يرفق أصحابه رفقاً فجعلت رفقة منهم يهرفون برجلٍ منهم قالوا : يا رسول الله ما رأينا مثله إن نزل فصلاة وإن ارتحلنا فقراءة وصيام ولا يفطر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان يكفيه كذا ؟) قالوا : نحن ، قال : (كلكم خير منه) . خرجه ابن المبارك وهو مرسل صحيح الإسناد . قوله : يهرفون برجل : أي يمدحونه ويطنبون فيه وهو بفتح الياء وإسكان الها وكسر الراء وبالفاء . قال الهروي : الهرف : مدح الرجل على غير معرفة فإذا كان عن معرفة وصدق خبر فليس بَهَرْفٍ .

١٥٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل الغزاة في سبيل الله خادمهم ثم الذي يأتيهم بالأخبار وأخصهم منزلة عند الله الصائم ومن استقى لأصحابه قربةً في سبيل الله سبقهم إلى الجنة بسبعين درجةً أو سبعين عاماً) .خرجه الطبراني وابن عساكر وقال : غريب .

١٥٦- عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من خدم المجاهدين يوماً فله عند الله ثواب عشرة آلاف سنة) . خرجه السلطان نور الدين .

١٥٧- وذكر صاحب شفاء الصدور عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من خدم قوماً في سبيل الله كان له من أجر كل واحد منهم قيراط من الأجر ولا ينقص من أجورهم شيئاً ، وأفضل الغزاة خادمهم وراعي دوابهم) .

١٥٨- قال : وفي حديث آخر قال : (أفضل الغزاة خادمهم ، ثم راعي دوابهم ، ثم مؤذنهم) .

١٥٩- قال : وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه مر برجل وهو يعالج لأصحابه يعني طعاماً وقد عرق وآذاه وهج النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن يصيبه حر جهنم أبداً) . وقال يونس السهاك : كان شيخاً منا إذا غزى اشترط على أصحابه خدمتهم فإذا أراد رجل أن يغسل رأسه أو ثوبه قال : هذا من شرطي ، قال : فحضرت موته وغسله فإذا في يده اليمنى مكتوب : من أهل الجنة ، فذهبت أنظر فإذا هو بين الجلد واللحم .

١٦٠- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من بلغ كتاب الغازي إلى أهله أو كتاب أهله إليه أعطاه الله كتابه بيمينه وكتب له براءة من النار) . وخرجه البيهقي في الشعب وقال : الخليل بن عبدالله مجهول ، ومتن الحديث منكر .

حكاية :

قال أبو الجهم بن حذيفة : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي ومعي شنة من ماء وإناء وقلت : إن كان به رمق سقيته من الماء ومسحت به وجهه فإذا أنا به ينشغ [يشهق حتى يغشى عليه] فقلت : أسقيك ؟ فأشار : أي نعم ، فإذا رجل يقول : آه ، فأشار ابن عمي : أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص فأتيته فقلت : أسقيك ؟ فأشار : أي نعم ، فسمع آخر يقول : آه ، فأشار هشام : أن انطلق إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، ثم رجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، ثم رجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات . خرجها ابن المبارك .

وروى ابن منده وأبو نعيم وغيرهما أن الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعياش بن ربيعة رضي الله عنهم خرجوا يوم اليرموك فلما أثبتوا دعوا الحارث بن هشام بماء ليشربه فنظر إليه عكرمة فقال : ادفعه إلى عكرمة ، فلما أخذه عكرمة نظر إليه عياش ، فقال : ادفعه إلى عياش ، فما وصل إلى عياش حتى مات ولا وصل إلى واحد منهم حتى ماتوا . قوله : أثبتوا : أي ثبتوا مكانهم ولم يبق لهم حركة من كثرة الجراح وشدة الألم .

فصل

١٦١- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : جهز جيشاً فمشى معهم إلى بقيع الغرقد حين وجههم ثم قال : (انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم) . خرجه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

١٦٢- وخرج ابن عساكر عن عبد الله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شيع جيشاً فبلغ عقبة الوداع قال : (أستودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم) . وخرج بن أبي شيبة وغيره عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه شيع جيشاً ومشى معهم فقال : الحمد لله الذي اغبرت أقدامنا في سبيل الله ، فقال رجل : إنما شيعناهم وجهزناهم ودعونا لهم . وفي رواية : بعث أبو بكر رضي الله عنه جيشاً إلى الشام فخرج فشيعهم على رجليه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله لو ركبت ، فقال : إني أحتسب خطاي في سبيل الله .

١٦٣- وعن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لئن أشيع مجاهداً في سبيل الله فأكنفه على رحله غدوة أو روحة أحب إلي من الدنيا وما فيها) . خرجه ابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد . وذكر صاحب شفاء الصدور عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً قال : إن الرجل ليقول لصاحبه : انطلق بنا لنشيع فلاناً الغازي ساعةً ، فيقول الله تعالى من فوق عرشه : طوبى للقائل والمقول له) . وذكر أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً قال : أدنى ما ينقلب به مشيع الغازي بسبعين ضعفاً أدناها مغفرة تجمع بينه وبين خليل الرحمن في مقعد صدق ، فقيل : وما للغازي ؟ قال : هيهات هيهات ! انقطع العلم عن ثواب الله لهم . وذكر أيضاً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : إذا خرج الرجل غازياً في سبيل الله فودع أهله وودعوه باهى الله به الملائكة وقال :

انظروا إلى عبدي يودع أهله ويودعوه ابتغاء مرضاتي ، أشهدكم أني قد غفرت له ، وتجعل ذنوبه جسراً على بابه فيخرج من ذنوبه كما ولدته أمه . وذكر أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن الرجل إذا ودع أهله للغزو بعث الله إليه ملكاً يمحو خطاياه يرصده على أسكفة بابه ، فإذا قدم رجله ليخرجها يخرجه الله من ذنوبه ويعطى أجر حاج أو معتمر ويغفر له بكل آية تلاها أفضل من قيام ألف ليلة وصيام ألف يوم . وذكر أيضاً عن كعب قال : إن الله يباهي الملائكة بالغازي وبسلاحه إذا ودع أهله وبكى إليهم وبكوا إليه بكى البيت والحيطان عند بكائهم وتغشاهم الرحمة فتغمرهم جميعاً ، فإذا خرج من بيته خرجوا جميعاً من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها .

الباب الثاني عشر

في فضل الخيل واحتباسها بنية الجهاد في سبيل الله وفضل الإنفاق عليها

قال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ﴾ ذهب ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم إلى أن القسم في قوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ﴾ إلى آخره : وقع على الخيل التي يغزى عليها ويغار بها على العدو . انتهى .

اعلم أن للخيل فضائل عظيمة : منها : أن من ارتبط فرساً بنية الجهاد في سبيل الله تعالى كان شبعها وجوعها وريها وظمئها وأبوالها وأرواثها وركوبها وعاريتها وعدد ما تأكله وتشربه وتخطوه حسنات في ميزانه يوم القيامة :

١٦٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً به وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وبوله في ميزانه يوم القيامة) يعني حسنات . رواه البخاري وغيره .

١٦٥- وذكر صاحب شفاء الصدور عن عبد الله بن سليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قل عمله فليرتبط فرساً في سبيل الله فإن شبعه وريه وروثه وبوله وشعره حسنات في ميزانه يوم القيامة) .

١٦٦- وخرج أحمد بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الخيل ثلاثة : فرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان ، فأما فرس الرحمن : فالذي يرتبط في سبيل الله عز وجل فعلفه وبوله وروثه – وذكَر ما شاء الله – يعني حسنات ، وأما فرس الشيطان : فالذي يقامر ويراهن عليها ، وأما فرس الإنسان : فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها فهي ستر من فقر) . قوله : يلتمس بطنها : أي نتاجها .

١٦٧- وخرج أيضاً بإسناد رجاله رجال الصحيح عن أبي عمرو الشيباني عن رجل من الأنصار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الخيل ثلاثة) قال : (فرس يرتبطه الرجل في سبيل الله فثمنه أجر وركوبه أجر وعلفه أجر ، وفرس يغالق عليه الرجل ويراهن فثمنه وزر وعلفه وزر وركوبه وزر ، وفرس للبطنة فعسى أن يكون سِداداً من الفقر إن شاء الله) . قوله : يغالق عليه بالغين المعجم قال الهروي : معناه يراهن ، والسداد بكسر السين المهملة : كل شيء سددت به خللاً ومنه سداد القارورة .

١٦٨- وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الخيل في نواصيه الخير إلى يوم القيامة ، فمن ربطها عُدةً في سبيل الله وأنفق عليها احتسابا في سبيل الله كان شبعها وجوعها وريها وظمؤها وأرواثها وأبوالها فلاحاً بميزانه يوم القيامة ، ومن ربطها رياءً وسمعة ومرحا كان شبعها وجوعها وريها وظمؤها وأرواثها وأبوالها خسراناً في موازينه يوم القيامة) . خرجه أبو يعلى بإسنادٍ حسن .

١٦٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالخيل ؟ قال : (الخيل ثلاثة : هي لرجل وزر ولرجل ستر وهي لرجل أجر ، فأما التي هي له وزر : فرجل ربطها رياءً وفخراً ونِوَاءً لأهل الإسلام فهي

له وزر ، وأما التي هي له ستر : فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر ، وأما التي هي له أجر : فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ولا تقطع طولها فاستنت شرفاً أو شرفين إلا كتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب له عدد ما شربت حسنات) . رواه البخاري ومسلم في حديث وابن خزيمة إلا أنه قال : (فأما الذي هي له أجر : فالذي يتخذها في سبيل الله ويعدها له لا تغيب في بطونها شيئاً إلا كتب له بها أجر ، ولو عرض مرجا أو مرجين فرعاها صاحبها فيه كتب له بما غيبت في بطونها أجر ، ولو استنت شرَفاً أو شرفين كتب له بكل خطوةٍ خطاها أجر ، ولو عرض نهراً فسقاها به كانت له بكل قطرة غيبت في بطنها منه أجر) قال : حتى ذكر الأجر في أرواثها وأبوالها (وأما التي هي له ستر : فالذي يتخذها تعففاً وتجملاً وتستراً ولا يحبس حق ظهورها وبطونها في يسرها وعسرها ، وأما الذي عليه وزر فالذي يتخذها أشراً وبطراً وبذخاً عليهم) ، ورواه البيهقي بنحوه إلا أنه قال : (وأما خيل الوزر : فمن ارتبطها تبذخاً على الناس فإنها لا تغيب في بطونها شيئاً إلا كان وزراً عليه حتى ذكر أرواثها وأبوالها ، ولا تعدو في وادٍ شوطاً أو شوطين إلا كان عليه وزر) . قوله نِواء بكسر النون وبالمد : أي معاداةً ومفاخرةً ونحو ذلك ، قوله : استنت بالسين المهملة وتشديد النون بين تاءين مثناتين : معناه جرت بقوة ، والشرَف بفتح الشين المعجم والراء جميعاً : هو الشوط كما جاء في رواية البيهقي وقيل : هو نحو الميل ، وقوله : بذخاً أو تبذخاً أي : استعلى على الناس والتباذخ التعالي . وقوله : أشراً وبطراً قال الهروي : إذا قيل فعل ذلك أشراً وبطراً المعنى أنه لج في البطر .

قال المؤلف عفا الله عنه : وفي قوله : ولا يريد أن يسقيها : تنبيه على أنه إذا كان يثاب على كل ما غيبت في بطونها وإن لم يكن بقصده ونيته فكيف بما يقصده ويحتسبه ، وفي هذه الأحاديث التصريح الواضح بأن ارتباط الخيل للرياء والسمعة والمفاخرة حرام يعاقب عليه فاعله يوم القيامة وأن أرواثها وأبوالها وجوعها وشبعها وريها وظمئها وركوبها وخطاها ونحو ذلك سيئات ووزر في موازينه كما أنها حسنات وأجر في موازين من ارتبطها لله تعالى مخلصاً .

ومنها : ما روي أن من احتبس فرساً في سبيل الله كان له سترة من النار يوم القيامة :

١٧٠- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من حبس فرساً في سبيل الله كان ستره من النار) . خرجه ابن عساكر من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو ضعيف .

ومنها : ما روي أن من هم أن يرتبط فرساً في سبيل الله أعطي أجر شهيد :

١٧١- روى الواقدي : حدثني أبو عبد الله القرشي عن أبي جعفر محمد بن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من هم أن يرتبط فرساً بنية صادقة أعطي أجر شهيد) . ذكره أبو عبيدة في كتاب الخيل وهو مرسل .

ومنها : ما روي أن من ربط فرساً في سبيل الله كان من الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون :

وعن سهل بن عجلان أنه سمع أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه يقول في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً ﴾ قال : على الخيل في سبيل الله ، ثم ذكر : من ربط فرساً في سبيل الله لم يربطه رياءً ولا سمعة كان من الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار . خرجه ابن أبي شيبة عن سليمان بن موسى الدمشقي عنه .

١٧٢- وعن عريب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن هذه الآية ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً ﴾ نزلت في النفقات على الخيل في سبيل الله . خرجه الطبراني من طريق سعيد بن سنان عن يزيد بن عبدالله بن عريب عن أبيه عن جده وفي هذا الإسناد مقال .

وعن أيوب بن خالد في قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قال : من ربط فرساً في سبيل الله فهو يقرض الله قرضاً حسناً . رواه ابن أبي شيبة عن موسى بن عبيدة وفيه خلاف عن أيوب وهو أحد التابعين .

١٧٣- وذكر صاحب شفاء الصدور عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الفرس ليستن في طِيَلِهِ وصاحبه نائم على فراشه فما تبقى له خطيئة إلا وقعت) .

ولقد أنزل الله في ارتباط الخيل والإنفاق عليها آيتين من القرآن : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وقوله : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . الطيل بكسر الطاء المهملة وفتح الياء المثناة تحت : هو حبل تشد به قائمة الدواب ويرسلها ترعى أو يمسك طرفه ويرسلها ، ويقال له : الطول أيضاً على وزنه ، ومعنى ليستن : أي ليجري . ومنها : أن المنفق على الخيل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها :

١٧٤- وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الخير معقود في نواصي الخيل ، وأهلها معانون عليها ، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة) . رواه الطبراني وأبو عوانة وابن حبان والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

١٧٥- وعن عريب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الخيل معقود في نواصيه الخير والنيل إلى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها ، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة ، وأبوالها وأرواثها لأهلها عند الله يوم القيامة من مسك الجنة) . خرجه الطبراني من طريق سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده .

١٧٦- عن سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة ، ومثل المنفق عليها كالمتكفف بالصدقة) ، قال عبد الرزاق : فقلت لمعمر : ما المتكفف بالصدقة ؟ قال : الذي يعطي بكفيه المساكين . خرجه أبو يعلى والطبراني ورجاله رجال الصحيح وابن حبان وغيرهم .

ومنها : ما روي أن من ارتبط فرساً في سبيل الله كان له مثل أجر الصائم القائم :

١٧٧- وعن يحيى بن يحيى الغساني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من ارتبط فرساً في سبيل الله كان له مثل أجر الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر والباسط يده بالصدقة كذلك ما أنفق على فرسه) . رواه الواقدي عن أسامة بن يزيد عن يحيى بن يحيى ، ذكره أبو عبيدة في كتاب الخيل وهو معضل .

ومنها : أن أهلها يمدهم الله بالمعونة على خدمتها والإنفاق عليها :

تقدم في حديث أبي كبشة وعريب قوله صلى الله عليه وسلم : (وأهلها معانون عليها) .

١٧٨- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الخيل معقود في نواصيها الخير والنيل إلى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها ، فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار) . خرجه أحمد بإسناد جيد . [قلدوها طلب الأعداء ولا تقلدوها طلب أوتار الجاهلية أي ثاراتهم أي دمائهم]

ومنها : أن خير الدنيا والآخرة معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة : تقدم ذلك في بعض الأحاديث السابقة ، ولغلبة الخير على الخيل وملازمته لها سمت العرب الخيل : الخير ، وقد نطق القرآن العظيم بذلك فقال الله سبحانه حكاية عن سليمان عليه السلام : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ يعني الخيل .

١٧٩- وعن جرير رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوي ناصية فرسه بأصبعيه وهو يقول : (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والغنيمة) . رواه مسلم .

١٨٠- وعن عروة بن أبي الجعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الخيل معقود في نواصيها الخير : الأجر والمغنم إلى يوم القيامة) . رواه مسلم والبخاري وزاد عن شبيب بن غرقدة قال : ورأيت في داره - يعني دار عروة - سبعين فرساً - يعني معدة للجهاد - . قال المؤلف عفا الله عنه : وقد روي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة أيضاً أشرت إليهم في الأصل والله أعلم . ومنها : أن الخيل كانت أحب الأشياء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٨١- وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : لم يكن شيئاً أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخيل ثم قال : (غفرانك إلا النساء) . رواه أحمد ورجاله ثقات والنسائي إلا أنه قال : (لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل) . قال المؤلف عفا الله عنه : فيسن لكل مسلم حب الخيل لهذا الحديث اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم سواء كانت الخيل له أو لغيره . ومنها : أنها تدعو الله أن يحببها إلى صاحبها :

١٨٢- عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من فرس عربي إلا يُؤذَن له عند كل سحر بكلمات يدعو بهن : اللهم خولتني من خولتني من بني آدم وجعلتني له فاجعلني أحب أهله وماله إليه أو من أحب أهله وماله إليه) . رواه أحمد والنسائي والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

١٨٣- وذكر صاحب شفاء الصدور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (للفرس ثلاث دعوات كل يوم : يقول في الأولى : اللهم اجعلني أحب ماله إليه ، ويقول في الثانية : اللهم وسع عليه يوسع علي ، ويقول في الثالثة : اللهم ارزقه الشهادة علي) . ومنها : أن في الجنة خيلا من ياقوت لها أجنحه تطير براكبها حيث شاء :

١٨٤- عن عبد الرحمن بن ساعدة رضي الله عنه قال : كنت أحب الخيل فقلت : يا رسول الله هل في الجنة من خيل ؟ فقال : (إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان يطير بك حيث شئت) . رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٨٥- عن أبي سورة عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال : يا رسول الله إني أحب الخيل فهل في الجنة خيل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوت له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت) . رواه الترمذي وقال : أبو سورة ضعيف الحديث ، وقد روي من حديث بريدة أيضاً ذكرته في الأصل . ومنها : أن من ارتبط فرساً في سبيل الله تعالى فقد امتثل أمر الله وأمر رسوله :

أما أمر الله فقوله تعالى :﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ .

١٨٦- وأما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله : (ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأعجازها) أو قال : (أكفالها) الحديث ... رواه أبو داوود .

١٨٧- وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (حق على كل مسلم أن يرتبط فرساً إذا أطاق ذلك) وفي رواية : (ما من رجل مسلم إلا حق عليه أن يرتبط فرساً إذا أطاق ذلك) . خرجه ابن عساكر من طريق مندل بن علي وهو ضعيف .

١٨٨- وعن ابن مسعود رضي الله عنه جاءه رجل فقال : هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخيل شيئاً ؟ قال : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، اشتروا على الله واستقرضوا على الله) قيل : يا رسول الله كيف نشتري على الله ونستقرض على الله ؟ قال : (قولوا أقرضنا على مقاسمها وبعنا على أن يفتح الله لنا ، لا تزالوا بخير مادام جهادكم خضرا ، وسيكون في آخر الزمان قوم يشكّون في الجهاد ، فجاهدوا في زمانهم واغزوا فإن الغزو يومئذٍ أخضر) . خرجه ابن عساكر من طريق بقية .

ومنها : أن الجن لا يدخلون بيتاً فيه فرس :

١٨٩- وعن يزيد بن عبد الله المليكي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ الآية : (إنهم الجن) .

١٩٠- قال : وعن النبي صلى الله عليه وسلم : (الجن لا يدخل بيتاً فيه عتيق من الخيل) . خرجه الطبراني وابن أبي حاتم وغيرهما ، وفي سنده مقال . قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ قال : يعني فارس والروم قاله السدي ، وقيل : الجن وهو اختيار الطبري ، وقيل : هو كل من لا تعرف عدواته . انتهى . وقال صفوان بن موسى في هذه الآية ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ قال : هم الجن ولن يخبل الشيطان الإنسان في داره فرس عتيق . خرجه ابن عساكر . والمراد بالعتيق : الكريم الرائع قاله الجوهري وغيره . والعتيق : الكريم من كل شيء والخيار من كل شيء .

١٩١- وعن أبي الحسن الإسكندراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أتى عيسى ابن مريم عليه السلام إبليسُ فقال له : يا إبليس إني سائلك عن شيء فهل أنت صادقي فيه ؟ فقال : يا روح الله اسألني عما بدا لك ، قال : أسألك بالحي الذي لا يموت ما الذي يسل جسمك ويقطع ظهرك ؟ قال : صهيل فرس في سبيل الله في قرية من القرى أو حصن من الحصون ولست أدخل داراً فيها فرس في سبيل الله) . ذكره في شفاء الصدور ، والله أعلم بأبي الحسن من هو ؟ .

حكاية :

روى عن السيد الجليل عبد الله بن المبارك رضي الله عنه أنه أتاه رجل فقال : إني أرجم في داري ، قال : اذهب فارتبط فرساً عربياً ، فانقطع عنه الرجم . فسُئل عبد الله بن المبارك عن ذلك فتلا قوله تعالى : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ وقال : هم الجن . ومنها : أن الملائكة عليهم السلام لا تحضر من اللهو شيئاً غير إجراء الخيل وما يذكر معه :

١٩٢- عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تحضر الملائكة من اللهو شيئاً إلا لهو الرجل مع امرأته وإجراء الخيل والنضال) . خرجه ابن عساكر ، والمراد بالنضال المسابقة بالسهام .

١٩٣- وعن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ارموا واركبوا ولئن ترموا أحب إلي من أن تركبوا ، وكل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رمي الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امراته) الحديث ... رواه أبو داوود وغيره في حديث يأتي إن شاء الله ، وقد استدل جمهور العلماء بهذا الحديث وأمثاله على أن تعلم الرمي والمسابقة به أفضل من تعلم ركوب الخيل والمسابقة بها ، وذهب مالك رحمه الله إلى أن تعلم ركوب الخيل أفضل ، والله أعلم . قال المؤلف عفا الله عنه : وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عدة أفراس ذكرت أساميها في الأصل ، والله الموفق .

الباب الثالث عشر

في فضل خدمة الخيل وإكرامها والتعليق عليها

وذكر ما يحمد منها وما يذم والنهي عن قص نواصيها وأذنابها

١٩٤- عن عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين رضي الله عنه قال : أُثبتَ لي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كان له فرس عربي فأكرمه أكرمه الله وإن أهانه أهانه الله) . رواه ابن أبي ذئب عن إسماعيل بن أبي حكيم عنه ، ذكره أبو عبيدة في كتاب الخيل .

١٩٥- وخرج البيهقي في الشعب وابن عساكر وغيرهما من طريق إسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم الخولاني أن روح بن زنباع زار تميما الداري رضي الله عنه فوجده ينقي شعيراً لفرسه وحوله أهله فقال : ما كان في هؤلاء من يكفيك

هذا ؟ قال : بلى ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من نقى شعيراً لفرسه يعلقه عليه كتب الله له بكل حبةٍ حسنةً) . وفي روايةٍ لابن عساكر : فقال : بلى ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من ربط فرساً في سبيل الله ثم ولي نَقَاةَ شعيره ومسحه وحسّه كان له بعدد كل شعرة وكل حبةٍ حسنة تكتب له وسيئة تمحى عنه) . قال المؤلف عفا الله عنه : وقد رواه ابن شودب عن إبراهيم بن أبي عبلة عن روح بنحوه وخرجه الطبراني وابن عساكر أيضاً .

١٩٦- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً جالس وفرسه مربوط عنده فقلت : يا رسول الله ولِّني مخلاته ، فقال : (لقد أردت أن تذهبي بالأجر العظيم ؟ من علق على فرس مخلاةً كتب الله له بها حسنةً ، ومن نزعها عنه بعد أن يستوفي علفه محى الله بها عنه سيئة) . ذكره أبو عبيدة في كتاب الخيل من طريق عثمان بن عطاء الخرساني وهو ضعيف .

١٩٧- وذكر صاحب شفاء الصدور عن عائشة رضي الله عنها : أنها خرجت ذات غداة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح وجه فرسه بثوبه ، فقالت : يا رسول الله بثوبك ؟ فقال : (وما يدريك لعل جبريل قد عاتبني فيه الليلة) فقالت : فولني علفه فقال : (لقد أردت أن تذهبي بالأجر كله ؟ أخبرني جبريل أن ربي يكتب لي بكل حبةٍ حسنة) .

١٩٨- وقال أبو عبيدة في كتاب الخيل : قال وكيع :حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بفرس فقام إليه فجعل يمسح عينيه ووجهه ومنخريه بكُمِّ قميصه فقالوا : يا رسول الله بِكُمِّ قميصك ؟ فقال : (إن جبريل عاتبني في الخيل) . قال المؤلف عفا الله عنه :

وهذا الحديث مرسل والربيع رجل صالح وفي حديثه ضعف ، والله أعلم .

١٩٩- وعن مسلم بن يسار قال : أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فمسح وجه فرسٍ له بردائه فقال : (إني عوتبت الليلة في الخيل) . ذكره أبو عبيدة وهو مرسل .

فصل

٢٠٠- عن عتبة بن عبدة السلمي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تقصوا نواصي الخيل ولا معارفها ولا أذنابها ، فإن أذنابها مَذابها ومَعَارفُها دِفاؤها ونواصيها معقود فيها الخير) . رواه أبو داوود وأبو عوانة في صحيحه .

٢٠١- وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (البركة في نواصي الخيل) هذا لفظ مسلم .

فصل

٢٠٢- عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير الخيل الأدهم الأقرح الأرثم ، ثم الأقرح المحجل طلق اليمنى ، فإن لم يكن أدهم فكميت على هذه الشبه) . رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما . الأقرح : الفرس الذي في وسط جبهته قرحة وهي بياض يسير ، الأرثم : بفتح الهمزة والثاء المثلثة أيضاً : هو الفرس يكون به رَثَم بالتحريك وهو بياض في شفته العليا ، وطلق اليمنى بفتح الطاء وإسكان اللام وبضمها أيضاً : إذا لم يكن بها تحجيل ، والكميت بضم الكاف وفتح الميم : هو الفرس الذي ليس بالأشقر ولا الأدهم بل يخالط حمرته سواد .

٢٠٣- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أردت أن تغزو فاشتر فرساً أغر محجلا مطلق اليمنى فإنك تغنم وتسلم) . رواه الطبراني والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ورواه الدارمي في

مسنده من حديث أبي قتادة ولفظه : أن رجلاً قال : يا رسول الله إني أريد أن أشتري فرساً فأيها أشتري ؟ قال : (اشتر أدهم أرثم محجلا مطلق اليمنى أو من الكميت على هذه الشبه تغنم وتسلم) .

٢٠٤- وعن أبي وهب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (عليكم من الخيل كل كميت أغر محجل أو أشقر أغر محجل أو أدهم أغر محجل) . رواه أبو داوود والنسائي .

٢٠٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يمن الخيل في شقرها) . رواه أبو داوود والترمذي وقال : حديث حسن . اليُمن بضم الياء : هو الخير والبركة والقوة .

٢٠٦- قال أبو عبيدة في كتاب الخيل : وروى غياث بن إبراهيم عن عمرو بن الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو جمعت خيول العرب في صعيد ثم أرُسَلْت لكان سابقها أشقر) .

فصل

٢٠٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الشكال من الخيل . رواه مسلم وغيره ، وفي طريق له ولأبي داوود قال : والشكال : أن يكون الفرس في رجله اليمنى بياض وفي يده اليسرى أو يده اليمنى ورجله اليسرى .

الباب الرابع عشر

في فضل عمل المجاهد والمرابط من الصوم والصلاة والذكر ونحو ذلك

٢٠٨- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً) . رواه البخاري ومسلم .

٢٠٩- وخرج ابن أبي شيبه عن مكحول مرسلاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صام يوماً في سبيل الله بُوعد من النار مائة خريف) .

٢١٠- وخرج الطبراني بإسناده عن عمرو بن عبس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صام يوماً في سبيل الله بعدت منه النار مائة عام) .

٢١١- وخرج أبو يعلى من طريق زبان عن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صام يوماً في سبيل الله في غير رمضان بَعُدَ من النار مسيرة مائة عام سير المضمر الجواد) . وخرج بنحو هذا اللفظ عبد الرزاق من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من صام يوماً تطوعاً في سبيل الله خفف الله عنه من وقوف يوم القيامة عشرين سنة) . خرجه ابن عساكر وفي سنده ضعف وفي متنه نكارة ، والله أعلم .

٢١٢- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض) . خرجه الطبراني بإسناد حسن ، ورواه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حديث غريب ، ورواه ابن أبي شيبه عن أبي الدرداء موقوفاً إلا أنه قال : من صام يوماً في سبيل الله كان بينه وبين جهنم خندق أبعد مما بين السماء والأرض .

٢١٣- وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من عبد صام يوماً في سبيل الله إلا زوج حوراء من الحور العين في خيمة من درة مجوفة عليها سبعون حلة ليس منها حلة تشبه صاحبتها على سريرٍ من ياقوتة حمراء موشحة بالدر عليها سبعون ألف فراش بطائنها من إستبرق لها سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألفا

لبعلها مع كل وصيفة منهن سبعون ألف صحفة من ذهب ليس منها صحفة إلا وفيها لون من الطعام ما ليس في الأخرى يجد لذة آخرها كلذة أولها) . خرجه ابن عساكر وهو غريب ضعيف الإسناد .

٢١٤- عن أبي هريره رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل الغزاة في سبيل الله خادمهم ثم الذي يأتيهم بالأخبار ، وأخصهم منزلة عند الله الصائم) . رواه الطبراني في حديث تقدم .

قال المؤلف عفا الله عنه : وقد كان كثير من السلف يصومون في الجهاد ويقاتلون ولا يفطرون احتساباً لذلك عند الله تعالى ، وطلباً لمرضاته ورغبةً في جزيل ثوابه ، وسيأتي جملة من ذلك متفرقة إن شاء الله .

٢١٥- وروى الطبراني بإسناده عن محمد ابن الحنفية قال : رأيت أبا عمر الأنصاري وكان بدرياً عقبياً أحدياً وهو صائم يتلوى من العطش وهو يقول لغلامه : ويحك ترّسني فترسه الغلام حتى نزع بسهم نزعاً ضعيفاً حتى رمى بثلاثة أسهم ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رمى بسهم في سبيل الله قصر أو بلغ كان له نوراً يوم القيامة) . فقتل قبل غروب الشمس رضي الله عنه .

وروى ابن المبارك رضي الله عنه وابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أتيت على عبد الله بن مخرمة عام اليمامة فوقفت عليه فقال : يا عبد الله بن عمر هل أفطر الصائم ؟ قلت : لا ، قال : فاجعل لي في هذا المجن ماء لعلي أفطر ، قال : فأتيت الحوض وهو مملوء دماً فضربته بحجفته ثم اغترفت منه ماء ، فأتيته فوجدته قد قضى رضي الله عنه . قال المؤلف عفا الله عنه : المراد بعام اليمامة عام اثنتي عشرة ، وهو العام التي كانت فيه وقعت اليمامة بين الصحابة ومسيلمة الكذاب وأصحابه لعنهم الله في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

حكاية :

روى ابن المبارك عن السري بن يحيى عن ثابت البناني : أن فتى غزا زماناً وتعرض للشهادة فلم يصبها فحدث نفسه فقال : والله ما أراني إلا لو قفلت إلى أهلي فتزوجت ، قال : ثم نام في الفسطاط ثم أيقظه أصحابه لصلاة الظهر ، قال : فبكى حتى خاف أصحابه أن يكون قد أصابه شيء ، فلما رأى ذلك قال : إنه ليس بي بأس ولكنه أتاني آت قبلُ وأنا في المنام فقال : انطلق إلى زوجتك العيناء ، قال : فقمت معه ، فانطلق بي في أرض بيضاء نقية فأتينا على روضةٍ ما رأيت روضة قط أحسن منها فإذا فيها عشر جوار ما رأيت أحسن منهن قط فرجوت أن تكون إحداهن فقلت : أفيكن العيناء ؟ قلن : هي بين أيدينا ونحن جواريها ، قال : فمضيت مع صاحبي فإذا روضة أخرى تضعف حسنها على حسن التي تركت فيها عشرين جاريةً يضاعف حسنهن على حسن الجواري اللاتي خلفت فرجوت أن تكون إحداهن فقلت : أفيكن العيناء ؟ قلن : هي بين أيدينا ونحن جواريها ، حتى ذكر ثلاثين جارية ، قال : ثم انتهيت إلى قبة من ياقوتة حمراء مجوفة قد أضاء لها ما حولها ، فقال لي صاحبي : ادخل ، فدخلت فإذا امرأة ليس للقبة معها ضوء ، فجلست فتحدثت ساعةً فجعلت تحدثني ، فقال صاحبي : اخرج انطلق ، قال : ولا أستطيع أن أعصيه ، قال : فقمت فأخذت بطرف ردائي فقالت : أفطر عندنا الليلة ، فلما أيقظتموني رأيت إنما هو حلم فبكيت ، فلم يلبثوا أن نودي في الخيل ، قال : فركب الناس فما زالوا يتطاردون حتى إذا غابت الشمس وحل للصائم الإفطار أصيب تلك الساعة وكان صائماً ، وظننت أنه من الأنصار وأن ثابتا كان يعرف نسبه .

فصل

٢١٦- ذكر صاحب شفاء الصدور عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كل خير يتقرب به إلى الله تعالى في سبيل الله بمنزلة النفقة في التضعيف) .

٢١٧- وخرج البزار والبيهقي في دلائل النبوة عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً حديث الإسراء : وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم فما حصدوا عاد كما كان فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ . قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذين الحديثين دليل على أن كل حسنة تصدر من المجاهد تكتب له بسبعمائة حسنة كالنفقة ، وقد روي أن العبادة تضاعف بأكثر من ذلك .

٢١٨- فروى زبان عن سهل بن معاذ عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الصلاة والصيام والذكر تضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف) . رواه أبو داوود والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٢١٩- وخرج ابن المنذر في الأوسط وابن عساكر وغيرهما عن أبي عقيل أنه سمع ابن المسيب يقول : إن الأعمال في سبيل الله تضاعف على النفقات بسبعمائة ضعف ، والأعمال : الصلاة والتسبيح والذكر والصدقة ، فسأل رجل أبا عقيل عمن يذكر هذا ؟ فقال أبو عقيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذين الحديثين أن صلاة المجاهد بأربعة آلاف صلاة وتسعمائة صلاة ، وكذلك الصيام والذكر والنفقة ، وقد روي أن الذكر في سبيل الله يتضاعف أكثر من ذلك .

٢٢٠- فخرج الطبراني بإسناد فيه رجل لم يسم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (طوبى لمن أكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة كل حسنة عشرة أضعاف مع الذي له عند الله من المزيد) .

٢٢١- وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ ألف آية في سبيل الله كتبه الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) . رواه الحاكم من طريق زبان عن سهل بن معاذ عنه وقال : صحيح الإسناد ، قال المؤلف عفا الله عنه : من سورة تبارك إلى آخر القرآن ألف آية ، والله أعلم .

ذكر صاحب شفاء الصدور عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول : من صلى ركعتين في سبيل الله خرج من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أمه .

٢٢٢- وذكر أيضاً عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من بث علماً في سبيل الله أعطي بكل حرف منه مثل رمل عالج حسنات ، وكان له مثل أجر من عمل به إلى يوم القيامة) .

الباب الخامس عشر

في فضل الرباط في سبيل الله

قال الله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ قال أبو محمد ابن عطية في تفسيره : القول الصحيح : أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله ، أصلها من ربط الخيل ، ثم سمي كل ملازم لثغرٍ من ثغور المسلمين مرابطاً فارساً كان أو راجلاً ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (فذالكم الرباط) : إنما هو تشبيه بالرباط في سبيل الله ، والرباط اللغوي هو الأول . انتهى .

وقال القتبي : المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم في ثغر ، كلٌّ معدٌّ لصاحبه ، فسمي المقام في الثغر رباطاً .

واعلم أن الرباط أحد شعب الإيمان وموجبات الغفران وقد ورد في فضله أمور عظيمة لم ترد في غيره من الطاعات ، وها أنا أذكر منها في هذا المختصر جملة صالحة كافية إن شاء الله تعالى :

منها : أن رباط يوم خير من الدنيا وما عليها :

٢٢٣- عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها) . رواه البخاري وغيره . قوله في هذا الحديث وأمثاله : خير من الدنيا وما عليها : قيل معناه : خير من الدنيا وما عليها لو قدر أن يملكها إنسان وينفقها في طاعة الله تعالى ، ورجح هذا القول جماعة ، وذهب آخرون إلى غير ذلك كما هو مذكور في الأصل ، والله أعلم .

ومنها : أن رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ورباط شهر خير من صيام دهر :

٢٢٤- وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان) . رواه مسلم . الفتان : قال القاضي عياض : رواه الأكثرون بضم الفاء جمع فاتن .

٢٢٥- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رباط شهر خير من صيام دهر ، ومن مات مرابطاً في سبيل الله تعالى أمن من الفزع الأكبر وغدي عليه وريح برزقه من الجنة ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله عز وجل) . خرجه الطبراني .

٢٢٦- وخرج ابن عساكر عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن المرابط في سبيل الله أعظم أجراً من رجل قرَن ما بين كعبيه في فاتح شهر صامه وقامه) .

٢٢٧- عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رباط ليلةٍ في سبيل الله أفضل من عبادة أحدكم في بيته ستين سنة) . ذكره في شفاء الصدور .

ومنها : أن كل ميت يقطع عمله إذا مات إلا المرابط إذا مات في رباطه فإنه يجري عليه أجر عمله الصالح من الرباط وغيره إلى يوم القيامة :

٢٢٨- عن سلمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطاً جرى عليه مثل ذلك الأجر وأجري عليه الرزق) . رواه مسلم وتقدم لفظه ، والحاكم بهذا اللفظ وقال : صحيح الإسناد . وخرجه ابن عساكر من طرق وفي بعضها : (من رابط في سبيل الله يوماً وليلة كان ذلك يعدل صيام شهر وقيامه للذي لا ينصرف من صلاته إلا لحاجة ، ومن توفي مرابطاً في سبيل الله جرى له أجره حتى يقضى بين أهل الجنة والنار) ، وفي أخرى له : (ومن مات مرابطاً في سبيل الله أجري له أجر مجاهد إلى يوم القيامة) .

٢٢٩- وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر) . رواه أبو داوود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

قال القرطبي في تفسيره : وفي هذين الحديثين - يعني حديث سلمان وحديث فضالة - دليل على أن الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم ، فإن الصدقة الجارية والعلم المنتفع به والولد الصالح الذي يدعو لأبويه ينقطع ذلك بنفاد الصدقات وذهاب العلم وموت الولد ، والرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب فينقطع بانقطاعه ، بل هي فضل دائم من الله

تعالى إلى يوم القيامة ، وهذا لأن أعمال البر كلها لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسة بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام . انتهى كلامه وهو مليح جداً فتأمله .

٢٣٠- عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله ويجري عليه رزقه إلى يوم القيامة) . رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات ، وفي مثل هذا أحاديث كثيرة ذكرت بعضها في الأصل .

وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : ليس من رجل تخرج نفسه إلا رأى منزله قبل أن تخرج نفسه غير المرابط فإنه يجري عليه أجره أو قال رزقه ما كان الرباط . رواه ابن المبارك موقوفاً ، وهو معنى الأحاديث المرفوعة فإن الميت ينتهي عمله ويختم عليه مع آخر نفس منه فيرى منزلته التي استوجبها بجملة عمله الذي صدر منه في مدة حياته ، والمرابط لا يرى منزلته عند الله تعالى لأنه لا ينتهي عمله بانتهاء حياته بل أجره يتضاعف ويتزايد بعد موته إلى يوم القيامة ، ولا يعلم أحد ما ينتهي إليه أجره ويبلغه منزلته إلا الله تعالى ، ولكن يرى عند الموت ما يستبشر به ويسر ويرى منزلته وهي في عروج وصعود أبداً لا يبلغ منتهاها إلى يوم القيامة ، جل من لا يحصى فضله ولا تعد نعمته .

ومنها : أن المرابط إذا مات يجري عليه رزقه من الجنة كما يجري على الشهيد إلى يوم القيامة : تقدم ذلك في حديث سلمان وحديث أبي الدرداء وحديث العرباض ، ويأتي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره إن شاء الله تعالى :

٢٣١- وخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (والمرابط إذا مات في رباطه كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة وغدي عليه وريح برزقه ويزوج سبعين حوراء وقيل له : قف ، اشفع إلى أن يفرغ من الحساب) . ومنها : أن المرابط إذا مات في رباطه أمّنه الله من فتاني القبر وهما منكر ونكير عليهما السلام :

٢٣١- عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتاني القبر) . رواه أبو داوود وهذا لفظه والترمذي وتقدم .

٢٣٢- وعن شرحبيل بن السمط أنه كان مرابطاً بأرض فارس فمر به سلمان الفارسي رضي الله عنه وقد مل الناس الرباط وضجروا منه فقال يا ابن السمط : ألا أحدثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون عوناً لك على منزلك هذا ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن أجر المرابط يوم وليلة أو ليلة ويوم كقيام القائم في أهله شهراً ، فإن مات أمن من فتنة القبر وكتب له في قبره هذا مرابط في سبيل الله ، وأجري له عمله كأحسن ما كان يعمل إلى يوم الحساب) . رواه ابن عساكر وهو في مسلم بنحوه وتقدم .

٢٣٣- عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من رجل يموت مرابطاً في سبيل الله إلا أمّنه الله من فتنة القبر) . رواه ابن عساكر وسيأتي ذلك في غير ما حديث إن شاء الله .

ومنها : أن المرابط إذا مات في رباطه بعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر :

٢٣٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل ، وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان ، وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر) . رواه ابن ماجه بإسنادٍ صحيح ورواه البزار من حديث أبي هريرة وعثمان رضي الله عنهما . وتقدم في حديث أبي الدرداء : (ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر وغدي عليه وريح برزقه من الجنة) .

٢٣٥- وخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أعجز الرجال ؟ لو كنت رجلاً ما اخترت على الرباط عملاً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من مات مرابطاً وقي فتنة القبر وأمن من الفزع الأكبر وأجري له ما كان يعمل إلى يوم القيامة) . الفزع الأكبر : قال أكثر المفسرون : هو إطباق جهنم على أهلها ، وقال الحسن :

هو أن يؤمر بالعبد إلى النار ، وقيل غير ذلك . ومنها : ما روي أن المرابط إذا مات بعثه الله يوم القيامة شهيداً :

٢٣٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من مات مرابطاً مات شهيداً ووقي فتان القبر وغدي عليه وريح برزقه من الجنة وجرى له عمله) . خرجه عبد الرزاق وابن ماجه من طريق إبراهيم بن محمد وهو متروك عند الأكثرين وقد تابعه عليه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك أيضاً ورواه ابن أبي شيبة عن صفوان بن سليم من قوله .

٢٣٧- وخرج الطبراني حديث سلمان المتقدم بنحوه وقال في آخره : (ومن مات مرابطاً جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن الفتان وبعث يوم القيامة شهيداً) .

٢٣٨- وخرج ابن عساكر بإسناده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من هم برباط كتب الله بين عينيه براءة من النفاق ، فإذا خرج فاصلاً وكل الله به ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ، فإذا هو وصل كانت دعوته مستجابة ، فإن مات فهو شهيد ، وهو وافد لثلاثين يشفع لهم يوم القيامة ، وإن قتل فهو شهيد وهو وافد لسبعين يشفع لهم يوم القيامة) .

قال المؤلف عفا الله عنه : وقد ذكرت في الأصل[1] هنا قاعدة مهمة ينبغي مراجعتها ، والله الموفق .

ومنها : ما روي أن المرابط إذا مات في رباطه يمر على الصراط كهيئة الريح بغير حساب :

٢٣٩- عن أبي صالح الحمصي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يبعث الله عز وجل أقواماً يوم القيامة يمرون على الصراط كهيئة الريح ليس عليهم حساب ولا عذاب) قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : (أقوام يدركهم موتهم في الرباط) . خرجه ابن المبارك .

٢٤٠- وخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليبعثن أقوام يوم القيامة تتلألأ وجوههم نورا يمرون بالناس كهيئة الريح يدخلون الجنة بغير حساب) فقيل : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : (أولئك قوم أدركهم الموت وهم في الرباط) . وذكر صاحب شفاء الصدور عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : يخرجون يوم القيامة من المقابر رجال لا يشغلهم حساب الناس حتى يأتوا إلى أبواب الجنة فيقرعونها مُدِلِّين [منبسطين لا خوف عليهم] فيقول رضوان : من أنتم ؟ فيقولون : أحباء الله قوم مرابطون ، فيقول لهم رضوان : إنكم لتدلون على الله كأنكم غبرتم أقدامكم في سبيل الله على ساحل البحر .

ومنها : أن الرباط في سبيل الله تعالى أفضل من موافقة ليلة القدر : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول : رباط ليلةٍ إلى جانب البحر من وراء عورات المسلمين أحب إلي من أن أوافق ليلة القدر في أحد المسجدين مسجد الكعبة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ورباط ثلاثة أيام عدل السنة ، وتمام الرباط أربعون ليلة . خرجه عبد

[1] قال المؤلف عفا الله عنه : جرت السنة في معاملة الله عبيده بفضله وكرمه أن من توجه بصدق إلى شيء من القربات فمنعه القدر الإلهي مع شدة حرصه عليه وتصميم قصده في طلبه أن الله يعطيه يوم القيامة أجر تلك القربة تفضلاً منه وإحساناً لحسن قصده وإخلاص نيته وصدق طويته والدليل على ذلك أن من خرج مجاهداً فمات كان شهيداً ، كما سيأتي في بابه إن شاء الله ، وكذلك من حج فمات كتب حاجاً وقد قال صلى الله عليه وسلم في المحرم الذي سقط عن بعيره فمات : (إنه يبعث يوم القيامة ملبياً) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه) رواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه من حديث أبي الدرداء ورواه أبوداود والنسائي أيضاً من حديث عائشة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً) رواه أبو داوود والنسائي الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم وأشباه هذه الأحاديث كثيرة . والمرابط إنما رابط توقعاً للشهادة وتعرضاً لبذل نفسه في نيلها فلا جرم أنه إذا مات يبعث شهيداً ويؤيد هذا ما وهبه الله من خصائص الشهداء وهو إجراء الرزق عليه والأمان من فتنة القبر ومن الفزع الأكبر ونحو ذلك فلو لم يرد حديث مصرح بأنه يبعث شهيداً لكان مما يستنبط من هذه القاعدة فكيف وقد روي في ذلك عدة أحاديث وإن كانت لا تسلم من مقال فهي تتعاضد وتقوى بكثرة الطرق ويؤيدها القاعدة المذكورة ، والله أعلم .

الرزاق من طريق إسحاق بن رافع عن يحيى بن أبي سفيان الأخنسي عن أبي هريرة موقوفاً ، وخرجه سعيد بن منصور من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف عن عطاء الخراساني عن أبي هريرة ، وإسحاق وعبد الرحمن ضعيفان .

وروى ابن المنذر في الأوسط من طريق حماد عن أبي سنان القملي وفي توثيقه خلاف عن عثمان بن أبي سودة قال : كنا مع أبي هريرة بمرابط يافا فقال : رباط هذه أحب إلي من ليلة القدر في بيت المقدس . يافا بياء مثناة تحت وفاء غير ممدودة هي : قرية قديمة على جانب البحر بساحل بيت المقدس يخرج منها إلى رملة لد .

٢٤١- وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان في الرباط ففزعوا إلى الساحل ثم قيل : لا بأس فانصرف الناس وأبو هريرة واقف فمر به إنسان فقال : ما يوقفك يا أبا هريرة ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود) .

ومنها : ما روي أن من رابط يوماً جعل الله بينه وبين النار خندقاً :

٢٤٢- عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رابط يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق كل خندق كسبع سمواتٍ وسبع أرضين) . رواه الطبراني .

ومنها : أن للمرابط في سبيل الله أجر من خلفه :

٢٤٣- خرج الطبراني في الأوسط بإسناد رجاله ثقات عن أنس رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أجر الرباط ؟ فقال : (من رابط ليلة حارساً من وراء المسلمين كان له أجر من خلفه ممن صام وصلى) .

٢٤٤- وذكر صاحب شفاء الصدور عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من خرج مرابطاً في سبيل الله كان له من جميع أمة محمد من كل بر وفاجر وامرأة وصبي ومن كل معاهد وبهيمة وطائر في بر أو بحر قيراطا من الأجر إلى يوم القيامة) . والقيراط : مثل جبل أحد . وخرج ابن عساكر بإسناده إلى إبراهيم اليماني قال : قدمت من اليمن فأتيت سفيان الثوري فقلت : يا أبا عبدالله إني جعلت في نفسي أن أنزل جدة فأرابط بها كل سنة واعتمر في كل شهر عمرة وأحج في كل سنة حجة وأقرب من أهلي ، أهذا أحب إليك أم آتي الشام ؟ فقال لي : يا أخا اليمن عليك بسواحل الشام ، عليك بسواحل الشام ، فإن هذا البيت يحجه في كل سنة مائة ألف ، ومائة ألف وثلاثمائة ألف وما شاء الله من التضعيف لك مثل حجهم وعمرتهم ومناسكهم .

ومنها : أن رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل :

٢٤٥- وعن عثمان رضي الله عنه أنه قال على المنبر : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا كتمتكُمُوه كراهية تفرقكم عني ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل فليختر كل امرؤ لنفسه ما شاء) . رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ، ورواه ابن ماجه إلا أنه قال فيه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رابط ليلةً في سبيل الله كانت كألف ليلة صيامها وقيامها) . وفي رواية لابن عساكر أن عثمان رضي الله عنه قال : يا أيها الناس هجروا فإني مهجر فهجر الناس [هجر يهجر : إذا بكر وأتى الأمر من أوله] ثم قال : أيها الناس إني محدثكم بحديث ما تكلمت به منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن رباط يوم في سبيل الله أفضل من ألف يوم فيما سواه فليرابط امرؤ حيث شاء ، هل بلغتكم ؟) قالوا : نعم قال : (اللهم اشهد) . قال المؤلف عفا الله عنه : وفي حديث عثمان هذا دليل واضح على أن إقامة المرابط يوماً واحداً بأرض الرباط أفضل من إقامة ألف يوم في غيره من الأماكن ، سواء كان مكة أو المدينة أو بيت المقدس ، ولولا أن عثمان رضي الله عنه يعلم أن ذلك يعم مكة والمدينة لما خاف تفرقهم وخروجهم من المدينة إلى بلاد الرباط إذا سمعوا الحديث .

٢٤٦- وخرج ابن عساكر من طريق زيد بن جبيرة وهو متروك عن يحيى بن سعيد عن أنس رضي الله عنه قال : وحدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ليوم أحدكم في سبيل الله خير من ألف يوم في أحد المسجدين : مسجد الحرام ومسجد المدينة) . قال المؤلف عفا الله عنه : وقد خرج من مكة والمدينة من الصحابة والتابعين وتابعيهم خلق لا يعلمه إلا الله ونزلوا بسواحل الشام مرابطين إلى أن ماتوا وأكرمهم الله تعالى بالشهادة .

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إجماع العلماء على أن إقامة الرجل بأرض الرباط مرابطاً أفضل من إقامته بمكة والمدينة وبيت المقدس ، وحكى ابن المنذر في الأوسط عن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل : المقام بمكة أحب إليك أم الرباط ؟ قال : الرباط أحب إلي ، قال : وقال أحمد أيضاً : ليس يعدل عندنا شيء من الأعمال الغزوَ والرباط . انتهى ، وسأل رجل الإمام مالك : أيما أحب إليك تقيم بالمدينة الشريفة أم بالإسكندرية ؟ قال : بل أقيم بالإسكندرية . وقد روى جماعة عن محمد بن الفضيل بن عياض أنه رأى عبد الله بن المبارك في المنام قال : فقلت له : أي العمل وجدت أفضل ؟ قال : الأمر الذي كنت فيه ، قلت : الرباط والجهاد ، قال : نعم .

ومنها : أن الصلاة بأرض الرباط مضاعفة وكذلك صومه وذكره وقرآنه ونفقته وقد تقدم : باب في فضل العمل الصالح في سبيل الله ، ولا شك أن المرابط مثل المجاهد ، كلاهما في سبيل الله ، وتقدم أيضاً في الباب الثاني حديث عثمان : (والله ليوم يعمله أحدكم في سبيل الله خير من ألف يوم يعمله في بيته صائماً قائماً لا يفتر ولا يفطر) .

٢٤٧- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة ، ونفقة الدينار والدرهم منه أفضل من سبعمائة دينار ينفقه في غيره) . خرجه البيهقي في الشعب .

٢٩٠- وذكر صاحب شفاء الصدور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صلاة في الساحل على البحر بألف ألف صلاة مضاعفة) .

٢٤٨- وذكر أيضاً عن رجل من ولد عمر بن عبد العزيز عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صلاة في الساحل على شاطئ البحر بألف ألف صلاة وخمس وعشرين ألف صلاة) ، قال حفص بن عمر : فلقيت الأوزاعي فحدثته الحديث فقال : الصلاة في الساحل بألف ألف صلاة وخمس وعشرين ألف صلاة .

٢٤٩- وخرج أبو الشيخ ابن حيان في كتاب الثواب بإسناد ضعيف عن أنس رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : (صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة ، والصلاة بأرض الرباط بألفي ألف صلاة) . قال المؤلف عفا الله عنه : وقد صح : أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، رواه أحمد والبزار وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من حديث جابر ، ورواه البزار وابن خزيمة أيضاً في صحيحه من حديث أبي الدرداء وقد صح مع هذا : أن إقامة يوم بأرض الرباط أفضل من ألف يوم فيما سواه ، وتقدم أنه يعم مكة وغيرها فمن المحتمل أن يقال : إن كل عبادة تصدر من المرابط في ذلك اليوم حكمها حكم ذلك اليوم في التضعيف ، لأن كل جزء من أجزاء الرباط أفضل من مثله بألف يوم ليس فيه رباط ، فذلك الجزء الذي أديت فيه الصلاة مثلا وما اشتمل عليه من الطاعة بأرض الرباط أفضل من ألف جزء مثله بغيرها وإن اشتمل على مثل ما اشتمل عليه فالتضعيف لازم لذلك ، وإذا كان فضل الله وكرمه اقتضى أن المرابط إذا مات يجري عليه أجر عمله الصالح إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر ويجري عليه رزقه كما تقدم ذلك في الأحاديث الصحيحة ولم يرد ذلك فيمن مات بمكة والمدينة فلا يبعد أن يخص الله المرابط بزيادة تضعيف الصلاة أيضاً على الصلاة بالمساجد الثلاثة ، والله يؤتي فضله من يشاء والله واسع عليم . ذكر صاحب شفاء الصدور عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : تعدل كل حسنة من حسنات المرابط جميع حسنات العابدين ، وإن الله ليختار خيار أمة محمد صلى الله عليه وسلم للرباط كما يختار شرار

أمة محمد صلى الله عليه وسلم للسلطان . ومما يدل على أن نفقة المرابط مضاعفة كنفقة المجاهد ما تقدم في حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ونفقة الدينار والدرهم منه – أي من المرابط – أفضل من سبعمائة دينار بنفقة في غيره) . ويؤيده ما رواه ابن عساكر بإسناده عن الوليد بن سفيان عن عوف قال : أوصى رجل بمائة دينار في سبيل الله وأن ذلك وافى صلح صاحب الروم ، قال : فحج الوصي فمر بالمدينة فدخل على عثمان رضي الله عنه فقال : إن رجلاً أوصى بمائة دينار في سبيل الله وإن ذلك وافى صلح صاحب الروم ، فقال : أين تسكن ؟ قلت : بالشام ، قال : أنفقها على نفسك وأهلك وجيرانك فإن الرجل من أهل الشام يشتري بدرهم لحماً لأهله فيكون له بسبعمائة درهم . ورواه ابن المبارك بنحوه باختصار القصة . قال المؤلف عفا الله عنه: وإنما كانت النفقة في الشام مضاعفة إذ كانت في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه كلها أرض رباط يتوقع نزول العدو في كل موضع منها ، وأما الآن فمحل الرباط منها الثغور وما قرب منها ، وقد ذكرنا في الأصل ما ورد في فضل عسقلان ، وأشرنا إلى ما ورد في غيرها من الثغور كالإسكندرية ودمياط وعكا وصيدا وبيروت وطرسوس وقزوين والأندلس وغيرها وأنه لم يصح في شيء منها حديث البتة ، والله أعلم .

فصل

في أنواع مختلفة من فضل الرباط وأهله

٢٥٠– عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن لكل أمة سياحة ، وسياحة أمتي الجهاد ، وإن لكل أمة رهبانية ، ورهبانية أمتي الرباط في نحور العدو) . خرجه الطبراني من طريق عفير بن معدان .

٢٥١– وعن عروة بن رويم قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجال فقالوا : يا رسول الله إنا كنا حديث عهد بجاهلية وإنا كنا نصيب من الآثام والزنا ، وإنا أردنا أن نحبس أنفسنا في بيوت نعبد الله عز وجل فيها حتى نموت ، قال : فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (إنكم ستجندون أجنادا ويكون لكم ذمة وخراج ، وسيكون لكم على سِيف البحر مدائن وقصور ، فمن أدرك ذلك فاستطاع أن يحبس نفسه في مدينة من تلك المدائن أو قصر من تلك القصور حتى يموت فليفعل) . خرجه ابن المبارك وهو معضل صحيح الإسناد . سيف البحر : ساحله وهو بكسر السين المهملة وإسكان الياء المثناة تحت وآخره فاء .

٢٥٢– وعن يزيد العقيلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنه سيكون في أمتي قوم تسد بهم الثغور وتؤخذ منهم الحقوق ولا يعطون حقوقهم ، أولئك مني وأنا منهم) . خرجه ابن المبارك ، ويزيد مذكور في الصحاب .

٢٥٣– وذكر صاحب شفاء الصدور عن الحكم بن عتيبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هموا بالرباط ، فإن من هم بالرباط كتب الله بين عينيه براءة من النار ، فإن أوفى بالرباط لم تصبه خطيئة ولا ذنب) . وذكر أيضاً عن علي رضي الله عنه موقوفاً قال : كل خطوة يخطوها المرابط تعدل عند الله ألف عام صيام نهارها وقيام ليلها لا يفتر .

٢٥٤– وذكر أيضاً عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لئن أرابط يوماً على ساحل البحر أحب إلي من أن أدخل سوقكم هذه فأشتري مائة رقبة فأعتقها ، ومن أن أعتكف في مسجدي هذا ثلاثين سنة) .

٢٥٥– وذكر أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من حق المرابط على ربه مكتوب في سدرة العرش : عبدي ، وعزتي وجلالي : ما من عبد رابط لوجهي ثلاثة أيام إلا وكلت به وأهله وولده وعبيده ونسائه ثلاثين ملكا يودونهم ويسددوهم ويردون عنهم البلاء) .

وذكر أيضاً عن محمد بن مقسم قال : ما من عبد قال لأهله وولده : أنا غداً إن شاء الله خارج إلى الرباط ثم لم يفعل إلا كتب مرابطاً إلى يوم القيامة ، والمرابط حبيب الله ، نفَسه تسبيح ، ونومه عبادة ، وليس ترد له دعوة حتى إذا مات

أتاه آت فقال له : أبشر يا ولي الله فإن الله أغلق عنك أبواب النار وفتح لك أبواب الجنة ، ادخل من أي أبواب الجنة شئت .

٢٥٦- وذكر أيضاً عن إسمعيل بن حبيب يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من مسلم إلا له من الله نظرة كل يوم ورحمة يتقلب فيها ، إلا المرابط والمجاهد فإن لهما في كل يوم من الله مائة رحمة ومائة نظرة يتقلبان فيهما ولا يسألان ولا يحاسبان عن النعيم يوم القيامة) .

٢٥٧- وخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أعجز الرجال عن الطاعة ؟ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رابط فواق ناقة وجبت له الجنة وحرم جسده على النار) . فواق الناقة : هو ما بين الحلبتين ، وقيل : هو قدر ما يحلب فيه ، وقيل غير ذلك .

٢٥٨- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رابط يوماً في سبيل الله كان كعبادة ألف رجل كل رجلٍ عبد الله ألف عامٍ) . خرجه ابن عساكر وقال : هذا حديث غريب .

٢٥٩- وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لرباط يومٍ في سبيل الله محتسباً من غير شهر رمضان أعظم أجراً من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ، ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورات المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجرا) أراه قال : (أفضل من عبادة ألفي سنة صيامها وقيامها ، فإن رده الله سالما إلى أهله لم تكتب عليه سيئة ألف سنة ، ويكتب الله له الحسنات ويجري له أجر المرابط إلى يوم القيامة) . رواه ابن ماجه والبيهقي من طريق عمر بن صبيح وهو متهم بهذا الحديث .

وقد ذكر هذا الحديث القرطبي في تفسيره ثم قال : دل هذا الحديث على أن رباط يوم من شهر رمضان يحصل له به الثواب الدائم وإن لم يمت مرابطا . قال المؤلف عفا الله عنه : إنما يدل على ذلك لو ثبت ولكنه حديث غريب بل منكر ، وما فيه من المجازفة يدل على أنه موضوع ، والله أعلم . وأغرب منه :

٢٦٠- ما خرجه ابن عساكر بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رابط يوماً واحداً من شهر رمضان في سبيل الله كان أفضل من عتاقة ستمائة ألف رقبة وأفضل من ستمائة ألف بدنة مقلدة وأفضل من عبادة ستمائة ألف سنة كل سنة ثلاث مائة وستون يوما كل يوم ستمائة ألف سنة من سني الآخرة ، ولا يدرك فضله من مضى ولا من بقي إلا من كان في مثل حاله أو أوذي في الله عز وجل) .

قال المؤلف عفا الله عنه : وهذا حديث لا يشك في وضعه ، والله أعلم بمن افتراه .

وفي الأصل جملة من الأحاديث غير ما ذكر اختصرناها ، والله الموفق .

فصل

وقد روي : أن تمام الرباط أربعون يوماً ، ولهذا قيل لأحمد بن حنبل : هل للرباط وقت ؟ قال : أربعون يوماً ، قال إسحاق : إنما قال هذا أكثره ، والثلاث لمن لا يحب أن يبلغ ذلك حسن .

٢٦١- وخرج الطبراني بإسناده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تمام الرباط أربعون يوماً ، ومن رابط أربعين يوما لم يبع ولم يشتر ولم يحدث حدثاً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

٢٦٢- وخرج ابن عساكر بإسناده عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رابط وراء بيضة المسلمين وأهل دينهم وذمتهم أربعين يوماً رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

٢٦٣- وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تمام الرباط أربعون يوما) .

٢٦٤- وذكر في شفاء الصدور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الرباط أفضل ؟ قال : (رباط البحر ، فمن رابط على البحر أربعين ليلة فكأنما حج سبعين حجة مبرورة مقبولة ، وكانت أحب إلى الله تعالى من الدنيا وما فيها) . وقد روى ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من طرق بعضها جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً : من رابط أربعين ليلةً فقد أكمل الرباط . وخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً قال : إذا رابطت ثلاثاً فليتعبد المتعبدون ما شاءوا .

٢٦٥- وخرج ابن عدي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الرباط ثلاثة أيام ، ثم قُل للعاملين أن يدركوني) . قال ابن عدي : لا يرويه عن الأوزاعي غير كاتبه يوسف بن السفر أبي الفيض .

فصل مهم

اعلم أن الرباط المطلوب : عبارة عن ربط الإنسان نفسه في ثغر يتوقع فيه نزول العدو بنية الجهاد أو الحراسة أو تكثير سواد من فيه من المسلمين ، وكلما كان الخوف في مكان أشد كان الرباط أفضل فيه والثواب أجزل ، وسواء كان ذلك المكان ساحل بحرٍ أو غيره ، وقد ضعّف مالك رحمه الله أمر الرباط بجدة لأن العدو إنما نزل فيها مرةً واحدة ، وقد سئل مالك رحمه الله عن سكان الثغور بالأهل والولد ؟ فقال : ليسوا بمرابطين ، وإنما الرباط لمن خرج من منزله متعمداً للرباط في موضع الخوف . قال المؤلف عفا الله عنه : والذي يظهر لي والله أعلم أن من كان ساكناً بثغر لا يربطه فيه إلا توقع الجهاد أو قصد الحراسة ولو شاء أن يرحل عنه لرحل من غير مشقة عليه في الرحيل أنه مرابط وله أجر الرباط وإن كان معه أهله وولده أو كان له فيه سبب بشرط أن يكون بحيث لو عرض عليه زوجة أجمل من زوجته أو سبب أوسع من سببه أو غير ذلك بمكان ليس بثغر لما خرج من الثغر رغبة فيما عرض عليه فإنما الأعمال بالنيات ومازال السلف الصالح من الصحابة والتابعين يسكنون الثغور بأهليهم وأولادهم بنية الرباط ، ولعل مالكاً رحمه الله إنما يعني بذلك من ولدوا بالثغور ونشأوا بها وكانت إقامتهم فيها لوجود أهاليهم وحبا لأوطانهم وغبطة بما هم فيه من الأسباب والأنشاب من غير قصد لهم في الرباط لأنه قد أجاز خروج الرجل بأهله إلى الرباط كما سيأتي وفي كلام أبي محمد ابن عطية ما يشعر بذلك فإنه قال في تفسيره : فأما سكان الثغور دائماً بأهليهم الذين يعمرون ويكسبون هنالك فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين . انتهى ، والله أعلم . وأما من نزل ثغراً وأقام فيه لإقامة رئيسه بحيث لو رحل رئيسه لرحل هو أيضاً ، أو لسبب يغبط به نفسه لا يتهيأ له في غير الثغر أو لزوجة لا ترحل معه إلى غيره أو لوظيفة ومنصب ورزق ونحو ذلك بحيث لو أراد التحول إلى غيره لشق عليه ذلك ولو امتنع توقع الجهاد بذلك الثغر لما رحل عنه لرغبته فيما هو فيه أو لو وجد سبباً أو رزقاً أوسع من رزقه وسببه بمكان آخر لتحول من ذلك الثغر إليه فإن هذا ليس بمرابط وليس له من أجر الرباط شيء إذ الرابط له في الثغر إنما هو سبب آخر غير الجهاد ولعل مالكاً رضي الله عنه إنما أراد هذا وأمثاله ، وربما يثاب هذا على نية الجهاد إن كانت نيته أن يقاتل لو نزل عدو لأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره . فإن كانت إقامته بالثغر لسبب غير الجهاد وللجهاد أيضاً ولو أراد أن يتحول منه لأمكنه ذلك من غير مشقة وكان بحيث لو امتنع الجهاد من ذلك الثغر لرحل إلى ثغر يتوقع فيه الجهاد ولو تعطل سببه لرحل إلى مكان آخر يجد فيه سبباً وإن لم يكن ثغراً فهذا لا يخلو : إما أن يكون ذلك السبب من ضرورات المعيشة ، أو يكون سبباً زائداً على قدر الكفاية يمكنه الاستغناء عنه ، فإن كان يحصل له الكفاية بدونه ونيته الرحيل لو فقده فإنه ليس بمرابط على ما تقتضيه قواعد جماعة من السلف وما أراه يخلو من أجر قياساً على ما اختاره أبو حامد الغزالي ومن نحا نحوه في أمثال هذه المسألة لكونه لو تعطل الجهاد من ذلك الثغر لرحل عنه إلى ثغر آخر ولا يبعد أن تقاس هذه المسألة على مسألة : من غزى يلتمس الأجر والغنيمة على ما سيأتي بيانه في باب النية إن شاء الله تعالى . فأما من كان مقيماً في ثغر من الثغور ونيته أنه لو

نزل به عدوّ لفرّ منه ولم يقاتل مطلقاً فإنه عاصٍ بنيته مُصر على معصيته مادام في ذلك الثغر لأن العدو إذا نزل ببلد صار القتال على أهل ذلك البلد فرض عين لا يحل لأحد الإعراض عنه ولا الفرار منه إلا حيث أبيح سيما إن كان الفار رئيساً أو قدوة أو ذا منصبٍ في الثغر فإن إثمه في الفرار ليس كإثم من لا يؤبه له ولا يُلتفت إليه إن قام أو رحل ، ومن كانت هذه نيته فرحيله من الثغر خير له ، لأنه كلما طالت إقامته وهو على هذه النية السيئة ازداد إثمه وعظم جُرمه وإذا رحل ارتفع عنه الحرج وزال الإثم فيما يستقبل ، والله أعلم .

مسألة :

قال مالك رحمه الله : ولابأس بأن يخرج الرجل بأهله إلى الرباط ، قال سحنون : إلى المواضع المأمونة الكثيرة الأهل مثل الإسكندرية وتونس وشك في صفاقس وسوسة ، وقال مالك : ورب ثغر فيه ألف رجل ليس بمأمون ، وقد كان الإمام أحمد رحمه الله ينهى عن سُكنى الثغور بالأهل ، والظاهر إنما هو في الثغور التي لا يؤمن على أهلها ، والله أعلم .

الباب السادس عشر

في فضل الحراسة في سبيل الله تعالى والخوف فيه

قال الله تعالى : ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

٢٦٦- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع) . رواه البخاري في حديث ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : لئن أبيت حارساً خائفاً في سبيل الله أحب إليّ من أن أتصدق بمائة راحلة . رواه ابن المبارك موقوفاً من طريق ابن لهيعة .

واعلم أن الحراسة في سبيل الله تعالى من أعظم القربات وأعلى الطاعات وهي من أفضل أنواع الرباط ، وكل من حرس المسلمين في موضع يخشى عليهم فيه من العدو فهو مرابط ولا ينعكس فللحارس في سبيل الله أجر المرابط وفضائل أُخر كثيرة : منها : أن النار لا تمس عيناً حرست في سبيل الله أبداً :

٢٦٧- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله تعالى وعين باتت تحرس في سبيل الله) . رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، وقد خرجه ابن عساكر من حديث العباس بن المطلب ومن حديث أبي سعيد وحديث ابن عمر وخرجه ابن عدي من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنهم .

٢٦٨- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عينان لا تمسهما النار أبداً : عين باتت تكلأ في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله) . رواه أبو يعلى ورجاله ثقات . قوله : تكلأ مهموزاً معناه : تحفظ وتحرس في سبيل الله .

٢٦٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة أعين لا تمسها النار : عين فقئت في سبيل الله ، وعين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله تعالى) . رواه الحاكم من طريق عمر بن راشد اليمامي وقال : صحيح الإسناد ، وفي رواية له : (حُرم على عينين أن تنالهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من الكفر) .

٢٧٠- وعن أبي ريحانة رضي الله عنه قال : كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوةٍ فأتينا ذات يوم على شرف فبتنا عليه فأصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر في الأرض حفرةً يدخل فيها ويلقى عليه الحجفة – يعني الترس – فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس قال : (من يحرسنا الليلة ؟ وأدعوا له بدعاء يكون له فيه فضل) فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، قال : (أُدْن) فدنا ، قال : (من أنت ؟) فتسمّى له الأنصاري ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فأكثر منه ، قال أبو ريحانة : فلما سمعت ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أنا رجل آخر ، قال : (أُدْن) فدنوت ، فقال : (من أنت ؟) قلت : أبو ريحانة ، فدعا لي بدعاء هو دون ما دعا به للأنصاري ثم قال : (حرُمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله ، وحرُمت النار على عين سهرت في سبيل الله) وقال : (حرمت النار على عين أخرى ثالثة) لم يسمعهما محمد بن سمير . رواه أحمد واللفظ له ورجاله ثقات وابن أبي شيبة والنسائي والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٢٧١- وعن أبي عمران الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة أعين لا تحرقهم النار أبداً : عين بكت من خشية الله وعين سهرت بكتاب الله وعين حرست في سبيل الله) رواه بن المبارك عن إسماعيل بن عياش عن ثعلبة بن مسلم الخثعمي عن أبي عمران . ومنها : ما روي أن من حرس في سبيل الله لا يرى النار بعينه :

٢٧٢- وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة لا ترى أعينهم النار : عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفت عن محارم الله) . خرّجه الطبراني .

٢٧٣- وخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني من طريق رشدين بن سعد عن زبان عن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تعالى لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم فإن الله يقول ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾) . قوله : تحلة القسم : أي قدر ما يبر الله تعالى قسمه . ومنها : ما روي أن كل عين باكية يوم القيامة إلا عين سهرت في سبيل الله وما ذكر معها :

٢٧٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضَّت عن محارم الله تعالى ، وعين سهرت في سبيل الله ، وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى) . وخرجه الأصبهاني في الترغيب وابن عساكر وغيرهما ، وفي سنده عمر بن صهبان : ضعيف .

٢٧٥- ومنها : ما رواه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (حرس ليلة في سبيل الله أفضل من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة ، السنة ثلاثمائة وستون يوماً ، اليوم كألف سنة) وهذا حديث منكر وإسناده واه . ورواه أبو يعلى مختصراً : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حرس ليلة على ساحل البحر كان أفضل من عبادته في أهله ألف سنة) .

وفي كتاب الجامع لمسائل المدونة : قال أبو هريرة رضي الله عنه : لحرس ليلة أحب إلي من صيام ألف يوم أصومها وأقوم ليلها في المسجد الحرام وعند قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

٢٧٦- وذكر في شفاء الصدور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من حرس ليلة حتى يصبح على فرس من وراء عورة المسلمين كانت له عند الله أفضل من عبادة ستين سنة) .

ومنها : ما رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن مكحول قال : من بات حارساً حتى يصبح تحاتت عنه خطاياه . وروي أيضاً عن حسان بن عطية مثله بإسنادٍ صحيح .

ومنها : شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لمن حرس أنه من أهل الجنة :

٢٧٧- عن أبي عطية رضي الله عنه أن رجلاً توفي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل رآه أحدٌ منكم على عمل من أعمال الخير ؟) فقال رجل : نعم ، حرست معه ليلة في سبيل الله ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وصلى عليه فلما أُدخل القبر حثا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده من التراب ثم قال : (إن أصحابك يظنون أنك من أهل النار وأنا أشهد أنك من أهل الجنة) . خرجه الطبراني من طريق بقية .

٢٧٨- وخرج أيضاً عن أبي المنذر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : إن فلاناً هلك فصلِّ عليه ، فقال عمر رضي الله عنه : إنه فاجر فلا تصل عليه ، فقال رجل يا رسول الله : ألم تر الليلة التي صَبَّحْتَ فيها الحرس فإنه كان منهم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ، ثم تبعه حتى إذا جاء قبره قعد ، حتى إذا فرغ منه حثا عليه ثلاث حثيات ثم قال : (يثني عليك الناس شراً وأنا أثني عليك خيراً) فقال عمر : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (دعنا منك يا ابن الخطاب ، من جاهد في سبيل الله وجبت له الجنة) .

٢٧٩- عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين فأطنبوا السير حتى إذا كان عشية فحضرت صلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فارس فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا آنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم اجتمعوا إلى حُنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله) ثم قال : (من يحرسنا الليلة ؟) فقال أنس بن أبي مرثد الغنوي : أنا يا رسول الله ، قال : (فاركب) فركب فرساً له وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نغزى من قبلك الليلة) فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه فركع ركعتين ثم قال : (هل أحسستم فارسكم ؟) فقالوا : يا رسول الله ما أحسسناه فثوب بالصلاة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته وسلم فقال : (أبشروا فقد جاء فارسكم) فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فاطلعت فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل نزلت الليلة ؟) قال : لا ، إلا مصلياً ، أو قاضي حاجةٍ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها) . رواه أبو داوود واللفظ له والنسائي وأبو عوانة في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما لكن لم يخرجا لسهل وهو صحابي كبير . قوله : أوجبتَ : أي أوجبت لنفسك الجنة بما صنعت من حرسك الليلة .

ومنها : ما رُوي أن من حرس في سبيل الله كان له بعدد من خلفه قراريط من الأجر : روى سعيد بن منصور في سننه عن إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن محيريز عن أبيه قال : من حرس في سبيل الله كتب له بكل ليلة قيراط من الأجر عدد من خلّف خلفه من مسلمٍ وكافر . ورواه ابن المبارك عن الأوزاعي أخبرني من سمع ابن محيريز يقول : من حرس ليلة في سبيل الله كان له من كل إنسان ودابة قيراط من الأجر . قال المؤلف عفا الله عنه : مثل هذا لا يقال من قبل الرأي ، وإنما يحمل على السماع ، وعبد الله بن محيريز كان من أعيان أئمة التابعين وعبادهم .

٢٨٠- وخرّج الطبراني بإسناد رجاله ثقات عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من رابط ليلةً حارساً من وراء المسلمين كان له أجر من خلَّفه ممن صام وصلى) .

ومنها : أن من حرس ليلة في موضع يخاف فيه على نفسه أفضل من ليلة القدر :

٢٨١- عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أنبئكم ليلةً أفضل من ليلة القدر ؟ حارس حرس في أرض خوف لعله ألا يرجع إلى أهله) . رواه النسائي والحاكم واللفظ له وقال : صحيح على شرط البخاري .

٢٨٢- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لئن أحرس ثلاث ليالٍ مرابطاً من وراء بيضة المسلمين أحب إليّ من أن تصيبني ليلة القدر في أحد المسجدين المدينة أو بيت المقدس) . خرجه البيهقي وابن عساكر وقال : هذا حديث حسن . ومنها : ما روي أن من حرس ليلةً أفضل من ألف ليلةٍ يقام ليلها ويصام نهارها ، وتقدم هذا من قول أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٨٣- وعن عبد الله بن الزبير قال : قال عثمان وهو يخطب على المنبر : إني محدثكم بحديثٍ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنعن أن أحدثكم به إلا الظن بكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلةٍ يقام ليلها ويصام نهارها) . خرجه الطبراني وابن المنذر في الأوسط والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٢٨٤- ومنها : ما خرجه السلطان نور الدين محمود بن زنكي في كتاب الاجتهاد بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سهر ليلة في سبيل الله فله عند الله من الثواب ما لا يقدر أحد أن يصفه من أمتي) .

٢٨٥- ومنها : ما روي عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رحم الله حارس الأحراس) . رواه سعيد بن منصور وابن ماجه وابن المنذر والبيهقي بإسنادٍ ذكرته في الأصل وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

٢٨٦- وعن الأوزاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (حارس الحرس في سبيل الله على فرس يصبح وقد أوجب) . ذكره في شفاء الصدور وقال : يعني استوجب الجنة ، وحارس الحرس : هو الذي يحرسهم ، والحرس : هم الغزاة والمرابطون والسرية .

٢٨٧- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على حرسه بتبوك من يوم قدم إلى أن رحل عنها عبادَ بنَ بشر أو عباد بن بشير ، فكان عبادٌ يطوف على أصحابه في العسكر ، فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله مازلنا نسمع صوت تكبير من ورائنا حتى أصبحنا فوليت أحداً يطوف علي الحرس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما فعلت ، ولكن عسى أن يكون بعض المسلمين على خيولها انتدب لها) فقال سلكان بن سلامة : يا رسول الله خرجت في عشرة من المسلمين على خيلنا فكنا نحرس الحرس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رحم الله حرس الحرس في سبيل الله) قال : (فلكم قيراط من الأجر على كل من حرستم من الناس جميعاً أو دابة) . ذكره في شفاء الصدور .

فصل

٢٨٨- روى ابن المبارك بإسنادٍ حسن ومن طريقه أبو داوود وغيره عن جابر رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع فأصاب امرأة رجل من المشركين ، فلما أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً وجاء زوجُها وكان غائباً فخرج يتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم فحلف أن لا ينتهي حتى يهريق دماً من أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، فخرج يتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل النبي صلى الله عليه وسلم منزلاً فقال : (من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟) فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فقالا : نحن يا رسول الله ،

قال : (فكونا بفم الشعب) قال : وكانوا نزلوا إلى شعب من الوادي ، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل أحب إليك أن أكفيك أوله أو آخره ؟ قال : اكفني أوله ، فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم فرماه بسهم فوضعه فيه فنزعه وثبت قائما ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه وثبت قائماً ثم عاد له بثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أتيت ، فلما رآهما الرجل عرف أنه قد نذروا به ، فهرب فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال : سبحان الله ! أما أنبهتني أول ما رماك ؟ قال :كنت في سورة أقرأها فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع الرمي ركعت فآذنتك ، وايم الله لولا أني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها . قوله : رَبِيئة القوم بفتح الراء وكسر الباء الموحدة وبعدها يا مثناه تحت همزة : هو كالئهم وعينهم ، وسمى بذلك لأنه يكون في الغالب على شرفٍ في الأرض ، وأهبّ صاحبه بتشديد الباء أي : أيقظه .

٢٨٩- وعن سهيل بن أبي صالحٍ قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد قال : (من ينتدب يسُد هذه الثغرة الليلة ؟) أو كما قال ، فقام رجل من الأنصار ثم من بني زريق يقال له : ذكوان بن عبد قيس أبو السبع فقال : أنا ، قال : (من أنت ؟) قال : أنا ذكوان ، قال : (اجلس) ثم عاد فقالها فقام ذكوان فقال : أنا ، قال : (من أنت ؟) قال : أنا ذكوان أبو السبع ، فقال : (كونوا مكان كذا وكذا) فقال ذكوان : يا رسول الله ما هو إلا أنا ، ولم نأمن أن يكون للمشركين عين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحبّ أن ينظر إلى رجُل يطأ خضرة الجنة بقدميه فلينظر إلى هذا) فانطلق ذكوان إلى أهله فودعهنّ فأخذن نساؤه بثيابه وقلن : يا أبا السبع تدعنا وتذهب ؟ فاستل ثوبه منهن حتى إذا جاوزهنّ أقبل عليهن فقال : موعدكن يوم القيامة ، ثم قتل رضي الله عنه . رواه بن المبارك هكذا معْضلاً من طريق عاصم بن عمر العمري .

فصل في فضل الخوف في سبيل الله

٢٩٠- عن سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عذق النخلة) . رواه الطبراني مرفوعاً ورواه بن المبارك وابن أبي شيبة موقوفاً وهو أصح . وفي رواية لابن أبي شيبة : (إذا كان الرجل في سبيل الله فأرعد قلبه من الخوف تحاتت خطاياه كما يتحات عذق النخلة) . العذق بكسر العين وإسكان الذال المعجمة بعدها قاف : هو القنو ، وبفتح العين : النخلة نفسها .

٢٩١- وعن سعيد بن أبي هلال أنّه بلغه أن عبد الرحمن بن عوف تصدق بصدقة عجب لها الناس حتى ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أعجبتكم صدقة ابن عوف ؟) قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : (لروعة صعلوكٍ من صعاليك المهاجرين يخر سوطه في سبيل الله أفضل من صدقة ابن عوفٍ) . خرجه ابن المبارك . ومعناه : أن روعة الصعلوك لسقوط سوطه أفضل من صدقة ابن عوف ، وإنما ذكر الصعلوك لأنّ الغني في الغالب لا يروعه الشيء اليسير إذا ذهب منه .

٢٩٢- وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من غازيةٍ أو سريةٍ تغزو في سبيل الله فيسلمون ويصيبون إلا تعجلوا ثلثي أجرهم ، وما من غازيةٍ أو سريةٍ تخفق وتُخَوَّفُ وتصاب إلا تم لهم أجرهم) . قوله : تخفق بخاءٍ معجمة وفاء وقاف معناه : رجعت ولم تغنم ، يقال : أخفق الغازي : إذا غزا ولم يغنم ولم يظفر .

٢٩٣- وعن أم مالك البهزية رضي الله عنه قالت : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها ، قالت : قلت : يا رسول الله من خير الناس فيها ؟ قال : (رجل في ماشية يؤدي حقها ويعبد ربه ، ورجل آخذ برأس فرسه يخيف العدو ويخيفونه) . رواه الترمذي وغيره وخرجه ابن عساكر إلا أنّه قال : عن سليمان بن موسى أن أم مالك البهزية سألت النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرهم بأعظم الناس أجراً ، قال لها : (أعظم الناس أجراً رجل آخذ برأس فرسه بإزاء العدو يخيفهم ويخيفونه) .

٢٩٤- عن مجاهد قال : قالت أم مبشر رضي الله عنها : يا رسول الله أي الناس خير عند الله منزلة ؟ قال : (رجل على متن فرسه يخيف العدو ويخيفونه) ثم أشار بيده نحو الحجاز ، قال : (ورجل يقيم الصلاة ويعطي حق الله من ماله) . رواه ابن المبارك عن سفيان عن ابن نجيح عنه . متن الفرس : ظهره ، وتقدم قول عبد الله بن عمر : ولئن أبيت حارساً خائفاً في سبيل الله عز وجل أحب الي من أن أتصدّق بمائة راحلة .

٢٩٥- وعن عبيد الله بن أبي حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من نزل منزلا يخيف فيه المشركين ويخيفونه حتى يدركه الموت كتب له كأجر ساجدٍ لا يرفع رأسه إلى يوم القيامة وأجر قائم لا يقعد إلى يوم القيامة وأجر صائم لا يفطر إلى يوم القيامة) . وخرجه ابن المبارك من حديث بكر بن خنبس وهو واه .

٢٩٦- وعن أبي عمران الجوني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا قاتل الشجاع والجبان فأعظمهما أجرا الجبان ، وإذا تصدق البخيل والسخي فأعظمهما أجرا البخيل) . وخرجه ابن المبارك أيضاً وهو مرسل .

الباب السابع عشر

في فضل الصف في سبيل الله والقيام فيه

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ قال مجاهد : نزلت في نفرٍ من الأنصار منهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملنا به حتى نموت . فلما نزلت فيهم قال ابن رواحة : لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت ، فقتل شهيداً .

٢٩٧- وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء وقلما ترد على داعٍ دعوته : عند حضور النداء ، والصف في سبيل الله تعالى) . رواه أبو داوود وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، وفي رواية لابن حبان : (ساعتان لا ترد على داع دعوته : حين تقام الصلاة ، وفي الصّف في سبيل الله تعالى) .

٢٩٨- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية من سراياه ، قال : فمرّ رجل بغار فيه شيء من الماء فحدّث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى من الدنيا ، قال : لو أني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل ، فأتاه فقال : يا نبي الله ، إني مررت بغارٍ فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدّثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكن بعثت بالحنيفيّة السمحة ، والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة) . خرجه أحمد وتقدم من حديث أبي هريرة بأسانيد صحيحةٍ .

٢٩٩- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مقام الرجل في الصف أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة) . رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري . وعن ابن عمر رضي الله عنه عنهما قال : لئن أقف موقفاً في سبيل الله مواجهاً للعدو ولا أضرب فيها بسيف ولا أطعن برمح ولا أرمي بسهم أفضل

من أن أعبد الله ستين سنةً لا أعصيه . ذكره الصقلي في كتاب الجامع لمسائل المدوّنة . وعن مجاهد عن يزيد بن شجرة رضي الله عنه – قال : وكان يزيد بن شجرة ممن يصدّق قوله وفعله – خطبنا فقال : يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، ما أحسن نعمة الله عليكم ترى من بين أخضر وأحمر وأصفر وفي الرحال ما فيها ، وكان يقول : إذا صف الناس للصلاة وصفوا للقتال فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأبواب النار وزين الحور العين وأطلعن ، فإذا أقبل الرجل قلن : اللهم انصره ، وإذا أدبر احتجبن عنه وقلن : اللهم اغفر له ، فانهكوا وجوه القوم فدا لكم أبي وأمي ، ولا تخزوا الحور العين ، فإن أول قطرة تنضح من دمه يكفر الله عنه كل شيء عمله ، وتنزل إليه زوجتان من الحور العين تمسحان التراب عن وجهه وتقولان : قد آن لك ، ويقول : قد آن لكما ، ثم يكسى مائة حُلةٍ ليس من نسج بني أدم ولكن من نبت الجنة لو وضعن بين إصبعين لوسعنه . وكان يقول : نُبئت أن السيوف مفاتيح الجنة . خرجه عبد الرزاق وإسناده إلى يزيد على شرط الشيخين . وقد رواه البزار والطبراني مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويأتي إن شاء الله تعالى . قوله : وفي الرحال بالحاء المهملة أي : في البيوت والمنازل ، وقوله : انهكوا وجوه القوم أي : أجهدوهم وأبلغوا جهدهم ، وهو بكسر الهاء بعد النون ، والنّهك : المبالغة في كل شيء ، وقوله : آن لك أي حان ، يقال آن الشيء إذا حان وقته .

٣٠٠- عن أبي سعيد يرفع الحديث قال : (ثلاثة يضحك الله إليهم يوم القيامة : الرجل إذا قام من الليل يصلي ، والقوم إذا صفوا في الصلاة ، والقوم إذا صفوا في قتال العدو) . رواه ابن أبي شيبة من طريق مجالد بن سعيد وفي توثيقه خلاف . وعن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال : إذا التقى الصفان أهبط الله الحور العين إلى السماء الدنيا ، فإذا رأين الرجل يرضين مَقدَمَه قلن : اللهم ثبته ، فإن نكص احتجبن منه ، فإن هو قتل نزلن إليه فمسحتا التراب عنه وقالتا : اللهم عفر من عفره ، وتَرِبْ من تربه . رواه ابن المبارك وعبد الرزاق موقوفاً عليه وإسنادهما صحيح وعبد الله تابعي مشهور . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : ألا أخبركم بأفضل الشهداء عند الله منزلةً يوم القيامة ؟ الذي يلقى العدو في الصف فإذا واجهوا عدوهم لم يلتفت يميناً ولا شمالاً واضعاً سيفه على عاتقة يقول : اللهم إني أجرتك نفسي بما أسلفت في الأيام الخالية ، فيقتل عند ذلك ، فذلك من الشهداء الذين يتلبطون [يضطجعون] في الغرف العلى من الجنة حيث شاءوا . رواه ابن المبارك موقوفاً ورواه الطبراني بإسناد حسن عن أبي سعيد مرفوعاً مختصراً ورواه أحمد وأبو يعلى كذلك من حديث نعيم بن همار .

٣٠١- وذكر في شفاء الصدور عن أبي عبد الله الخراساني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (تفتح أبواب الجنة عند صفّ القتال وصفّ الصلاة ، فإذا ركبتم خيلكم وصافقتم عدوكم تزين الحور العين بالحرير الأخضر ولبسن وشاح الدّر الأصفر وحسرن عن قِصصهن وصدورهن ثم ركبن خيلاً من خيل الجنة برحائل الياقوت وجئن حتى يصرن خلفكم فإذا حملتم حملن معكم وإذا صرع أحدكم أقبلن يمسحن الدم والغبار عن وجهه وقلن : اليوم تنقضي عنكم الدنيا وهمومها ، جاورتم الرب الكريم وشربتم من الرحيق المختوم وعاينتم أزواجكم من الحور العين) .

الباب الثامن عشر

في فضل الرمي في سبيل الله تعالى وبيان إثم من تعلمه ثم تركه

اعلم أن الرمي وتعلمه بنيّة الجهاد في سبيل الله تعالى وتعليمه والمسابقة به مما ندب إليه النبي صلى الله عليه وسلم وحرض عليه ، وقد ورد في ذلك فضائل كثيرة : منها : أن الله أمر بالرمي استعدادا للجهاد في سبيل الله فقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ

يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ وقد ذهب بعض العلماء إلى إيجابه لهذه الآية الشريفة لأن المراد بالقوة : الرمي .

٣٠٢- لما في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة : ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، إلا إن القوة الرمي) . وقد روى هذا الحديث أبو عوانة في صحيحه وبوّب عليه : باب بيانِ الترغيب في الرمي وإيجابه على المسلم والدليلِ على أنه من اللهو المباح وبيانِ عقاب من تعلم الرمي ثم تركه ، ثم ذكر هذا الحديثَ وحديثَ خالد بن زيد الآتي بعده .

ومنها : ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن تعلمه مع تعلم القرآن ، وناهيك بهذا فضلاً وشرفاً :

٣٠٣- عن الأوزاعي عن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تعلموا الرماية والقرآن ، وخير ساعات المؤمن حين يذكر ربه) . خرجه ابن عساكر وقال : هذا منقطع .

٣٠٤- وعن قيس بن أبي حازم قال : رأيت خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم اليرموك يرمي بين الهدفين ومعه رجال من أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم وقال : أمرنا أن نعلم أولادنا الرمي والقرآن .

٣٠٥- وعن ابن رافع رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أللولد علينا حق كحقنا عليهم ؟ قال : (نعم ، حق الولد على الوالد أن يعلمه السباحة والكتابة والرمي وأن يورثه طيباً) . خرجه البيهقي في السنن بإسنادٍ ضعيف .

ومنها : أن الله يُدخل بالسهم الواحد ثلاثةَ الجنةَ : صانعَه ، والراميَ ، به والذي يناول السهمَ .

٣٠٦- عن خالد بن زيدٍ قال : كنت رجلاً رامياً فكان يمرّ بي عقبة بن عامر فيقول : يا خالد ، اخرج بنا نرمي ، فلما كان ذات يوم أبطأتُ عنه فقال يا خالد : تعال أخبرك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثةَ نفَرٍ الجنّةَ : صانعَه يحتسب في صنعته الخير ، والراميَ به ، ومنبلَه وارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا ، وليس للهو إلا في ثلاث : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله ، ومن ترك الرمي بعد ما علمه فهي نعمة تركها ، أو قال : كفرها) . رواه ابن أبي شيبة وأبو عوانه في صحيحه كما تقدم وأبو داود والنسائي والحاكم وقال : صحيح الإسناد . وفي رواية جيدة لعبد الرزاق والبيهقي في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير ، والذي يجهز به في سبيل الله ، والذي يرمي به في سبيل الله) . ورواه ابن المنذر في الأوسط وزاد في آخره : وتوفي عقبة وله بضع وسبعون قوساً مع كل قوسٍ قرن ونبل فأوصى بها في سبيل الله . قوله : منبله : قال البغوي في شرح السنّة : المنبل هو الذى يناول الرامي النبل وهو يكون على وجهين : أحدهما : يقوم بجنب الرامي أو خلفه يناوله النبل واحداً بعد واحدٍ ، والآخر : أن يرد عليه النبل المرمي به ، ويروى : والْمُمِدّ به ، وأي الأمرين فعل فهو ممد به . انتهى . وقال الأصمعي : نبّلت الرجل بالتشديد : ناولته النّبل ليرمي به .

قال المؤلف عفا الله عنه : يحتمل أن يراد بالمنبل الذى يمد به في سبيل الله ويجهز به من ماله ، ويدل لهذا رواية عبد الرزاق المتقدمة والرواية التي أشار إليها البغوي لقوله : ويروى : والممد به ، وهي رواية جيدة خرجها الترمذي وابن ماجه والبيهقي ويشهد له أيضاً ما خرجه ابن عساكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يُدخل الجنة بالسهم الواحد ثلاثة : الرامي به ، وصانعه ، والمحتسب به) . والنبل : هي سهام القوس العربية ، وسهام القوس العجمية يسمى النّشاب .

٣٠٧- ومنها : ما رواه البخاري وغيره عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم ينتضلون فقال : (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع بني فلان) قال : فأمسك إحدى الفريقين

بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مالكم لا ترمون ؟) فقالوا : يا رسول الله كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال : (ارموا وأنا معكم كلكم) . ورواه الحاكم والدارقطني فقالا فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ناس ينتضلون فقال : (حسن هذا اللهو – مرتين أو ثلاثا – ارموا وأنا مع ابن الأدرع) فأمسك القوم فقال : (ارموا وأنا معكم جميعا) ، فلقد رموا عامة يومهم ذلك ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضاً . هذا لفظ الحاكم وقال : صحيح الإسناد . ورواه البيهقي في السنن ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ناس من أسلم يتناضلون فقال : (حسن هذا اللهو – مرتين – ارموا فإنه كان لكم أب يرمي ، ارموا وأنا مع ابن الأدرع) فأمسك القوم بأيديهم فقال : (مالكم ؟) فقالوا : والله لا نرمي وأنت معهم يا رسول الله ، إذاً ينضلنا ، قال : (ارموا وأنا معكم جميعا) قال : فرموا عامة يومهم ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضاً . ابن الأدرع اسمه : سلمة ، وقيل : محجن ، وقوله : ينتضلون بالضاد المعجمة أي : يترامون السبق ، وما نضل بالنون : معناه ما غلب ولا سبق .

قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذا الحديث دليل على استحباب التعصب للرماة تقوية لقلوبهم وزيادة لنشاطهم وترغيباً لهم وتحريضاً بشرط أن يكون القصد في ذلك حسناً اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كتعصّب أهل الزمان بالبواعث النفسانية والأهواء الشيطانية التي تتولد منها الحقود وتنتج عنها الضغائن كما يشهد به العيان من أحوالهم فإن ذلك التعصب حرام لما ينشأ عنه والله أعلم ، ويقاس على ذلك اللعب بالسيوف والرماح والعِصيِّ ونحوها من آلات الحرب .

٣٠٨- ومنها : ما رواه مسلم وغيره عن عقبة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه) .

ومنها : ما روي أن تقلد القوس والرمي بها يذهب الهم :

٣٠٩- خرّج الطبراني وابن عساكر بإسناديهما عن محمد بن المنذر الزبيري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما على أحدكم إذا لج به همه أن يتقلد قوسه ينفي بها همه) .

ومنها : أن الرمي خير ما يلهو به الرجل :

٣١٠- خرج البزار والطبراني في الأوسط بإسناد رجاله ثقات عن سعيد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه رفعه قال : (عليكم بالرمي فإنه خير أو من خير لهوكم) ، هذا لفظ البزّار ، وقال الطبراني : (عليكم بالرمي فإنه خير لعبكم) .

ومنها : أن الملائكة لا تحضر شيئاً من اللهو إلا الرمي وما يذكر معه :

٣١١- عن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الملائكة لا تحضر من لهوكم إلا الرهان والرمي) . خرّجه سعيد بن منصور وهو مرسل جيد الإسناد . ورواه البزّار والطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . والمراد بالرهان : الرهان في إجراء الخيل على الوجه المشروع .

٣١٢- وخرّج ابن عساكر بإسناده عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تحضر الملائكة شيئاً من اللهو إلا ثلاثة : لهو الرجل مع امرأته ، وإجراء الخيل ، والنضال) .

ومنها : أن الرمي وما يذكر معه من الحق المندوب إليه وإن سمي لهواً وليس من اللهو المذموم :

٣١٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كل شيء من لهو الدنيا باطل إلا ثلاثة : انتضالك بقوسك ، وتأديبك فرسك ، وملاعبتك أهلك فإنها من الحق) . رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

٣١٤- وعن عطاء بن أبي رباح قال : رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاري يرتميان فمل أحدهما فقال له الآخر : كسلت ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل فهو لهو وسهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليم السباحة) . رواه النسائي والطبراني بإسناد جيد . الغرض بالغين والضاد المعجمتين محركاً : هو قرطاس أو جلد ونحوه ينصب ثم تقصده الرماة بالإصابة ، والسنَّة أن يكون للرماة غرضان متقابلان يرمون من أحدهما إلى الآخر ، ثم يأتون فيلتقطون السهام ويرمونها إلى الأول ، وهكذا كان يفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣١٥- وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما بين الغرضين روضة من رياض الجنة) .

وقد روى البيهقي وغيره بإسناد جيدٍ عن أبي عثمان النهدي قال : أتانا كتاب عمر رضي الله عنه ونحن بأذربيجان : أما بعد ، فاتزروا وانتعلوا وارتدوا وألقوا الخفاف والسراويلات ، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل ، وإياكم والتنعم وزي الأعاجم ، وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب ، وتمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا ، وامشوا حفاةً ، واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزواً ، وارموا الأغراض وامشوا ما بينهما . ومنها : أن للرامي في مشيه بين الغرضين بكل خطوةٍ حسنة:

٣١٦- عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من مشى بين الغرضين كان له بكل خطوة حسنة) . خرجه الطبراني .

ومنها : أن من رمى في سبيل الله بسهم فبلغ العدو رفع الله درجته في الجنة ، والدرجة مائة عام :

٣١٨- عن أبي نجيحٍ عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف فسمعته يقول : (من رمى بسهم في سبيل الله فله عدل مُحَرَّرٍ ، ومن بلغ بسهم في سبيل الله فله درجة في الجنة) قال : فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً . رواه النسائي وابن حبان والحاكم واللفظ له وقال : صحيح على شرطهما .

٣١٩- وعن كعب بن مرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من بلغ العدو بسهم رفع الله له درجة) فقال له عبد الرحمن بن النحام : وما الدرجة يا رسول الله ؟ قال : (أما أنها ليست بعتبة أمك ، ما بين الدرجتين مائة عام) . رواه النسائي وابن حبان .

ومنها : أن من رمى بسهم في سبيل الله فبلغ العدو أو لم يبلغ كان كعتق رقبةٍ :

٣٢٠- وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من شاب شيبةً في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله فبلغ العدو أو لم يبلغ كان كعتق رقبة ، ومن أعتق رقبةً مؤمنة كانت له فداءه من النار عضوا بعضو) . رواه النسائي بإسناد حسن .

ومنها : أن من رمى بسهم في سبيل الله أخطأ أو أصاب كان له كعتق رقبة : قال المؤلف عفا الله عنه : وفي حديث عمرو المتقدم دليل على هذا ، لأن من لازم عدم البلاغ إلى العدو عدم الإصابة ، والله أعلم .

٣٢١- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله أخطا أو أصاب كان له بمثل رقبةٍ من ولد إسماعيل) . رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات .

٣٢٢- وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : (ما من رجل من المسلمين يرمي بسهم في سبيل الله في العدو أصاب أو أخطأ إلا كان أجر ذلك السهم كعدل نسمة) الحديث ... خرجه ابن عساكر .

٣٢٣- وخرج أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رمى بسهمٍ في سبيل الله فأصاب به أو أخطأ أو قصّر به فكأنما أعتق رقبة ، ومن أعتق رقبة كانت فكاكه من النار) .

٣٢٤- عن أبي ظبية أن شرحبيل بن الصمت دعا عمرو بن عبسة السلمي فقال يا ابن عبسة : هل أنت محدّثي حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه تَزيُّد ولا كذب ولا تحدثني عن أحد سمعته منه غيرك ؟ قال : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أيما رجل رمى بسهم في سبيل الله فبلغ مخطئاً أو مصيباً فله من الأجر كرقبة يعتقها من ولد إسمعيل ، وأيما رجل شاب شيبة في الإسلام في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة) . وخرجه ابن عساكر ورواه مختصراً بلفظه ، قال : سعمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رمى بسهم في سبيل الله فبلغ أصاب أو أخطأ مثل عتق رقبة) .

٣٢٥- وعن كعب بن مرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رمى بسهم في سبيل الله كان كمن أعتق رقبة) . رواه ابن حبان .

٣٢٦- وقد روي : (من رمى بسهم في سبيل الله كان كمن أعتق أربعة أنفس وإن لم يبلغ سهمه العدو) .

٣٢٧- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رمى رمية في سبيل الله قصر أو بلغ كان له مثل أجر أربعة أناس من بني إسماعيل أعتقهم) . خرجه الطبراني عن شبيب بن بشير عن أنس قال : لم يروه عن شبيب إلا أبو عاصم . ومنها : أن من رمى بسهم في سبيل الله وجبت له الجنة :

٣٢٨- عن عتبة بن عبدة السلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : (قوموا فقاتلوا) قال : فرمى رجل بسهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أوجب هذا) . رواه أحمد بإسناد حسن . ومعنى أوجب : أي وجبت له الجنة بما فعله . قال المؤلف عفا الله عنه : وتقدم في حديث عمرو بن عتبة قوله صلى الله عليه وسلم : (من رمى بسهم في سبيل الله فبلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة ، ومن أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار عضواً بعضو) . وفي هذا دليل واضح على أن من رمى بسهم في سبيل الله كان له نوراً يوم القيامة .

٣٢٩- خرج البزار رضي الله عنه بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رمى بسهم في سبيل الله كان له نوراً يوم القيامة) .

٣٣٠- وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله قصر أو بلغ كان له نورا يوم القيامة) . وخرجه ابن عساكر .

٣٣١- وروى الطبراني بإسناده عن محمد ابن الحنفية قال : رأيت أبا عمرو الأنصاري وكان بدرياً عقبياً أُحُدياً وهو صائم يتلوى من العطش وهو يقول لغلامه : ويحك ترسني فترسه الغلام ، حتى نزع بسهمٍ نزعاً ضعيفاً حتى رمى بثلاثة أسهمٍ ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رمى بسهم في سبيل الله قصر أو بلغ كان له نوراً يوم القيامة) . فقتل قبل غروب الشمس رضي الله عنه .

ومنها : ما روي أنّ من اقتنى قوساً عربيةً نفى الله عنه الفقر :

٣٣٢- خرّجه ابن عساكر وغيره عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من اتخذ قوساً عربية وجفيرها - يعني كنانته - نفى الله عنه الفقر أربعين سنةً) . القوس العربية : هي قوس اليد . وقد ذكرت في الأصل أصنافها وأصناف الأعجمية وما روي فيها فليراجعه من شاء .

فصل

روى سعيد بن منصور في سننه عن أبي عوانة عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : رأيت حذيفة رضي الله عنه بالمدائن يشتد بين الهدفين ليس عليه إزار . الهدف بالتحريك : هو التراب الذي يجمع أو الحائط يُبنى لينصب فيها الغرض . وعن مجاهدٍ قال : رأيت ابن عمر يشتد بين الهدفين ويقول : أنى بها ؟ . خرّجه سعيد أيضاً .

قال المؤلف عفا الله عنه : وهذا يدل على عظم اهتمام الصحابة بالرمي واحتفالهم به ونشاطهم فيه ، حتى إن أحدهم ليمشي بين الهدفين مشياً ، وإنما يشتدّ جرياً وبغير إزار أيضاً طلباً للخفة وتمريناً للجسد على التعب ، هذا وهم شموس الاهتداء ، ونجوم الاقتداء ، وملوك الدنيا والآخرة ، والهدي الصالح ما كانوا عليه ، والرأي الصائب ما جنحوا إليه ، ويكفيك من وصفهم قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ الآية ... وينبغي لك أيها الرامي أن تترك الاحتشام حال الرمي ، وتطرح الرياسة المعتادة جانباً ، وتتبذل مع إخوانك في الرمي ، ولا تستنكف من ذلك ، وتحتسب فعلك هذا قربة عند الله ورغبة في عظم الأجر وإحرازاً لجزيل الثواب ، ويشهد ما أنت فيه من أعظم العبادات وأجلِّ الطاعات ، لا من أنواع اللعب والباطلات ، بل ولا من الحركات المباحات ، بل ترى أمانة الله عليك إذ وفقك لذلك ، ورزقك العافية والقوة عليه ، وتحمده إذ أقامك فيه وحببه إليك دون غيره من أنواع اللعب المذمومة ، والله الموفق لا رب غيره . ولا بأس أن ينبسط الرامي مع إخوانه حال الرمي ويضحك معهم بل يستحب ذلك ، لأن في ذلك زيادة في النشاط وترغيباً في هذه العبادة ، ما لم يبلغ البسط الحدّ المكروه . قال بلال بن سعد – أحد علماء التابعين وعبادهم – : لقد أدركت أقواماً يشتدون بين الأغراض ويضحك بعضهم إلى بعض ، فإذا جنهم الليل كانوا رهباناً .

فصل

وقد جاء الوعيد الشديد لمن تعلم الرمي ثم تركه :

٣٣٣- فروى مسلم في صحيحه عن الحارث بن يعقوب عن عبد الرحمن بن شماسة أن فقيماً اللخمي قال لعقبة بن عامر : تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير يشق عليك ؟ فقال عقبة بن عامر : لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه ، قال : قال الحارث : فقلت لابن شماسة : وما ذاك ؟ قال : إنه قال : (من علم الرمي ثم تركه فليس منا ، أوقد عصى) . رواه مسلم ورواه ابن ماجه مختصراً إلا أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصاني) .

قال المؤلف عفا الله عنه : وقد ذهب جماعة من العلماء إلي أنّ ترك الرمي بعد تعلمه من الكبائر للقاعدة المعتمدة عندهم أن كل فعلٍ قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : من فعله فليس منا ، أو فقد عصى ، أو عصاني ، أو ما أشبه ذلك فهو كبيرة ، وتقدم أن أبا عوانة بوَّب على هذا الحديث : بابُ بيانِ عقاب من تعلم الرمي ثم تركه .

وقال النووي في شرح مسلم : ترك الرمي مكروه كراهة شديدة . قال المؤلف عفا الله عنه : ترك الرمي إن لم يكن كبيرة فلا بد وأن يكون صغيرة بهذا الوعيد الشديد ، فإذا أصر الإنسان على الترك صار كبيرة ، فيجب التنبه لهذا والمبادرة إلى التوبة والإقلاع عن الإصرار عليه وملازمة الرامي الرمي ملازمة لا يعد فاعلها تاركاً ، والله ولي التوفيق .

٣٣٤- وعن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن عبد الله بن زيد الأزرق قال : كان عقبة بن عامر رضي الله عنه يخرج يرمي كل يوم ويستتبع رجلاً قال : وكان ذلك الرجل كاد أن يمل ، فقال : ألا أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفرٍ الجنةَ : صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير ، والذي يجهز به في سبيل الله ، والذي يرمي به في سبيل الله) ، وقال : (وارموا واركبوا

وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا ، وكل لهوٍ يلهو به المؤمن باطل إلا ثلاث : رميه بسهمه عن قوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، فإنهنَّ من الحق ، ومن ترك الرمي بعد أن عَلِمهُ فهي نعمة كفرها) . رواه عبد الرزاق بإسناد جيد هكذا ومن طريقه البيهقي وابن عساكر وغيرهما ، ورواه بن أبي شيبة وأبو داود وغيرهما وتقدم .

٣٣٥- وخرّج البزار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها) . قال المؤلف : وقد ذكرت في الأصل فصلاً مطولاً يشتمل على أحكام السبق والرمي ، فليراجعه من أراد ذلك ، والله ولي التوفيق لا رب غيره .

الباب التاسع عشر

في فضل سيوف المجاهدين ورماحهم وعدتهم

قال الضحّاك في قوله تعالى : ﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ أي : تقلدوا سيوفكم فإن ذلك هيئة الغزاة . وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ القوة : السلاح والقسي . وقد ذكر الله سبحانه الرماح فقال تعالى : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ .

٣٣٦- وذكر صاحب شفاء الصدور عن عبيد الله بن زحر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أعدّ عدّةً في سبيل الله جعلت في ميزانه كل غداة) .

٣٣٧- وذكر أيضاً عن عبيد الله بن شودب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (تُعرض أعمال بني أدم كل اثنين وخميس ، فمن زاد في سلاحه زيد من حسناته ، ومن نقص من سلاحه نقص من حسناته) .

قال المؤلف عفا الله عنه : وهذان الحديثان معضلان والله أعلم بأسانيدهما . واعلم أن تعلم الفروسية وتعليمها واستعمال الأسلحة فرض كفاية ، قال القرطبي في تفسيره : قد يتعين – يعني يصير فرض عين – وذلك عند شدة احتياج المسلمين إلى ذلك وفَقْدِ قائمٍ به تحصل به الكفاية . وقد روي في السيوف والرماح أحاديث وفضائل :

٣٣٨- ومنها : ما روى أحمد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم) .

فائدة : قال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية في كتاب الفروسية المحمودية : نص الإمام أحمد على أن العمل بالرمح أفضل من الصلاة النافلة في الأمكنة التي يحتاج فيها إلى الجهاد . انتهى . قال المؤلف عفا الله عنه : وغير الرمح من الأسلحة التي يحتاج إليها في الجهاد كالرمح في ذلك ، والله أعلم . ومنها : أن الجنة تحت ظلال السيوف :

٣٣٩- عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال : (يأيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) . رواه البخاري ومسلم .

وقد ذكرت في آخر الباب الثاني من الأصل معنى قوله : تحت ظلال السيوف [1] .

٣٤٠- عن أبي بكر بن أبي موسى قال : سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف) فقام رجل رث الهيئة فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه

[1] قال فيه : والذي يظهر لي في معناه والله أعلم أن من رفع يده بالسيف ضاربا في سبيل الله أو رفع عليه سيف في سبيل الله على أي حال ظلل عليه السيف صار بذلك كأنه وصل إلى أبواب الجنة فيوشك أن يستشهد فيدخلها في الحال أو يؤخر فيموت على فراشه فيدخلها في المآل لأن من قاتل في سبيل الله وجبت له الجنة فكأن أبواب الجنة لذلك تحت ظلال السيوف حقيقة وشبيه هذا قوله يوم بدر : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض .

وسلم يقول هذا ؟ قال : نعم . فرجع إلى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو وضرب به حتى قُتل . ومنها : أن السيوف مفاتيح الجنة ، تقدم في حديث يزيد بن شجرة أنه كان يقول :

٣٤١- (نُبئت أن السيوف مفاتيح الجنة) ورواه ابن عساكر وغيره مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف عفا الله عنه : وإنما كانت مفاتيح الجنة لأنها إذا شهرت في سبيل الله عند التقاء الصفين تفتح أبواب الجنة ، فلما كانت سبباً لفتح أبواب الجنة سميت مفاتيح الجنة ، والله أعلم .

ومنها : أن الضرب بالسيف في سبيل الله سبب لدخول الجنة :

٣٤٢- وخرّج ابن عساكر بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ألا أحدثكم بما يدخلكم الجنة ؟) قالوا : بلى ، قال : (ضرب بالسيف وإطعام الضيف واهتمام لمواقيت الصلاة) .

ومنها : ما روي أن من تقلد سيفاً في سبيل الله قلده الله وشاح الكرامة وَرَدَّاهُ رداء الإيمان :

٣٤٣- عن أبي أمامة بن سهل يرفع الحديث قال : (من تقلّد سيفاً في جهادٍ أو رباطً قلده الله وشاح الكرامة) . وذكره في شفاء الصدور .

٣٤٤- وذكر فيه أيضاً عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من تقلد سيفاً في سبيل الله رُدِّي برداء الإيمان ، ولاتزال الملائكة يستغفرون له مادام عليه) .

٣٤٥- وخرَّج أبو نعيم الحافظ ومن طريقه ابن عساكر بإسناده عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (السيوف أردية المجاهدين) .

٣٤٦- وخرّج ابن عساكر أيضاً من حديث زيد بن ثابت وتقدم في الباب الرابع في حديث عتيقة أنه قال : يا رسول الله ما لمن تقلد سيفاً في سبيل الله ؟ قال : (يقلده الله وشاحاً من أوشحة الجنة من ذهبٍ وفضة ولؤلؤ وزبرجد) .

ومنها : ما روي أن من تقلد سيفاً في سبيل الله كان له وقاية من النار :

٣٤٧- ذكر في شفاء الصدور عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من تقلد سيفاً في سبيل الله كان له جِنة من النار ، ومن حمل رمحاً في سبيل الله كان له علماً يوم القيامة) .

ومنها : ما روي أن الله يباهي ملائكته بسيف الغازي ورمحه :

٣٤٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من تقلد سيفاً في سبيل الله عز وجل قلده الله وشاحين من الجنة لا تقوم لهما الدنيا وما فيها من يوم خلقها إلى يوم يفنيها ، وصلت عليه الملائكة حتى يضعه عنه وإن الله ليباهي ملائكته بسيف الغازي ورمحه وسلاحه وإذا باهى الله عز وجل ملائكته بعبد من عباده لم يُعذبه بعد ذلك) . ورواه الحافظ أبو حفص بن شاهين في كتاب الترغيب باختصار وابن عساكر وهذا لفظه .

ومنها : ما روي أن الملائكة تصلي على الغازي مادام سيفه مُعلقاً في عنقه ، وتقدم في حديث قبله : (وصلت عليه الملائكة حتى يضعه عنه) .

٣٤٩- وخرّج ابن عساكر من طريق بقية بن الوليد عن جابر بن حميد المهدي عن الحسن أبي محمد عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاتزال الملائكة تصلي على الغازي مادام حمائل سيفه في عنقه) .

٣٥٠- وذكر في شفاء الصدور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : فضل صلاة الرجل متقلداً سيفه في سبيل الله على صلاة الذي يصلي بغير سيف سبعون ضعفاً ، ولو قلت سبعمائة ضعف لكان ذلك ، لأني سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله يباهي بالمتقلد سيفه في سبيل الله ملائكته وهم يصلّون عليه مادام متقلداً سيفه ، وسنة المرابط التقليد كما أن سنة المعتكف الصيام) .

فصل

٣٥١- ذكر أبو عمر ابن عبد البر وغيره : أن أول سيفٍ سُلَّ في سبيل الله سيفُ الزبير بن العوام رضي الله عنه ، قالوا : وذلك أنه نفحت نفحة من الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم أُخِذ بأعلى مكة ، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مالك يا زبير ؟) قال : أخبرت أنك أُخذت ، فصلى عليه ودعا لسيفه . وفي رواية ذكرها الشيخ محب الدين الطبري في فضائل العشرة قال : فقلت : سمعت أنك قد قتلت ؟ قال : (فما كنت صانعاً ؟) قال : أردت والله أن أستعرض أهل مكة وأجري دمائهم كالنهر لا أترك أحداً منهم إلا قتلته حتى أقتلهم عن آخرهم ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وخلع رداءهُ وألبسه فنزل جبريل عليه السلام ، وقال : (إن الله يقرؤك السلام ويقول لك : أقرئ مني السلامَ على الزبير وبشره أن الله أعطاه ثواب كل من سَل سيفاً في سبيل الله منذ بُعثت إلى أن تقوم الساعة من غير أن ينقص من أجرهم شيئاً لأنه أول من سلّ سيفاً في سبيل الله عز وجل) . قال المؤلف عفا الله عنه : وذكر غير واحدٍ أنه كان لما فعل ذلك ابنَ اثنتي عشرة سنةً ، ولقد استجاب الله دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم ولسيفه حتى قال علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه لما جاءه ابن جرموز قاتل الزبير بسيفه : إن هذا سيف طالما فرّج الكَرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن أبي الزناد : ضرب الزبير يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مفرقه فقطعه إلى القربوس . قال المؤلف عفا الله عنه : وهذه الضربة إحدى الضربات المشهورة في الإسلام ، وأعجب منها ماحكاه الطُّرطُوشي في سراج الملوك قال : كان شيوخ الجند يحكون في بلادنا قالوا : دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم إنهم وجدوا في المعترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما حوته في الرأس ، فيقال : إنه لم يُر ضربة قط أقوى منها ، ولم يسمع بمثلها في جاهلية ولا إسلام ، فحملتها الروم وعلقتها في كنيسةٍ لهم وكانوا إذا عيروا بانهزامهم يقولون : لقينا أقواماً هذا ضربهم ! فيدخل أبطال الروم إليها ليروها . قال المؤلف عفا الله عنه : وقد ذكرت في الأصل أسياف النبي صلى الله عليه وسلم ورماحه واحداً واحداً وغير ذلك ، والله أعلم .

الباب العشرون

في فضائل الجرح في سبيل الله تعالى وذكر بعض الجرحى

٣٥٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يَكلَمُ أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك) . وفي لفظ آخر : (كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله ، ثم تكون يوم القيامة كهيئتها إذا طلعت تفجر دماً اللون لون الدم والعرف عرف مسك) . رواه البخاري ومسلم واللفظ له . والكلم بفتح الكاف وإسكان اللام : هو الجرح ، والعَرف بفتح العين وإسكان الراء هو : الرائحة ، قوله : يثعب بإسكان الثاء المثلثة وفتح العين المهملة وآخره باء موحدة : معناه يتفجر كما جاء في الرواية الأخرى . قال ابن دقيق العيد في شرح العمدة : مجيئه يوم القيامة مع سيلان الجرح فيه أمران : أحدهما : الشهادة على كالمه ، والثاني : إظهار شرفه لأهل المشهد والموقف بما فيه من رائحة المسك الشاهدة بالطيب .

٣٥٣- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقاً ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد ، ومن جرح جرحاً في سبيل

الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ، ومن جرح به جراح في سبيل الله فإن عليه طابع الشهداء) . رواه أبو داود بإسناد حسن واللفظ له والترمذي وقال : حسن صحيح ، والنسائي وابن ماجه وابن حبان ولفظه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جرح جرحاً في سبيل الله جاء يوم القيامة ريحه كريح المسك ولونه لون الزعفران عليه طابع الشهداء ، ومن سأل الله الشهادة أعطاه الله أجر شهيد وإن مات على فراشه) .

٣٥٤- وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم تهراق في سبيل الله . وأما الأثران : فأثر في سبيل الله ، وأثر في فريضة من فرائض الله) . رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، وابن عساكر ولفظه قال : قال رسول الله رضي الله عنه (ما وقعت قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دم في سبيل الله أو قطرة دموع في سواد الليل لا يراها إلا الله عز وجل)

فصل

٣٥٥- خرج ابن المبارك بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذُكِرَ يوم أحد قال : ذاك يوم كان كله لطلحة – يعني ابن عبيد الله – كنت أول من فاء فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله رضي الله عنه فقلت : كن طلحة حيث فاتني ، إلى أن قال : فإذا بطلحة بضع وسبعون بضعاً أقل أو أكثر ما بين طعنة ورمية وضربة وإذا قد قطعت يده فأصلحنا من شأنه رضي الله عنه . وذكر الحافظ ابن الذهبي في سير النبلاء عن علي بن زيد بن جدعان قال : حدثني من رأى الزبير وإن في صدره لأمثال العيون من الطعن والرمي .

وذكر البخاري وغيره أن الصحابة قالوا للزبير يوم اليرموك : ألا تشد فنشد معك ؟ فحمل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر ، قال عروة : فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب بها وأنا صغير .

٣٥٦- وذكر ابن الذهبي عن عمرو بن ثابت عن أبيه قال : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جعفر ؟ فقال رجل : رأيته حين طَعَنَهُ رجل فمشى إليه في الرمح فضربه فماتا جميعاً ، وذكر أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه : قال رمى أبو دجانة رضي الله عنه بنفسه يوم اليمامة إلى داخل الحديقة فانكسرت رجله فقاتل وهو مكسور الرجل حتى قتل . قال المؤلف عفا الله عنه : وأعجب من هذا ما رواه ابن عبد البر وغيره عن حكيم بن جَبَلَة العبدي وكان ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم : أنه لم يزل يقاتل يوم الجمل حتى قطعت رجله فأخذها وضرب بها الذي قطعها فقتله بها ، وبقي يقاتل على رجل واحدة ويرتجز ويقول :

يا ساق لن تراعي إن معي ذراعي أحمي به كراعي

فنزف منه دم كثير ، فجلس متكئاً على المقتول الذي قطع ساقه فمر به فارسٌ فقال : من قطع رجلك ؟ قال : وسادتي . فما سُمع بأشجع منه ؟ ثم حمل عليه شحيم الحدابي فقتله ، قال معمر بن المثنى : ليس يعرف في جاهلية ولا إسلام فعل مثل فعله . قال المؤلف عفا الله عنه : وأعجب من هذا أيضاً ما حكاه بن سَبِيب الحراني في كتابه جامع الفنون عن هشام بن الكلبي : أن حياش بن قيس القشيري لما شهد اليرموك قَتل من العلوج خلقا كثيرا وقطعت رجله يومئذ وهو لا يدري بقطعها ؟ فلما انفصل الحرب جعل ينشدها . وفيه يقول سوار بن أوفى :

ومنَّا ابنُ عتَّابٍ وناشدُ رِجلهِ ومنَّا الذي أدَّى إلى الحيِّ حاجبا

وهذا شيء لم يسمع بمثله ، والله أعلم .

وروى أبو المظفر ابن الجوزي في كتابه جوهرة الزمان بإسناده إلى الواقدي : حدثنا جعفر بن عبد الله بن أسلم قال : لما كان يوم اليمامة كان أول من خرج أبو عقيل رُمي بسهم فوقع بين منكبه وفؤاده فأخرج السهم فوهن له شقه الأيسر

وجر إلى الرحل ، فلما حمي القتال وانهزم المسلمون ، سمع معن بن عدي يصيح : يا للأنصار ! الله ! الله ! والكرة على عدوكم ! قال عبد الله بن عمر : فنهض أبو عقيل ، فقلت : ما تريد ؟ قال : قد نوه المنادي باسمي ، قلت : ما يعني الجرحى ، قال : أنا من الأنصار وأنا أجيبه ولو حَبْوا ، فتحزم وأخذ السيف ثم جعل ينادي : يا لَلأنصار كرة كيوم حنين ! قال ابن عمر : فاختلفت السيوف بينهم فقطعت يده المجروحة من المنكب ، فقلت : أبا عقيل ، فقال : لبيك بلسان الملتاث [البطيء] لمن الدبرة ؟ فقلت : أبشر فقد قُتل عدو الله ، فرفع إصبعه إلى السماء فحمد الله فمات ، قال ابن عمر : فأخبرت عمر فقال : رحمه الله ما زال يطلب الشهادة حتى نالها .

وذكر إبراهيم بن حنظلة عن أبيه أن سالما مولى حذيفة قيل له في اللواء : تخشى من نفسك شيئاً فنُوَلِّي اللواء غيرك ؟ فقال : بئس حامل القرآن أنا إذن ، فقطعت يمينه فأخذ اللواء بيساره ، فقطعت يساره فاعتنق اللواء وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ و ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ فلما صُرع ، قال لأصحابه : ما فعل أبو حذيفة ؟ قيل : قُتل ، قال : فما فعل فلان لرجل سماه ؟ قيل : قُتل ، قال : فأضجعوني بينهما . خرجه ابن المبارك . قال المؤلف عفا الله عنه :

وقد سبقه إلى ما فعله جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة على ما سيأتي في باب الانغماس إن شاء الله .

٣٥٧- وخرج ابن المبارك أيضا بإسناد حسن عن يزيد بن السكن رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لحمه القتال يوم أحد وخلص إليه ، فذب عنه مصعب بن عمير حتى قتل وأبو دجانة سماك بن خرشة حتى كثرت فيه الجراحة وأصيب وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلمت رباعيته وكلمت شفته وأصيبت وجنته فقال عند ذلك : (مَن رجل يبيع لنا نفسه ؟) فوثب فتية من الأنصار خمسة فيهم زياد بن السكن فقتلوا حتى كان آخرهم زياد بن السكن فقاتل حتى أثبت ثم ثاب إليه ناس من المسلمين فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ادن مني) وقد أثبتته الجراحة فوسده رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه حتى مات عليها ، وهو زياد بن السكن . قال المؤلف عفا الله عنه : زياد الشهيد هو أخو يزيد راوي الحديث . ومعنى قوله : أثبت : أي ثبت مكانه ولم يبق به حراك من شدة الجراح وكثرتها ، وقوله : ثاب بثاء مثلثة وباء موحدة معناه : رجع ، وقوله : أجهضوا بالجيم والضاد المعجمة معناه : أزالوا عنه العدو ودفعوهم .

٣٥٨- وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟) فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، قال : فخرج يطوف في القتلى حتى وجد سعدا جريحا قد أثبت بآخر رمق فقال يا سعد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أمن الأحياء أنت أم من الأموات ؟ قال : فإني في الأموات ، أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له : إن سعدا يقول لك : جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيا عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم : إنَّ سعدا يقول لكم لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف . خرجه ابن المبارك هكذا مرسلا ، وخرجه البيهقي في الدلائل متصلا عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال : بعثني النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد أطلع سعد بن الربيع فقال لي : (إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له : يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تجدك ؟) فطفت بين القتلى فأصبته في آخر رمق وبه سبعون ضربة فأخبرته فقال : على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام وعليك ، قل له : يا رسول الله أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار : لا عذر لكم عند الله إن خَلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيكم عين تطرف ، قال : وفاضت نفسه رضي الله عنه .

وعن ابن سيرين : أن المسلمين انتهوا إلى حائط فيه رجال من المشركين فقعد البراء بن مالك على ترس وقال : ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم ، فألقوه وراء الحائط فأدركوه وقد قَتَل منهم عشرة ، وجرح البراء يومئذ بضعا وثمانين جراحة ما بين رمية وضربة ، فأقام عليه خالد بن الوليد شهراً حتى برئ من جراحه . ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ، والبراء هذا هو أخو أنس بن مالك رضى الله عنهما .

وعن أبي الحويرث قال : أول من قتل يوم أجنادين بِطْريق برز يدعو إلى البراز فبرز إليه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب فاختلفا ضربات ثم قتله عبد الله ثم برز آخر يدعو إلى البراز فبرز إليه عبد الله فاقتتلا بالرمحين ساعة ثم صارا إلى السيفين فضربه عبد الله على عاتقه وهو يقول : خذها وأنا ابن عبد المطلب ! فأثبته وقطع سيفه الدرع ، وأشرع في منكبه ، ثم ولى الرومي منهزماً فعزم عمرو بن العاص على الزبير أن لا يبارز ، فقال : لا أصبر ! فلما اختلطت السيوف وجد حوله عشرة من الروم قد قتلهم وهم حوله وقائم سيفه في يده قد غري [أي لصق مقبض السيف في يده من أثر الدم وييست يده عليه] وإن في وجهه لثلاثين ضربة وهو مقتول رضي الله عنه . رواه ابن سعد بإسناده وذكر غير واحد أن عمره يومئذ كان نحو من ثلاثين سنة . وروى ابن المبارك عن مسعر قال : سمعت عون بن عبد الله يحدث : أن رجلاً مر عليه يوم القادسية وقد انتثر قصبه فقال لبعض من مر عليه : ضم إلي منه لعلي أدنو في سبيل الله قيد رمح أو رمحين ، قال : فمر عليه وقد دنا قيد رمح أو رمحين ، قال المؤلف عفا الله عنه : وأعجب من هذا ما رواه أبو الحسن المرادي في أربعينه في الجهاد بإسناده عن علي بن بكار قال : لقد رأيت رجلا ببلاد الروم وإن أمعاءه على قربوس سرجه فأدخلها بطنه ثم شد بطنه بعمامة ثم قاتل فقتل بضعة عشرة علجا . وعن معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه قال : جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني فلما أمكنني حملت عليه فضربته ، فقطعت قدمه بنصف ساقه ، فضربني ابنه عكرمة على عاتقي ، فطرح يدي وبقيت معلقة بجلدة بجنبي ، وأجهضني عنه القتال فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها ! ذكره الحافظ ابن الذهبي وغيره . قال المؤلف عفا الله عنه : ثم أسلم عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه وحسن إسلامه وكان رأسا من رؤوس الشجعان في الجاهلية والإسلام .

وروى ابن عساكر أن عكرمة قال يوم اليرموك : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى من يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد بن الوليد حتى أثبتوا جميعاً جراحة وقتلوا إلا من برئ منهم . وذكر ابن الأثير وغيره أن عكرمة قُتِلَ يومئذ فوجدوا به بضعا وسبعين ما بين رمية وضربة وطعنة .

٣٥٩- روى ابن المبارك عن مسعر قال : حدثني سعد أنه مر برجل يوم الجسر يوم أبي عبيد وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يزحف ويقول : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ فقال بعض من مر عليه : من أنت ؟ قال : أنا امرؤ من الأنصار . قال المؤلف عفا الله عنه : يوم الجسر المذكور كان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه جمعاً من المسلمين بالشهادة وقد ذكرت ملخصه في الأصل . وقريب من هذا ما فعله ضرار بن الأزور رضي الله عنه فإنه شهد قتال مسيلمة باليمامة وقاتل قتالاً عظيما حتى قطعت ساقاه جميعا فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلب عليه الموت وقتل . ذكر ذلك ابن الأثير ، وقيل في أمره غير ذلك ، والله أعلم . واعلم بأن الجريح في سبيل الله لا يجد من ألم الجراح ما يجد غيره :

وما تقدم من أخبار الجرحى يدل على ذلك وقد صح في الحديث : (أن القتيل في سبيل الله لا يجد ألم القتل إلا كمس القرصة) وإذا كان هذا حال القتل فكيف بما دونه من الجراح ؟ وهذا أمر مستقرأ لا يجحده إلا من لم يجرب مع أن العقل لا يستبعد ذلك فإن سَورة الغضب والحمية إذا اشتدت وحكمت وجد الإنسان في نفسه من الشدة والقوة

والصبر والاحتمال وقلة المبالاة بالمكروه وعدم الإحساس بالألم ما لم يكن يجده قبل ذلك حتى ربما يقع بين المتخاصمين الشجاج المؤلمة والجراح البالغة ولا يحسون بذلك إلا بعد انفصالهم مما هم فيه ، هذا وكل منهم في هذه الحالة مجتهد في الدفع عن نفسه كاره للموت أن ينزل به ، فكيف بمن يشتد غضبه ويخرج عن نفسه إلى الله ويتمنى الشهادة عند الله ويعد ما أصابه من فضل الله ؟ ويشهد بقوة نور الإيمان ما أعد الله للشهداء والجرحى في سبيله من الفضل الجزيل شهوداً محققاً لا علماً مجرداً كما قال أنس بن النضر في وقعة أحد : واهاً لريح الجنة ! إني لأجد ريحها دون أحد ، ثم انغمس في المشركين حتى قتل . ومن هذا ما نقل عن امرأة فتح الموصلي أنها عثرت فطار ظفرها فضحكت فقيل لها : يذهب ظفرك وتضحكين ! فقالت : إن حلاوة الأجر أذهبت عني مرارة الألم ، أو نحو هذا . وأمثال هذا مأثور كثير ، والله أعلم . واعلم أن الحور العين قد يتراءين للجريح المثخن لقربه من منزل الشهادة وبذل جهده في طلبها :

ومن ذلك حكاية حكاها الإمام العارف شيخ شيوخنا عبد الله اليافعي رحمه الله تعالى في كتابه : روض الرياحين عن بعضهم قال : كنت في بلاد الروم فصحِبَنا رجل فرأيناه لا يأكل ولا يشرب فقلت له : ما رأيتك تأكل شيئاً من القوت منذ أحد عشر يوما ؟ فقال : إذا دنا فراقي منكم حدثتكم ، فلما دنا الفراق قلت له : حدثنا ما وعدتنا ، قال : غزونا في أربعمائة فخرج علينا العدو فقتل أصحابي وجرحت وكنت بين القتلى فلما كان وقت الغروب أحسست برائحة فائحة من قبل الجو ففتحت عيني فإذا أنا بجوار عليهن ثياب ما رأيت مثلها وفي أيديهن كاسات يصببن في أفواه القتلى فغمضت عيني حتى وصلن إلي فقالت واحدة منهن : اصببن في حلق هذا وعجلن قبل أن تغلق أبواب السماء ونبقى في الأرض ، فقالت أخرى : أأسقيه وفيه رمق ؟ فقالت أخرى : لا بأس عليك يا أختي ، فصبت في حلقي فأنا منذ شربت ذلك الشراب لا أحتاج إلى طعام ولا شراب .

قال المؤلف عفا الله عنه : وشبيه هذه الحكاية ما حكاه لي بعض الإخوان الأخيار قال : كنت وأنا شاب آوي مع الرماة بثغر الإسكندرية إلى قاعة السلاح المنسوبة إلى سيدي أبي الفتح الواسطي رحمه الله فورد علينا رجل مغربي فكان لا يظهر لنا يده أبدا ولا يزال محترزاً على إخفائها وربما أظهر رؤوس أصابعه ولم يكشف يده وكنا نواكله ونشاربه فوقع في نفوسنا شيء من ستر يده وظننا أن بها عاهة فما زلنا نتوقع رؤيتها إلى أن كان في بعض الأيام انكشفت يده فرأينا في ساعده بياضاً مثل أثر الأصابع فظنناه برصاً فلما جاء وقت الأكل تأخرنا عن الأكل معه فقال لنا رجل كان معه : مالكم تأخرتم ؟ فذكرت له سر ما رأينا من البياض في ساعده فقال : كلوا ولا تخافوا فإنه ليس ببرص وإذا خلوتم به فسلوه عن قصته ، فتقدمنا وأكلنا فلما كان في بعض الأيام خرج جماعة القاعة إلى ضريح سيدي أبي الفتح وخرج ذلك المغربي معنا فبينما نحن جالسون ، قال له رجل من أعيان الجماعة : يا فلان ما تعتقد في هذا الولي يعني أبا الفتح ؟ فقال : إن جماعة سيدي أبي مدين يعتقدون أنه نقيب الأولياء ، فقال له : أسألك بسر هذا الولي إلا ذكرت لنا قصتك فحين قال له ذلك لم يتمالك عبرته وتغير حاله وبكى بكاء شديداً وقال : يا سيدي ما حملك على أن تذكرني ذلك ؟ فألح عليه وقال له : لابد من ذلك ، فقال : إن بلدي في الغرب قريب من بلاد الفرنج وما نزال نخرج إليهم فنغير عليهم ويغيرون علينا فخرجنا مرة عشرين رجلا قاصدين بلاد العدو وكان عادتنا أن نسافر بالليل ونكمن بالنهار فلما توسطنا الطريق بين بلادنا وبلاد العدو طلع علينا النهار فأوينا إلى جبل نكمن فيه ، فبينما نحن فيه إذ سمعنا حسّا وإذا بعلج قد خرج من داخله فلما رآنا رجع وإذا برفقائه قد خرجوا معه وهم مائة من علوج الفرنج شُغْلُهم شُغْلُنا قد خرجوا من بلادهم يريدون الغارة على بلادنا وقد أدركهم النهار فأووا إلى ذلك الغار فلما وقعت العين بالعين لم يبق إلا القتال لأن العادة قد جرت بيننا وبينهم أن كلاً منا إذا ظفر بعدوه لا يبقيه ، فقاتلناهم قتالاً شديداً إلى أن قتل منا أحد عشر وقتل منهم خمسة وأربعون ثم شدوا علينا شدة رجل واحد فلم يبق من العشرين غيري وتكاثرت علي الجراح فوقعت بين

القتلى فبينما أنا كذلك وإذا بنسوة قد نزلن من السماء لم أر مثل حسنهن وجمالهن فبقيت كل واحدة منهن تذهب إلى واحد من قتلى المسلمين فتقول : هذا نصيبي ، فتأخذ بيده فينهض معها إلى أن جاءتني واحدة منهن وقالت : هذا نصيبي ، وأخذت بيدي فحين أحسست بيدي الروح أفلتتني من يدها فلتة غضب فقالت : وأنت للساعة ؟ ثم ذهبت وتركتني ، فكشف لنا عن ساعده فإذا أثر قبضتها وأصابعها الخمس أبيض شديد البياض مثل لبن الحليب .

حكاية أخرى :

روى ابن المبارك عن عبد الرحمن المصري قال : حدثني عبد الكريم بن الحارث الحضرمي قال : حدثني أبو إدريس قال : قدم علينا رجل من أهل المدينة يقال له زياد : فغزونا صقلية من أرض الروم فحاصرنا مدينة وكنا ثلاثة مترافقين ، أنا وزياد ورجل آخر من أهل المدينة ، قال : فإنّا لمحاصروها يوماً وقد وجهنا أحدنا الثالث ليأتينا بطعام إذ أقبلت منجنيقة فوقعت قريباً من زياد فَشَظَيَتْ منها شَظية فأصابت رُكبة زياد فأغمي عليه فاجتررته وأقبل صاحبي فناديته فجاءني فبرزنا به حيث لا يناله النبل والمنجنيق فمكثنا طويلاً من صدر نهارنا لا يتحرك منه شيء ثم افتر ضاحكا حتى تبينت نواجذه ثم خمد ، ثم بكى حتى سالت دموعه ، ثم ضحك مرة أخرى ، ثم بكى ثم مكث ساعة فأفاق واستوى جالساً ، فقال : مالي ها هنا ؟ فقلنا : أما علمت ما أمرك ؟ قال : لا ، قال : أما تذكر المنجنيق حين وقع إلى جنبك ؟ قال : بلى ، فقلنا : إنه أصابك منها شيء فأغمي عليك ورأيناك صنعت كذا وكذا ، قال : نعم ، أخبرك أنه أفضي بي إلى غرفة من ياقوت أو زبرجد وأفضي بي إلى فرش موضونة بعضها إلى بعض بين يدي ذلك سماطان من نمارق ، فلما استويت قاعدا على الفرش سمعت صلصلة عن يميني فخرجت امرأة فلا أدري هي أحسن أم ثيابها أم حليها ؟ فأخذت إلى طرف السماط فلما استقبلتني رحبت وسلمت وقالت : مرحبا بالجافي الذي لم يكن يسألنا الله عز وجل ولسنا كفلانة يعني امرأته ، فلما ذكَرَتها بما ذكَرَتها ضحكتُ ، وأقبلت حتى جلست عن يميني فقلت : من أنت ؟ فقالت : أنا خود زوجتك فلما مددت يدي قالت : على رسلك إنك ستأتينا عند الظهر ، فبكيت ، فحين فرغت كلامها سمعت صلصلة عن يساري فإذا أنا بامرأة مثلها ، فوصف نحو ذلك فصنعت كما صنعت صاحبتها ، فضحكت حين ذكرت المرأة وقعدت عن يساري فمددت يدي فقالت : على رسلك إنك تأتينا عند الظهر ، فبكيت ، قال : وكان قاعدا معنا يحدثنا فلما أذن المؤذن مال فمات . الخود : بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبالدال المهملة : هي المرأة الحسناء الناعمة .

الباب الحادي والعشرون

في فضل انغماس الرجل الشجيع أو الجماعة القليلة في العدو الكثير رغبة في الشهادة ونكاية في العدو وفضل من قتل كافراً في سبيل الله

قال الله تعالى :﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ومعنى يشري : أي يبيع ومنه قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ أي باعوه . وقد اختلف العلماء في هذه الآية فقيل : إنها نزلت في صهيب الرومي رضي الله عنه وقد ذكرنا قصته في الأصل ، وقال الحافظ ابن كثير الدمشقي في تفسيره : وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ ولما حمل هشام بن عامر بين الصفين أنكر عليه بعض الناس فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما وتلو هذه الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله

عنه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ﴾ قال : أي قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله والقيام بحقه حتى هلكوا على ذلك . وروى ابن المبارك وابن أبي شيبة عن مدرك بن عوف الأحمسي قال : كنت عند عمر رضي الله عنه إذ جاءه رسول النعمان بن مقرن فسأله عمر عن الناس ؟ فقال : أصيب فلان وفلان آخرون لا أعرفهم ، فقال عمر رضي الله عنه : لكن الله يعرفهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ورجل شرى نفسه ، فقال مدرك بن عوف : ذاك والله خالي يا أمير المؤمنين ، زعم الناس أنه ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال عمر : كذب أولئك ، ولكنه ممن اشترى الآخرة بالدنيا . ورواه البيهقي في السنن وفيه : أن ذلك كان يوم نهاوند .

عن ابن عون عن محمد قال : جاءت كتيبة من قبل المشرق من كتائب الكفار فلقيهم رجل من الأنصار فحمل عليهم فخرق الصف حتى خرج ثم كر راجعاً فصنع مثل ذلك مرتين أو ثلاثا فإذا سعيد بن هشام يذكر ذلك لأبي هريرة رضي الله عنه فتلا هذه الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ﴾ . رواه ابن أبي شيبة عن ابن أبي عدي عنه رضي الله عنه . وخرج ابن أبي حاتم بإسناد لا بأس به عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : كنا في غزاة فتقدم رجل فقاتل حتى قتل فقالوا : ألقى هذا بيده إلى التهلكة ، فكتب فيه إلى عمر رضي الله عنه ، فكتب عمر رضي الله عنه : ليس كما قالوا ، هو من الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ﴾ .

وعن أبي اسحاق السبيعي قال : قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنه : إن حملت على العدو وحدي فقتلوني أكنت ألقيت بيدي إلى التهلكة ؟ قال : قال الله لرسوله : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ إنما هذه في النفقة خرجه ابن مردويه في تفسيره وابن عساكر وغيرهما . وفي رواية لابن عساكر وغيره في هذا الحديث قال أبو إسحاق : سمعت البراء وسأله رجل عن الآية : ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ هو الرجل يحمل على الكتيبة وهم ألف والسيف بيده ؟ قال : لا ، ولكنه رجل يصيب الذنب فيلقي بيده ويقول لا توبة لي . وخرجه الحاكم بنحو هذه الرواية وقال صحيح على شرطهما .

وعن أبي عمران قال : كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا : سبحان الله يلقي بنفسه إلى التهلكة ؟ فقام أبو أيوب رضي الله عنه فقال : يا أيها الناس إنكم لتأولون هذا التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أموالنا قد ضاعت وإن الله أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها . فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلنا : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو ، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم . رواه أبو داود والترمذي وهذا لفظه وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائي وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

٣٦١- وقال البيهقي في السنن : باب جواز انفراد الرجل والرجال بالغزو في بلاد العدو استدلالاً بجواز التقدم على الجماعة وإن كان الأغلب أنها ستقتله ثم روى حديث عمران المذكور وغيره . وروى بإسناد صحيح عن مجاهد قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وخباباً سرية وبعث دحية سرية وحده . وقال : قال الشافعي : تخلف رجل من الأنصار من أصحاب بئر معونة فرأى الطير معكوفا على مقتلة أصحابه فقال لعمرو بن أمية : سأقدم على هؤلاء العدو فيقتلوني ولا أتخلف عن مشهد قتل فيه أصحابي ، ففعل فقتل ، فرجع عمرو بن أمية فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولاً حسناً ويقال : قال لعمرو : (فهلا تقدمت ؟) وبعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية ورجلا من الأنصار سرية وبعث عبد الله بن أنيس سرية وحده . انتهى . وروى غير واحد عن القاسم بن مخيمرة أحد أئمة التابعين وأعلامهم أنه قال : في قوله تعالى : ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ قال : التهلكة ترك النفقة في سبيل الله ، ولو حمل الرجل على عشرة آلاف لم يكن بذلك بأس . وروى ابن أبي شيبة بإسناد جيد عن مجاهد قال : إذا لقيت العدو فانهد ، فإنما نزلت هذه الآية في النفقة يعني قوله : ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ . وقد روي نحو ذلك عن حذيفة وابن عباس رضى الله عنهما وعن عكرمة والحسن وعطاء وسعيد بن جبير والضحاك والسدّي ومقاتل وغيرهم .

٣٦١- وفي الصحيحين عن يزيد بن أبي عبيد قال : قلت لسلمة بن الأكوع رضي الله عنه : على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت .

٣٦٢- وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله : غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه – وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ : الجنة ! ورب النضر إني أجد ريحها دون أحُد ، قال سعد : فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ، فقال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾ إلى آخر الآية . رواه البخاري وهذا لفظه .

٣٦٣- وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي موسى قال : سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف) فقام رجل رث الهيئة فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال : نعم ، فرجع إلى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل . رواه مسلم وغيره ، ورواه ابن المبارك عن أبي عمران الجوني قال : بينا أبو موسى الاشعري رضي الله عنه مصاف العدو بأصبهان إذ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف) فقام شاب قد خرق الظهور كَمِي قَبَائِة فقال : كيف قلت يا أبا موسى ؟ فأعاد عليه الحديث فالتفت الشاب إلى أصحابه فسلم عليهم ثم دخل تحتها .

٣٦٤- وعن أنس رضي الله عنه قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه) فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض) قال عمير بن الحمام : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : (نعم) قال : بخ بخ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما يحملك على قولك بخ بخ ؟) قال : لا والله يا رسول الله إلا أرجو أن أكون من أهلها ، قال : (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات من قَرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : إن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رضي الله عنه . رواه مسلم . وقد استدل البيهقي وغيره بهذين الحديثين في هذا الباب ، والله أعلم . قوله : بخ بخ بفتح الباء وإسكان الخاء المعجمة : وهي كلمة تقال عند عظيم الأمر وتفخيمه تعجباً ، ويقال فيها : بخٍ بخٍ بالخفض منوناً ، والقرن بفتح القاف والراء جميعا : وهو جعبة النشاب .

٣٦٥- وعن عمر بن قتادة قال : قال معاذ بن عفراء : يا رسول الله ، ما يُضحك الربَّ من عبده ؟ قال : (غمسه يده في العدو حاسراً) فألقى درعا كانت عليه وقاتل حتى قتل . خرجه ابن أبي شيبة . والمشهور أن الذي فعل ذلك عوف بن عفراء أخو معاذ ، والله أعلم .

٣٦٦- وخرج الطبراني في الكبير بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم : الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه فيقول الله : انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ، والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل فيقول : يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد ، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام في السحر في سراء وضراء) .

٣٦٧- وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (عجب ربنا من رجلين : رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته فيقول الله عز وجل : انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه وعلم ما عليه من الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى يهريق دمه فيقول الله : انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى يهريق دمه) . رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ورواه أبو داود باختصار وبوب عليه : باب في الرجل يشري نفسه . قال المؤلف عفا الله عنه : لو لم يكن في هذا الباب إلا هذا الحديث الصحيح لكفانا في الاستدلال على فضل الانغماس ، والله أعلم .

٣٦٨- وعن زيد بن ظبيان يرفعه إلى أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة يحبهم الله) فذكر أحدهم (كرجل كان في سرية فلقوا العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له) . رواه ابن أبي شيبة والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ورواه ابن المبارك إلا أنه قال : (رجل كان في فئته أو سريته فانكشف أصحابه فنصب نفسه ونحره حتى قتل أو يفتح له) .

وعن ليث بن أبي سليم قال : بلغنا أن الرجل إذا كان في فئة فلقي العدو فانهزم أصحابه وصبر هو حتى يهراق دمه أو يفتح له أن الله يقول للملائكة : انظروا إلى عبدي كيف صبر نفسه لي ، وعزتي وجلالي لأكرمن مثواه ، فيعطى في الجنة قصرا مسيرة مائة عام ، إن قصراً من قصوره ظاهره من ذهب أحمر وظاهره من زمرد أخضر ، ونظام شرفاته اللؤلؤ ، في كل قصر سبعمائة غرفة ، في كل غرفة زوجة من الحور العين . ذكره في شفاء الصدور .

٣٦٩- وعن يحيى بن أبي كثير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل الشهداء الذين يلقَون في الصف فلا يلتفتون بوجوههم حتى يقتلوا ، أولئك يتلبطون في الغرف العلا من الجنة ، يضحك إليهم ربك وإن ربك إذا ضحك إلى قوم فلا حساب عليهم) . رواه ابن المبارك عن الأوزاعي عنه معضلاً ورواه غيره متصلا ويأتي إن شاء الله .

وعن هزان بن مالك قال : قال لي كعب : ألا أنبئك يا هزان بن مالك بأفضل الشهداء عند الله عز وجل يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : المحتسب بنفسه ، ثم قال : ألا أنبئك يا هزان بن مالك بالذين يلونهم ؟ قلت : بلى ، قال : من غرق في بحره ، ثم قال : ألا أنبئك يا هزان بن مالك بأقل أهل الجنة أجراً ؟ قلت : بلى ، قال : من لم يدرك إلا الركعة الأخيرة ، ثم قال : والله ما ينظر الناس إلى الشهداء يوم القيامة إلا هكذا ثم رفع بصره إلى السماء . رواه ابن المبارك .

٣٧٠- وخرج أبو يعلى والبيهقي في الشعب بإسنادهما عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبركم عن الأجود الأجود ؟ الله الأجود الأجود ، وأنا أجود ولد آدم ، وأجودهم من بعدي رجل عَلَّمَ عِلْماً فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، ورجل جاد بنفسه لله عز وجل حتى قتل) .

٣٧١- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم فانطلقوا حتى دنوا من باب الحصن فقال لهم عبد الله بن عتيك : امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر ، قال : فتلطفت أن أدخل الحصن ففقدوا حماراً لهم فخرجوا بقبس يطلبونه ، قال : فخشيت أن أعرف ، قال : فغطيت رأسي وجلست كأني أقضي حاجتي ثم نادى صاحب الباب مَن أراد أن يدخل فليدخل قبل أن يغلقه فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن ، فتعشوا عند أبي رافع وتحدثوا ساعة من الليل ثم رجعوا إلى بيوتهم ، فلما هدأت الأصوات ولا أسمع جولة خرجت ، قال : ورأيت صاحب الباب حين وضع مفتاح الحصن في كوة فأخذته ثم فتحت باب الحصن ، قال : قلت : إن نذِر بي القوم انطلقت على مهل ثم عدت إلى أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت إلى أبي رافع في سُلَّمْ فإذا البيت مظلم قد طفي سراجه فلم أدر أين الرجل ؟ فقلت : يا أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح فلم تغن شيئاً ، قال : ثم جئت كأني أغيثه وقلت : مالك يا أبا رافع وغيرت صوتي فقال : ألا أعجبك ؟ لأمك الويل ! دخل علي رجل فضربني بالسيف ، فعمدت له أيضاً فأضربه أخرى فلم تغن شيئاً فصاح وقام أهله ، قال : ثم جئت فغيرت صوتي كهيئة المغيث : وإذا هو مستلقٍ على ظهره فأضع السيف في بطنه ثم انكفئ عليه حتى سمعت صوت العظم ، ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه فانخلعت رجلي فعصبتها ثم أتيت أصحابي أحجل فقلت : انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية ، فلما كان من وجه الصبح صعد الناعية فقال : أنعي أبا رافع ، فقمت أمشي ما بي قَلَبَة فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فبشرته . وفي رواية : فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : (ابسط رجلك) فبسطت رجلي فمسحها فكأنه لم أشتكها قط . رواه البخاري . قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذه القصة ما يكفي في الاستدلال على جواز التغرير بالنفس والمخاطرة بها والانفراد عن الرفقة في الغزو ، بل فيها ما يدل على فضل ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم أقره على ذلك ومسح رجله فشفيت ، والله أعلم .

٣٧٢- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت أنا ورباح غلام النبي صلى الله عليه وسلم بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أُنَدِّيَه مع الإبل ، فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل ، فقلت : يا رباح ، اقعد على هذا الفرس فألحقه بطلحة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أغير على سرحه ، قال : وقمت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة ثم ناديت ثلاثًا يا صباحاه ، قال : ثم اتبعت القوم معي سيفي ونبلي فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين بَكَرَ الشجر [أي يكثر] فإذا رجع إلي فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت فلا يقبل عَليَّ فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم وأنا أقول : أنا ابن الأكوع ... اليوم يوم الرضع . قال : فألحق برجل منهم فأرميه وهو على رحله فيقع السهم في الرحل حتى انْتَظمَ كَتِفَهُ ، فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع . فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل ، وإذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرديتهم بالحجارة ، فما زال ذلك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز حتى ما خلق الله شيئاً في ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلّفته وراء ظهري فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وأكثر من ثلاثين بردة ، يستخفون ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه الحجارة وجمعته على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اشتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مدداً لهم وهم في ثنية ضيقة ، ثم علوت الجبل فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح [الشدة] ما فارقنا

بسحر حتى الآن ، وأخذ كل شيء في أيدينا وجعله وراء ظهره ، فقال عيينة : لولا أن هذا يرى أنا وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم إليه نفر منكم ، فقام إلي نفر منهم أربعة ، فصعدوا في الجبل ، فلما أسمعهم الصوت قلت : أتعرفونني ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن الأكوع ، والذي كرم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني ، فقال رجل منهم : إني أظن ، قال فما برحت مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر وإذا أولهم الأخرم الأسدي وعلى إثره أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى إثر قتادة المقدام الكندي فولى المشركون مدبرين وأنزل من الجبل وآخذ بعنان فرسه فقلت : يا أخرم أنذر القوم ، فإني لا آمن أن يقتطعوك فاتئد حتى نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال يا سلمة : إن كنت تؤمن بالله واليوم الأخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة ، قال : فخليت بعنان فرسه ، فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة ويعطف عليه عبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر الأخرم بعبد الرحمن فطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة وقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم ، ثم إني خرجت أعدو في إثر القوم حتى ما أرى من غبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ويعرضون قبل غيبوبة الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له : ذو قرد ، فأرادوا أن يشربوا منه فأبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه واشتدوا في الثنية وغربت الشمس وألحق رجلاً وأرميه فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع ، فقال : يا ثكل أمي أكوعي بكرةَ [أي أنت الأكوع الذي كنت بكرة النهار] ؟ فقلت : نعم ، أي عدوَّ نفسه ، وكان الذي رميته بكرة وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهمان ، ويخلفون فرسين فجئت أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على الماء الذي خلفتهم عليه ذو قرد ، وإذا نبي الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة ، وإذا بلال قد نحر جزورا مما خلفت فهو يشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله خلني أنتخب من أصحابك مائة فآخذ على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته ، قال : (أكنت فاعلا ذلك يا سلمة ؟) قال : قلت : نعم والذي أكرمك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ... الحديث . وفيه : فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالنا سلمة) فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم الفارس والراجل جميعا . رواه الإمام أحمد بإسناد على شرط الصحيحين ورواه مسلم أيضا بنحوه . وقد ذكرت لفظه وشرح ما فيه من الغريب في باب المغازي من الأصل .

قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذا الحديث الصحيح الثابت أدل دليل على جواز حمل الواحد على الجمع الكثير من العدو وحده وإن غلب على ظنه أنه يقتل إذا كان مخلصاً في طلب الشهادة كما فعل الأخرم الأسدي رضي الله عنه ، ولم يعب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليه ولم ينه الصحابة عن مثل فعله ، بل في الحديث دليل على استحباب هذا الفعل وفضله ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم مدح أبا قتادة وسلمة على فعلهما ورضخ لسلمة مع أن كلا منهما قد حمل على العدو وحده ولم يتأن إلى أن يلحق به المسلمون ، وفيه : أن للإمام وغيره ممن له على الحامل دالة المحبة أن يمنعه شفقة عليه ، وله أن يطلقه إذا علم منه صدق القصد وتصميم العزم وإخلاص النية في طلب الشهادة كما فعل سلمة بن الأكوع مع الأخرم الأسدي ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم منعه ولا إطلاقه ، وفي طلب سلمة انتخاب مائة من الصحابة ليلقى بهم الكفار دليل واضح على أن الكفار كانوا جمعاً كثيراً وإلا لم يستدع الحال أن يتوجه إليهم مائة من الصحابة منتخبين ولم أر من ذكر هذا الحديث في هذا الباب ، وهو أوضح من كل دليل واضح ، والله أعلم .

وكذلك في غزوة مؤته أدل دليل على جواز حمل الجمع من المسلمين في أضعافهم من المشركين بل على فضل من قتل منهم في ذلك وشرفه ، فإن المسلمين كانوا في غزوة مؤتة ثلاثة آلاف فلما نزلوا على معان من أرض الشام بلغهم أن

هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليه من لخم وجذام وبهراء وبلي مائة ألف ، فلما بلغ المسلمين ذلك أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا فإما أن يمدونا بالرجال وأما أن يأمرنا فنمضي له فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : والله يا قوم إن التي تكرهون للتي خرجتم لها تطلبون وهي الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به فانطلقوا فإما هي أحدي الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس : والله لقد صدق ابن رواحة ، فمضوا فالتقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في الرماح ، ثم أخذها جعفر بيمينه فقاتل بها حتى قطعت يمينه ثم أخذها بشماله فقاتل بها حتى قطعت شماله ثم احتضنها بعضديه حتى قتل رضي الله عنه ، ووجدوا بما أقبل من جسده بضعا وتسعين بين ضربة ورمية وطعنة ، وقد ثبت من غير ما وجه : أن الله تعالى أعطى جعفرا جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء عوضاً عن يديه اللتين ذهبتا في سبيله ، وكذلك سمي ذو الجناحين ، ثم إن عبد الله بن رواحة أخذ الراية وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسَمتُ يا نفسُ لتنزِلنَّهْ ... لتنزِلِنَّ أو لتُكرَهِنَّهْ
إن أجلَبَ الناسُ وشَدوا الرنَّهْ ... مَا لِي أراكِ تكرهينَ الجنَّهْ
قد طال ما كنتِ مطمئنَّهْ ... هل أنتِ إلا نطفةٌ في شِنَّهْ

وقال أيضا :

يا نفسُ إلا تُقتَلِي تموتِي ... هذا حِمامُ الموتِ قد صُلِيتِ
وما تمنَّيتِ فقَد أُعطِيتِ ... إن تفعَلِي فعلَهُمَا هُدِيتِ

وإن تأخَّرتِ فقَد شَقِيتِ

يريد صاحباه زيدا وجعفرا ، ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال : شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت يومك هذا ما لقيت ، فأخذه بيده فانتهش منه نهشة ، ثم سمع الحَطْمة في ناحية الناس فقال : وأنت في الدنيا ؟ فألقاه من يده ثم تقدم فقاتل حتى قتل ، وروى أبو المظفر ابن الجوزي في جوهرة الزمان : أن عبد الله بن رواحة أنشد الشعر المذكور ثم قال : أيْ نفسٍ ! إلى أي شيء تتوقين ؟ إلى فلانة ! فهي طالق ثلاثاً ، أو إلى فلان وفلان – غِلمان له – فهم أحرار ، أو إلى معْجَف – حائط له – فهو لله ورسوله . ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنه .

قال المؤلف عفا الله عنه : هذا ملخص مما ذكرته في الأصل في باب الغزوات فإني ذكرت هذه الغزوة وما قيل فيها ، وذكرت فيها أن النصرة كانت فيها للمسلمين على المشركين ، وذكرت الأدلة والخلاف على ذلك ، وإنما ذكرت هذه القطعة منها دليلا على جواز حمل الجمع اليسير على أضعاف أضعافهم من الجمع الكثير ، وفضل هذا الفعل ومن قتل فيه ، والله ولي التوفيق . وكذلك في سرية أبي حدردٍ دليل واضح على ذلك وكان من أمرها :

٣٧٣- ما رواه ابن إسحاق عن أبي حَدْرَدٍ الأسلمي قال : تزوجت امرأة من قومي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي ، فقال : (وكم أصدقت ؟) قلت : مائتي درهم ، فقال : (سبحان الله ! لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم ، والله ما عندي ما أعينك به) قال : فلبثنا أياماً ، وأقبل رجل من بني جشم بن معونة يقال له : رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة ، في بطن عظيم من بني جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم في جشم وشرف ، فدعاني رسول الله

صلى الله عليه وسلم ورجلين معي من المسلمين ، فقال : (اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتونا منه بخبر وعلم) قال : وقدم لنا شارفاً عجفاء فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى اسْتَقَلَّتْ وما كادت ، ثم قال : (تبلغوا عليها واعتقبوها) قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عشية مع غروب الشمس كنت في ناحية وأمرت صاحبيَّ فكَمَنَّا في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبرت وشددت في ناحية العسكر فكبرا وشدا معي ، فوالله إنا كذلك ننتظر غِرة القوم أو أن نصيب منهم شيئاً ، وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وكان لهم راع يسرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفه فجعله في عنقه ، ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا لعله أصابه شيء ، فقال نفر من معه : والله لا تذهب أنت نحن نكفيك ، فقال : والله لا يتبعني أحد منكم ، فخرج حتى مر بي فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعته في فؤاده ، فوالله ما تكلم ، ووثبت إليه واحتززت رأسه وشددت ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا فوالله ما كان إلا النجاة ممن فيه ، عندك عندك ، بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم واستقنا إبلاً عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معي ، فأعانني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك بثلاثة عشر بعيرا في صداقي فجئت إلى أهلي . قال المؤلف عفا الله عنه : فهؤلاء ثلاثة رجال هجموا على عسكر عظيم ولم يعب عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلوا ولم ينه غيرهم عن مثل فعلهم .

وقديماً حمل أصحاب طالوت وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً على جالوت ومن معه من العمالقة وكانوا تسعين ألفا وقيل ثلاث مائة ألف ، وكانت بيضة جالوت التي على رأسه ثلاث مائة رطل فيما حكاه الزمخشري ، وقد ذكرت في الأصل ملخص قصتهم .

ويوم القادسية وهي ملحمة كبرى بالعراق كان المسلمون فيها أزيد من سبعة آلاف عليهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وكان المشركون أربعين ألفاً وقيل : ستين ألفاً معهم سبعون فيلاً ، وعليهم رستم ، فاقتتلوا ثلاثة أيام في آخر شوال سنة خمسة عشر فقتل رستم وانهزموا .

وذكر الطُّرطُوشي في سراج الملوك وغيره : أن عمرو بن معد يكرب نزل يوم القادسية على النهر ، فقال لأصحابه إني عابر على الجسر فإن أسرعتم مقدار جزْر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل تلقاء وجهي وقد غَفَرني [سترني وغطاني] القوم وأنا قائم بينهم ، وإن أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم ، ثم انغمس فحمل على القوم ، فقال بعضهم لبعض : يا بني زبيد علام تدَعون صاحبكم ؟ والله ما أرى أن تدركوه إلا حياً ، فحملوا فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجلي فرس رجل من العجم فأمسكها وإن الفارس يضربه فما يقدر أن يتحرك فلما غشيناه رمى الرجل بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال :أنا أبو ثور كدتم والله أنكم تفقدوني ، قالوا : فأين فرسك ؟ قال : رمي بِنُشَّابَةٍ فغار وشب فصرعني . قال المؤلف عفا الله عنه : فهذا صحابي قد انغمس في العدو بمشهد فيه ألوف من الصحابة وأقروه على ذلك ولم يعيبوا عليه .

وخرج ابن عساكر بإسناده عن محمد بن إسحاق وابن سمعان عن بعض مشايخه فذكر حديثاً في حصار دمشق ، قال : وأقبل رجل من المسلمين حتى انتهى إلى نهر دون حمص مما يلي دير مسحل فانتهى إلى الماء فسقى فرسه وجاءه نحو من ثلاثين رجلا من أهل حمص ، فنظروا إلى رجل واحد فأقبلوا نحوه ، فأقحم فرسه ثم عبر الماء إليهم ، فحمل عليهم فقتل أول فارس ثم الثاني ثم الثالث ، ثم أتبعهم بقتل واحد بعد واحد ، حتى انتهى إلى دير مسحل وقد صرع منهم أحد عشر ، ثم اقتحموا في جوف الدير فاقتحم معهم ، فرماه أهل الدير بالحجارة حتى قتلوه رحمة الله عليه .

وأعظم من هذا الفعل : ما رواه غير واحد عن بسر بن أرطاة وكان ممن ذكر في الصحابة : أنه غزا الروم فجعلت ساقته لا تزال تصاب فيكمن لهم الكمين ، فيصاب الكمين ، فلما رأى ذلك تخلف في مائة من جيشه ، فانفرد يوما في بعض أودية الروم فإذا براذين مربوطة نحوا من ثلاثين ، والكنيسة إلى جانبهم فيها فرسان تلك البراذين الذين كانوا يعقبونه في ساقته فنزل عن فرسه فربطه ثم دخل الكنيسة فأغلق عليه وعليهم بابها ، فجعلت الروم تعجب من إغلاقه ! فما استقلوا إلى رماحهم حتى صرع منهم ثلاثة وفقده أصحابه فطلبوه فأتوا فعرفوا فرسه وسمعوا الجلبة في الكنيسة فأتوها فإذا بابها مغلق فقلعوا بعض السقف ونزلوا عليهم وبسر ممسك طائفة من أمعائه بيده اليمنى ، فلما تمكن أصحابه في الكنيسة سقط بسر مغشياً عليه ، وأقبلوا على أولئك فأسروا وقتلوا فأقبل عليهم الأسارى فقالوا : ننشدكم الله من هذا ؟ فقالوا : بسر بن أرطاة ، فقالوا : والله ما ولدت النساء مثله ! فعمدوا إلى أمعائه فردوه في جوفه ولم ينخرق منه شيء ثم عصبوه بعمائمهم وحملوه ثم خاطوه فسلم وعوفي .

قال المؤلف عفا الله عنه : وأعظم من فعل بسر : ما فعله البراء بن مالك أخو أنس بن مالك رضي الله عنه يوم اليمامة حين تحصن بنو حنيفة ، فإنه قعد على ترس وقال : ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم ، فحملوه برماحهم وألقوه وراء الحائط ، فنزل وحمل فيهم وحده وفتح لأصحابه الباب فأدركوه وقد قتل منهم عشرة ، وجرح البراء يومئذ بضعا وثمانين جراحة ما بين رمية وضربة ، فأقام عليه خالد بن الوليد شهرا حتى برئ من جراحته . روى هذا البيهقي في السنن وابن الأثير في أسد الغابة وغيرهما .

قال المؤلف عفا الله عنه : فأي فعل أعظم من هذا ؟ وأي إقدام أبلغ منه ؟ وأي تغرير يقرب منه ؟ ومع هذا فلم يعب الصحابة عليه ولم ينهوه بل عدوا ذلك من مناقبه رضي الله عنه ، فعليك بالشجاعة والإقدام ولا يثني عزمك عن الشهادة الملام ، واخرج عن نفسك لله وسلمها طوعاً إلى الله ، ولا عليك أن تقتل بين اثنين أو تستشهد بحملك على ألفين ، والإقدام على القليل لا يتحقق فيه النجاة ، والحمل على الكثير لا يسرع بك إلى الوفاة ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

وقريب من فعل البراء ما فعله علي بن أسد فيما خرجه ابن عساكر بإسناده عن موسى بن أبي إسحاق الأنصاري قال : كان علي بن أسد قد قَتل وصنع أمورا عظاما فمر ليلة بالكوفة فإذا رجل يقرأ من جوف الليل ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ إلى آخر الآية فقال علي : أعِد ، فأعاد ثم قال : أعِد ، فأعاد ثم قال : أعِد ، فأعاد ، فعمد فاغتسل ثم غسل ثيابه فتعبد حتى عمشت عيناه من البكاء ، وصارت ركبتاه كركبتي البعير ، فغزا البحر فلقي الروم فقربوا مراكبهم بمراكب العدو ، فقال علي : لا أطلب الجنة بعد اليوم أبداً ، فاقتحم بنفسه في سفائنهم ، فما زال يضربهم وينحازوا ، ويضربهم وينحازوا حتى مالوا في شق واحد فانكفئت عليهم السفينة ، فغرق وعليه درع من الحديد .

وخرج ابن عساكر بإسناده عن عقبة بن قيس الكلابي : أن رجلا قال لأبي عبيدة بن الجراح يوم اليرموك : إني قد أجمعت على أمري أن أشد عليهم ، فهل توصيني إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم بشيء ، فقال : تقرؤه السلام وتخبره : إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا .

فصل

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل ، ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة ، وإنما جاز له الإقدام

إذا علم أنه لا يُقتَل حتى يَقتُل ، أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرأته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم . انتهى .

ونقل النووي رحمه الله في شرح مسلم في غزوة ذي قرد الاتفاق على أن التغرير بالنفس في الجهاد جائز . وقال في قصة عمير بن الحمام المتقدمة : الانغماس في الكفار والتعرض للشهادة جائز لا كراهية فيه عند جماهير العلماء . انتهى .

وقال البيهقي في سننه : بابُ من تبرع بالتعرض للقتل ، قال الشافعي رحمه الله : قد بورز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل رجل من الأنصار حاسراً على جماعة المشركين يوم بدر بعد إعلام النبي صلى الله عليه وسلم إياه بما في ذلك من الخير فقتل ، ثم ذكر في الباب قصة عمير بن الحمام وأنس بن النضر وغير ذلك .

قال القرطبي في تفسيره : اختلف العلماء في اقتحام الرجل في الحرب وحمله على العدو وحده فقال القاسم بن مخيمرة والقاسم بن محمد وعبد الملك من علمائنا : لا بأس أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة وكان لله بنية خالصة ، فإن لم يكن له قوة فذلك من التهلكة ، وقيل : إذا طلب الشهادة وخلصت النية فليحمل لأن مقصوده واحد منهم وذلك بين في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . ثم قال القرطبي بعد كلام ذكرته في الأصل : قال محمد بن الحسن : لو حمل رجل واحد على ألف رجل من المشركين وهو وحده لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية في العدو ، فإن لم يكن كذلك فهو مكروه لأنه عرض نفسه للتلف من غير منفعة للمسلمين ، فإن كان قصده تجرئة المسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا يبعد جوازه لأن فيه نفعاً للمسلمين على بعض الوجوه ، فإن كان قصده إرهاب العدو ليعلم العدو صلابة المسلمين في الدين فلا يبعد جوازه ، وإذا كان فيه نفع المسلمين فتلفت النفس لإعزاز دين الله وتوهين الكفار فهو المقام الشريف الذي مدح الله به المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ إلى غيرها من آيات المدح التي مدح الله بها من يبذل نفسه . انتهى كلام القرطبي .

وقد تقدم من الأدلة على فضل الانغماس ما فيه كفاية ، والله ولي التوفيق .

حكايات :

روى ابن عساكر بإسناده عن محمد بن عائذ قال : قال الوليد : أخبرني شيخ من أهل حمص : أنه أدرك بها شيخاً رومياً من فرسان الروم الذين كانوا بحمص أعور ، قال : فقيل له : سله عن سبب عوره ؟ فقال : إن المسلمين لما ساروا إلى حمص نزلوا بحيرة قدس على نهر الأُرُند فبعثني بطريق حمص في ثلاثين من فرسانه وأمرنا أن نستبطن نهر الأُرُند حتى ندنو من عسكر المسلمين فنأتيه بأخيذ أو خبر ، قال : فخرجنا فاستبطنا بطن الوادي فلما دنونا من العسكر إذا رجل من جيزة النهر الأخرى منقعاً فرسه في النهر ورمحه إلى جانبه ، فلما رآنا وضع سرجه على فرسه وركب ، وتناول رمحه فظننا أنه قد ذعر منا وأراد أن يبدرنا إلى العسكر . قال : فرمى بها في جرية الماء فجعلنا نتعجب من جرأته على النهر وعلينا ، فخرجت به فرسه من النهر وانتفضت به ، فلما انتهى إلى الجرف الذي يلينا أرادها على الوثوب به فلم يتهيأ لها ، فقام على سرجه ووضع الرمح واتكأ عليه ووثب فإذا هو قد علا الجرف ، وصاح بها فإذا هي معه ، فوثب ثم أقبل إلينا فالتف بعضنا إلى بعض وشد علينا ففرق بيننا وخلا برجل فدق ظهره ، والتف بعضنا إلى بعض وشد علينا ففرق بيننا وخلا برجل فقتله ففعل ذلك مراراً فلما رأينا ذلك ولينا منهزمين إلى المدينة ، فاتبعنا ، فكلما لحق رجلا قتله حتى لم يبق منهم غيري ودنا من باب حمص ، وقد رأى من كان على برج الباب ما كان يصنع فأخرجوا فوارس إلينا ، فلما رأيت الفوارس ظننت أنه قد هابهم وانصرف فالتفت لأعرف ما صنع فإذا سنان رمحه في عيني والتقَّت به الفرسان

فقتلته فأقبل جماعة من المسلمين في طلبه فانتهوا إليه صريعاً ودخلنا المدينة فأسمعهم يقولون : مسحل مسحل فدفنوه في طائفة من دير فيها سمي هناك : دير مسحل .

وخرج ابن عساكر أيضاً بإسناد جيد عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث : أنهم حاصروا دمشق وانطلق رجل من أسد شنوءة فأسرع إلى العدو وحده ليستقل فعاب ذلك المسلمون عليه ورفع حديثه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو على جند من الأجناد فأرسل إليه عمرو فرده فقال له عمرو : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ وقال الله : ﴿ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ فقال له الرجل : يا عمرو أذكرك الله الذي وجدك رأس كفر فجعلك رأس إسلام أن لا تصدني عن أمر قد جعلته في نفسي فإني أريد أن أمشي حتى يزول هذا ، وأشار إلى جبل الثلج ، فلم يزل يناشد عمرا حتى خلى عمرو سبيله ، فانطلق حتى أمسى وجنح الليل قبل العدو ثم رجع فقال له المسلمون : الحمد لله الذي رجعك وأراك غير رأيك الذي كنت عليه ، فقال : إني والله ما انثنيت عما كان في نفسي ، ولكني رأيت المساء وخشيت أن أهلك بمضيعة ، فلما أصبح غدا إلى العدو وحده فقاتلهم حتى قتل رحمه الله . قال المؤلف عفا الله عنه : وفعل عمرو بن العاص مع هذا شبيه بما تقدم من فعل سلمة بن الأكوع مع الأخرم الأسدي ، فإنه منعه أولا من الحمل على العدو والحمل عليهم وحده ، فلما علم منه تصميم العزم وصدق القصد في طلب الشهادة خلى سبيله ، ولو كان عمرو ومن معه من المسلمين يعلمون أن ذلك غير جائز لما وسعهم تمكينه من الذهاب ، والواجب عليهم منعه من الذهاب إلى العدو وحده ، والله أعلم .

وذكر الحافظ ابن الذهبي في تاريخ الإسلام : أن الناس في وقعة الحرة – وقد ذكرت سببها في باب الشجاعة من الأصل – اجتمعوا على عبد الله بن حنظلة الصحابي رضي الله عنه وبايعهم على الموت فقاتلوا قتالاً شديداً فقال لمولى له : اِحم ظهري حتى أصلي الظهر فلما صلى قال له مولاه : ما بقي أحد ! فعلام تقيم ؟ ولواؤه قائم ما حوله إلا خمسة ، فقال : ويحك ، إنما خرجنا على أن نموت ، فلما هزم الناس طرح الدرع وقاتلهم حاسراً حتى قتلوه .

وقال جويرية بن أسماء : انهزم الناس وعبد الله بن حنظلة متساند إلى بعض بنيه ، يغط نوماً فنبهه ابنه ، فلما رأى ما جرى أمر أكبر بنيه فقاتل حتى قتل وكان له ثمانية بنين فلم يزل يقدمهم واحداً واحداً حتى أتى إلى آخرهم ، ثم كسر جفن سيفه وقاتل حتى قتل .

وخرج البيهقي بإسناده عن مالك بن دينار قال : لما كان يوم الزاوية قال عبد الله بن غالب : إني أرى أمراً ما لي عليه صبر ، روحوا بنا إلى الجنة ، قال : فكسر جفن سيفه وتقدم ، فقاتل حتى قتل ، قال : وكان يوجد من قبره ريح المسك . قال مالك : فانطلقت إلى قبره فأخذت منه تراباً فشممته فوجدت منه ريح المسك .

وروى أبو الحجاج المزي في تهذيبه عن جعفر بن سليمان : حدثنا أبو عيسى قال : لما كان يوم الزاوية رأيت عبد الله بن غالب دعا بماء فصبه على رأسه ، وكان صائماً وكان يوماً حاراً وحوله أصحابه ثم كسر جفن سيفه ، وقال : روحوا بنا إلى الجنة ، فلما قتل دفن فكان الناس يأخذون تراب قبره كأنه مسك يصرونه في ثيابهم .

قال المؤلف عفا الله عنه : عبد الله هذا كان من سادات التابعين وعبادهم ، ويوم الزاوية كانت فيه الوقعة المشهورة بين ابن الأشعث والحجاج ، وقد أشرت إليها في الأصل .

وذكر جماعة عن ثابت عن محمد بن قيس بن شماس قال : لما انكشف المسلمون يوم اليمامة قال سالم مولى أبي حذيفة : ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحفر لنفسه حفرة وقام فيها ، ومعه راية المهاجرين يومئذ فقاتل حتى قتل رضي الله عنه .

حكاية :

ذكر الطُّرطُوشي في سراج الملوك والقرطبي في تاريخه : أن طارقاً دخل إلى الأندلس في ألف وسبعمائة رجل ، وكان تذفير نائباً عن اللذريق فقاتلهم ثلاثة أيام ثم كتب إلى اللذريق أن قوماً وصلوا إلينا ما أعلم من الأرض هم أم من السماء ! وقد قاتلناهم ولا طاقة لنا بهم فأدركنا بنفسك ، فأتاه اللذريق في تسعين ألف فارس فقاتلوهم ثلاثة أيام واشتد بالمسلمين البلاء ، فقال طارق : إنه لا ملجأ لكم غير سيوفكم ، أين تذهبون وأنتم في وسط بلادهم ، والبحر من ورائكم محيط بكم ، وأنا فاعل شيئاً إما النصر وإما الموت ، فقالوا : وما هو ؟ قال : أقصد طاغيتهم ، فإذا حملت فاحملوا بأجمعكم معي ، ففعلوا ذلك فقتل اللذريق وجمع كثير من أصحابه وهزمهم الله تعالى وتبعهم المسلمون ثلاثة أيام فقتلوهم قتلاً ذريعاً ولم يقتل من المسلمين إلا نفر يسير ، وبعث طارق برأس اللذريق إلى سيده موسى بن نصير .

قال المؤلف عفا الله عنه : وقد فعل ألب أرسلان أيضا كما فعل طارق ، ذكر الطُّرطُوشي والقرطبي وغيرهما قصته : قالوا : خرج ملك الروم من القسطنطينية في ستمائة ألف خارجا عن الْمُطَوِّعَة فكانوا لا يدركهم الطرف ولا يحصرهم العدد ، بل كتائب متواصلة وعساكر متزاحمة وكراديس يتلو بعضها بعضا كالجبال الشوامخ ، وقد أعدوا من السلاح والكراع والآلات لفتح الحصون ما يعجز الوصف عنها ، واقتسموا الدنيا فجعلوا لكل مائة ألف قطراً : العجم والعراق لملك ، وديار مضر وديار ربيعة لملك ، ومصر والمغرب لملك ، والحجاز واليمن لملك ، والهند والصين لملك ، والروم لملك ، فاضطربت ممالك الإسلام واشتد وجلهم وكثر جزعهم وهرب بعضهم من بين أيديهم وأخلوا لهم البلاد ، وكان الملك ألب أرسلان التركي سلطان العراق والعجم يومئذ قد جمع وجوه مملكته وقال : قد علمتم ما نزل بالمسلمين فما رأيكم ؟ قالوا : رأينا لرأيك تبع ، وهذه الجموع لا قبل لأحد بها ، قال : وأين المفر ؟ لم يبق إلا الموت وموتوا كراماً أحسن ، قالوا : أمَا إذا سمحتَ بنفسك فنفوسنا لك الفداء ، فعزموا على ملاقاتهم وقال : نلقاهم في أول بلادي ، فخرج في عشرين ألفاً من الأمجاد الشجعان المنتخبين ، فلما سار مرحلة عرض عسكره فوجدهم خمسة عشر ألفاً ، ورجعت خمسة فلما سار مرحلة ثانية عرض عسكره فإذا هم اثنا عشر ألفاً ، فلما واجه العدو عند الصباح رأى ما أذهل العقول وحيَّر الألباب ، وكان المسلمون كالشامة البيضاء في الثور الأسود فقال : إني هممت أن لا أقاتلهم إلا بعد الزوال ، قالوا : ولم ؟ قال : لأن في هذه الساعة لا يبقى على وجه الأرض منبر إلا دعوا لنا بالنصر ، وكان ذلك يوم الجمعة ، فقالوا : افعل ، فلما زالت الشمس صلى وقال : ليودع كل واحد صاحبه وليوص ففعلوا ذلك فقال : إني عازم على أن أحمل فاحملوا معي ، وافعلوا كما أفعل ، فاصطف المشركون عشرين صفاً ، كل صف لا يرى طرفاه ، ثم قال : بسم الله وعلى بركة الله ، احملوا معي ، ولا يضرب أحد منكم بسيف ولا يرمي بسهم إلا إن أفعل ، وحمل وحملوا معه حملة واحدة خرقوا صفوف المشركين صفاً بعد صف لا يقف لهم شيء حتى انتهوا إلى سرادق الملك ، فوقف وأحاطوا به وهو لا يظن أن أحداً يصل إليه ، فما شعر حتى قبضوا عليه وقتل كل من كان حوله وقطعوا رأساً فرفعوها على رمح وصاحوا قتل الملك ، فولوا منهزمين لا يلوون على شيء وحكموا السيف فيهم أياماً ، فلم ينج منهم إلا قتيل أو أسير ، وجلس ألب أرسلان على كرسي الملك في مُضَرَّبة في سرادقه على فراشه وأكل من طعامه ولبس من ثيابه ، وأحضر الملك بين يديه وفي عنقه حبل فقال : ما كنت صانعاً لو ظفرت بي قال : أو تشك أنت في قتلك حينئذ ؟ قال ألب أرسلان : أنت أقل في عيني من أن أقتلك ، اذهبوا فبيعوه ، فطافوا به جميع العسكر والحبل في عنقه ينادى عليه بالدراهم والفلوس فما يشتريه أحد حتى انتهوا في آخر العسكر إلى رجل فقال : إن بعتمونيه بهذا الكلب اشتريته ، فأخذوه وأخذوا الكلب ، وانتهوا بهما إلى ألب أرسلان وأخبروه بما صنعوا به وبما دفعوا فيه ، فقال : الكلب خير منه لأنه ينفع وهذا لا

ينفع ، خذوا الكلب وادفعوا إليه هذا الكلب ، ففعلوا ثم إنه أمر بإطلاقه وأن يجعل الكلب قرينه مربوطاً في عنقه ، ووكل به من يوصله إلى بلاده فلما وصل عزلوه عن الملك وكحلوه .

فصل في المبارزة

وهي جائزة بالاتفاق ، فإن طلبها كافر استحب الخروج إليه ، وابتداؤها ليس بمستحب ولا مكروه على الصحيح من مذهب الشافعي ، وإنما تحسن ممن جرب نفسه وعرف قوته ، وتكره لضعيف لا يثق بنفسه ، وقيل تحرم ، وإنما تسن بإذن الإمام أو الأمير ، والصحيح جوازها بغير إذنه ، ولهذه المسألة فروع ذكرناها في الأصل .

ولم تزل المبارزة في الحرب وإجابة من دعا إلى البراز سنة الأبطال وشجعان الإسلام وأخبارهم في ذلك كثيرة ، وقد بارز الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأمره ، وكذلك في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، ولم يزل السلف الصالح ومن يقتدى بأفعالهم على ذلك .

٤٢١- وقد بارز أمير المؤمنين على رضي الله عنه يوم الخندق عمرو بن عبد ود لأنه خرج ونادى من يبارز ؟ فقام علي وهو مقنع بالحديد فقال : أنا له يا نبي الله ، فقال : (إنه عمرو ، اجلس) فنادى عمرو : ألا رجل ؟ وهو يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ؟ ألا ليبرز إليَّ رجل ، فقام علي رضي الله عنه فقال : أنا له يا رسول الله ، فقال : (اجلس) ثم نادى الثالثة وقال :

ولقــــد بحــــت مــــن النــــدا ء بجمعكـــم هـــل مـــن مبـــارز
ووقفــــت إذ جـــبن المشجـــــ ــــجع وقفـــة الرجـــل المنـــاجز
وكـــــــــــــــــذاك إني لم أزل متســــــرعاً قبــــــل الهزاهـــــز
إن الشـــــــــجاعة في الفـــــــتى والجـــود مـــن خـــير الغرائـــز

فقام علي رضي الله عنه فقال : أنا له يا رسول الله ، فقال : (إنه عمرو !) فقال : وإن كان عمرا . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمشى إليه علي وهو يقول :

لا تعجلــــــن فقــــــد أتــــــا ك مجيـــب صـــوتك غـــير عـــاجز
ذو نيــــــــــة وبصــــــــــيرة والصـــدق منجـــي كـــل فـــائز
إني لأرجــــــــــو أن أقيــــــــــ ــــم عليـــك نائحـــة الجنـــائز
مـــــن ضـــــربة نجـــــلاء يبـــــ ــــقى ذكرهـــا عنـــد الهزاهـــز

فقال عمرو : من أنت ؟ فقال : أنا علي بن أبي طالب ، فقال : غيرك يا ابن أخي من أعمامك ممن هو أسن منك ، فإني أكره أن أهريق دمك ، فقال له علي : لكني والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي رضي الله عنه مغضباً ، واستقبله علي بِدَرَقَتِهِ فضربه عمرو في الدرقة فَقَدَّها ، وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشجه ، فضربه علي رضي الله عنه على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن عليا رضي الله عنه قتله .

وكذلك لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول :

قـــد علمـــت خيـــبر أني مرحـــب شـــاكي الســـلاح بطـــل مجـــرب
إذ الحروب أقبلت تلهب

فبرز إليه عامر، فقال :

قـــد علمـــت خيـــبر أني عـــامر   شـــاكي الســـلاح بطـــل مغـــامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر ، وذهب عامر يسفُل [يضربه من أسفل] له فرجع سيفه على نفسه فقتله ، ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه وهو أرمد فبصق في عينيه فبرئ وأعطاه الراية وخرج مرحب وأنشد الشعر المتقدم ، وقال علي رضي الله عنه :

أنـــا الـــذي سمتـــني أمـــي حيـــدرة   كليـــث غابـــات كريـــه المنظـــرة

أوفيكم بالصاع كيل السندرة

فضرب رأس مرحب ففلقه ، ثم كان الفتح على يديه ، وقد ذكرت القصة في باب الغزوات من الأصل .

وذكرت في باب الشجاعة من الأصل : أنه لما كان يوم صفين خرج رجل من أصحاب معاوية يقال له : كريز بن الصباح فوقف بين الصفين وقال : من يبارز ؟ فخرج إليه رجل من أصحاب علي رضي الله عنه فقتله فوقف عليه ثم قال : من يبارز ؟ فخرج إليه آخر فقتله وألقاه على الأول ثم قال : من يبارز ؟ فخرج إليه الثالث فقتله وألقاه على الآخرين فقال : من يبارز ؟ فأحجم الناس عنه وأحب من كان في الصف الأول أن يكون في الآخر فخرج علي رضي الله عنه فشق الصفوف فلما انفصل منها نزل وسعى إليه فقتله وقال : من يبارز ؟ فخرج إليه رجل فقتله ووضعه على الأول ثم قال : من يبارز ؟ فخرج إليه رجل فقتله ووضعه على الآخرين ثم قال : من يبارز ؟ فخرج إليه رجل فقتله ووضعه على الثلاثة ثم قال : أيها الناس إن الله عز وجل يقول : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ ولو لم تبدأوا بهذا لما بدأنا ثم رجع إلى مكانه .

وقد صح عن البراء بن مالك أخي أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قتل مائة مبارز .

وذكر ابن سعد أن أول من قتل يوم أجنادين بطريق برَز يدعو إلى البراز فبرز إليه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنه فاختلفا ضربات ثم برز آخر يدعو إلى البراز فبرز إليه عبد الله فاقتتلا بالرمحين ساعة ثم صارا إلى السيفين فضربه عبد الله على عاتقه وهو يقول : خذها وأنا ابن عبد المطلب ، فأثبته وقطع سيفه الدرع وأسرع في منكبه ثم ولى الرومي منهزماً ، فعزم عمرو بن العاص على الزبير ألا يبارز فقال : لا أصبر . فلما اختلطت السيوف وجد حوله عشرة من الروم قد قتلهم وهم حوله وقائم سيفه في يده قد غُرِي وإن في وجهه لثلاثين ضربة وهو مقتول رضي الله عنه .

ولما خرج الرشيد إلى القسطنطينية وصالحه ملكها ثم غدر ورجع إليها الرشيد فأقام على هرقل سبعة عشر يوما واشتد القتال ونفدت الأزواد وضاق صدر الرشيد والمسلمون لذلك فبينما الرشيد يوماً عند القائلة نائم فتح الحصن وخرج رجل من أتم الرجال في أكمل السلاح على أجود الخيل ونادى بلسان فصيح يا معشر العرب ليخرج إليَّ من فرسانكم عشرون مبارزا ، فلم يخرج إليه أحد لنوم الرشيد ، وما جسر أحد يوقظه ، وجال الرومي بين الصفين وهو ينادي بذلك ، فضج المسلمون واضطربوا وعاد إلى الحصن مسروراً يضحك هو وأصحابه ، وكثر ضجيجهم ، فلما استيقظ الرشيد أعلم بذلك فتألم وقلق وقام وقعد ، وقال : هلا أيقظتموني ؟ وما بال أحدكم لم يخرج إليه ، فقال له بعض الحاضرين : إن غرته ستحمله على الخروج في غد ، فما نام الرشيد تلك الليلة . فلما أصبح خرج الرومي وقال ما قاله بالأمس ، فقال الرشيد : ليخرج إليه عشرون فارساً ، فقال ابن مخلد : لا والله يا أمير المؤمنين ما يخرج إليه غير واحد ، فإن ظفر به فالحمد لله وإن قتله كان شهيداً ، ولا يسمع الروم أن فارساً رومياً خرج إليه عشرون فارساً من المسلمين ، فقال : صدقت . وكان في معسكر المسلمين رجل معروف بالنجدة والشجاعة يعرف بابن الجزري فقال : أنا أخرج إليه وأستعين بالله عليه ، فأمر له بفرس وسلاح فقال : أنا لا أريد شيئاً فتوجه إليه بعد أن ودعه الرشيد ودعا له ، ونزل معه عشرون فارساً ليودعوه ، فلما صاروا في بطن الوادي ، قال الرومي : غدرتم يا مسلمين ، طلبت عشرين نزل أحد

وعشرون ، فقالوا : ما يبارزك غير واحد ونحن مودعوه وراجعون ، فقال العلج : سألتك بالله أنت ابن الجزري ؟ قال : نعم ، قال :كفؤ كريم . فرجع المسلمون وتطاعنا حتى كلا واشتد الحر عليهما والمسلمون والمشركون ينظرون إليهما ، فولى ابن الجزري منهزما فعطعط المشركون وضج المسلمون ، والعلج في أثره ثم عطف ابن الجزري على العلج فاختطفه من سرجه ، وما أوصله إلى الأرض إلا بعد مفارقته رأسه لجسده ، فكبر المسلمون تكبيرة واحدة كادت الجبال تتدكدك ، وانكسر المشركون ، وجد المسلمون في القتال وفتح الحصن عنوة ، فقتلوا وأسروا . ولما صعد ابن الجزري إلى الرشيد أجلسه وأمر بصب الأموال عليه حتى عجز عن النهوض وأفرغت عليه الخلع حتى لم يطق حملها وصار يسأل الإعفاء ثم توجه الرشيد إلى القسطنطينية فكان ما هو مذكور في الأصل واختصرته هنا لما فيه من الطول .

وكان شيخ البخاري أحمد بن إسحاق السرماري أحد شجعان العالم قال إبراهيم بن شماس : كنت أكاتب السرماري فكتب إلي : إذا أردت الخروج إلى بلاد الغُزيَّة في شراء الأسرى فاكتب إلي ، فكتبت إليه ، فقدم إلى سمرقند ، فخرجنا فلما علم جَيْغَويه استقبلنا في عدة من جيوشه ، فأقمنا عنده إلى أن فرغنا من شراء الأسرى فركب يوماً وعرض جيشه ، فجاء رجل فعظمه وبجَّله ، وخلع عليه ، فسألني السرماري عن الرجل ، فقلت : هذا رجل مبارز يعد بألف فارس ، لا يولي من ألف ، فقال : أنا أبارزه فلم ألتفت إلى قوله ، فسمع جَيْغَويه ذلك فقال لي : ما يقول هذا ؟ فقال : يقول : كذا وكذا ، فقال : لعل الرجل سكران لا يشعر ، ولكن غداً نركب . فلما كان الغد ركبوا وركب هذا المبارز وركب أحمد السرماري ومعه عمود في كُمه ، فقام بإزائه فدنا منه المبارز ، فهزم أحمد نفسه منه حتى باعده من الجيش ثم ضربه بالعمود فقتله ، وتبع إبراهيم بن شماس لأنه كان سبقه بالخروج إلى بلاد المسلمين ، فلحقه وعلم جيغويه فبعث في طلبه خمسين فارساً من خيار جيشه ، فلحقوا أحمد فوقف تحت تل مختفياً حتى مروا كلهم ثم خرج فجعل يضرب بالعمود واحد بعد واحد ، ولا يشعر من كان بالمقدمة حتى قتل تسعة وأربعين نفساً وأخذ واحداً منهم ، فقطع أنفه وأذنيه وأطلقه ، فذهب إلى جَيْغَويه وأخبره . قال أبو عبد الله البخاري : ما بلغنا أنه كان في الجاهلية ولا في الإسلام مثله .

وخرج ابن عساكر بإسناده عن المنهال بن بنان : أن المهدي قال لطازاذ الرومي : أخبرني ببعض ما لقيت ، فقال : كنت يوماً أسير على شاطئ نهر لا ينقطع إلا من موضع فيه معروف ، فإذا أنا برجل قائم يصلي ، فخفف صلاته لما رآني ، فقلت له :كأنك أضللت أصحابك ؟ فإن أحببت أرشدتك لطريق تقبل منه إليهم فعلت ، قال : فقال كالمستهزئ بي : امض لشأنك ، فقلت له :كأني أراك معجباً بنفسك ، فهل لك في البراز فقال : نعم ، ثم وثب على فرس له أنثى ، ثم أوثبها النهر فإذا هي معي ، ثم تجاولنا ساعة فلم أقدر عليه . ثم قلت له : هل لك في المصارعة قال : ذاك إليك ، فألقينا ما علينا من سلاح ومتاع ، فلما تجرد رأيته نحيفا ، فقلت : أنا محتمله بأهون أمر ، أو قاتله ، أو أذهب به أسيراً ، وآخذ فرسه وسلاحه ، ثم أتحدنا فلم أصل منه إلى شيء ، حتى اعتقلني ، فإذا أنا تحته ثم تناول سكيناً له في خفه ليذبحني بها . فقلت له : هل لك في خير مما تريد بي ؟ قال : وما هو ؟ قلت : تعتقني فأكون عبدك وأضمن لك ألا أدع حفظك في كل مسلم أقدر عليه ، فقال لي : ومن أنت ؟ فقلت : طازاذ ، فنهض عني وضربني برجله استخفافاً بي ، ثم مال إلى النهر فغسل وجهه ولبس سلاحه وركب ، ثم جاز النهر إلى الموضع الذي كان فيه ، فقلت له : إني قد صرت عبدك فتسمّ لي ، قلت : أخبرني بموضعك ومنزلك ، فلما أخبرني بذلك كتبته بطرف سكين على سرجي ، قال : وكان طازاذ رجلا أيداً يأخذ الكبشين فيعلقهما بيديه حتى ينتطحا . ثم قلت : إن من أصحابي عدة أمامك فاتقهم ، فقال : امض لشأنك ، ثم غدا فلقيه ناس من أصحابي فحمل عليهم فقتل منهم أربعة ، ثم أدركتهم فمنعت من بقي منهم من قتاله ، ثم أمرت رجلاً من أصحابي أن يدخل عسكرهم مستأمناً ليسرق فرسه ، فأقام أياماً لا يقدر على سرقة فرسه ، ثم عاد إلي فقال : لا أقدر على سرقة فرسه ، وذلك لأنه يركبها نهاراً ويسرحها

ليلاً ويضع لجامها على قربوسه ومخلاتها في رأسها ، ويصف قدميه يصلي حتى يصبح ، فقال المهدي لبئس ما كافأته به يا طازاذ . فقال : سألتني فصدقتك . فأمر المهدي بالكتاب إلى عامل دمشق في إقدام ذلك الرجل عليه ، فقدم ولا علم لطازاذ بشيء من أمره ، فأمر المهدي بعرض الجند فعرضوا عليه والرجل فيهم ، فلما رآه طازاذ قال يا أمير المؤمنين : ما أشبه هذا الرجل بالذي وصفت لك ، فدعاه المهدي فلما قرب منه سأله طازاذ أن يقرب منه فأذن له ، فقبل رجله وركبته وأذكره ما كان منه ، فأراد المهدي صلته فلم يقبلها ، فصرفه إلى بلاده . قال المؤلف عفا الله عنه :

وحكايات المبارزين وأخبارهم لا مطمع في استيفائها ، وقد ذكرت منها نبذا متفرقة في أبواب من الأصل ، والله الموفق .

فصل

في فضل من قتل كافرا في سبيل الله

٣٧٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا) . رواه مسلم .

٣٧٥- وعن أبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يفتتن في قبره) . رواه الطبراني والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٣٧٦- وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين : (من قتل قتيلاً فله سلبه) فقتل يومئذ أبو طلحة عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم . رواه أبو داود .

وروى ابن أبي شيبة عن سلمان بن ربيعة وهو ممن اختلف في صحبته قال : قتلت : بسيفي هذا مائة مستلئم كلهم يعبد غير الله ما قتلت رجلا منهم صبرا . قوله مستلئم بهمزة مكسورة : أي لابس لأمته وهي الدرع والمغفر ونحوهما .

وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن البراء بن مالك رضي الله عنه أنه استلقى على ظهره فترنم ، فقال له أنس : اذكر الله يا أخي ، فاستوى جالسا وقال : أي أنس ابن أبي ! لا أموت على فراشي وقد قتلت مائة من المشركين مبارزة سوى ما شاركت في قتله .

وروى أبو الحسن المرادي بإسناده عن علي بن بكار قال : لقد رأيت رجلاً ببلاد الروم وإن أمعائه على قربوس سرجه ، فأدخلها بطنه ثم شد بطنه بعمامة ثم قاتل فقتل بضعة عشر علجا .

وروى ابن الذهبي الحافظ بإسناده إلى عبيد الله بن واصل قال : سمعت السرماري وأخرج سيفه فقال : أعلم يقيناً أني قتلت به ألف تركي ، وإن عشت قتلت به ألفا أخرى ، ولولا أني أخاف أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي .

قال المؤلف عفا الله عنه : وأخبار من قتله الله من المشركين بأيدي المسلمين كثيرة جداً ، ومن نظر في مغازيهم ووقائعهم رأى من ذلك ما يبهر العقول ، وقد ذكرت في الأصل أن في سنة سبع وعشرين : كان على إصطخر قتال عظيم فقتل فيه عبيد الله بن معمر فأقسم عبد الله بن عامر لئن ظفر بالبلد ليقتلن حتى يسيل الدم من باب المدينة ونقب المسلمون المدينة فما دروا إلا والمسلمون معهم في المدينة فأسرف ابن عامر في قتلهم وجعل الدم لا يجري من الباب ، فقيل له : أفنيت الخلق ! فأمر بالماء فَصُبَّ على الدم حتى خرج من الباب .

وفي سنة تسعين : غدر ملك الطالقان ونقض العهد فغزاه قتيبة بن مسلم وقتل منهم مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين طول أربعة فراسخ في نظام واحد .

وفي سنة ثمان وتسعين : غزا يزيد بن المهلب بن أبي صفرة طبرستان فقاتلهم قتالاً شديداً فهزم الله المشركين فقتل المقاتلة وصلب منهم فرسخين وقاد منهم اثني عشر ألف نفس إلى واد جرجان فقتلهم وأجرى الماء في الوادي على الدم وعليه الرحى تطحن واختبزوا وأكل وكان قد حلف على ذلك .

وفي سنة اثنين وأربعين ومائة : كانت الوقعة بين الحكم بن هشام ابن الداخل وبين الروم على سمارة ففتحوها عنوة قال الرازي في مغازي الأندلس : أُحْصِي ممن قتل بسمورة ثلاث مائة ألف نفس .

وفي سنة سبعين ومائتين : نازلت الروم طرسوس في مائة ألف فبيتهم يازمان الخادم فقتل منهم سبعين ألف وقتل ملكهم

وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة : وقع الصلح بين السلطان صلاح الدين وبين الإفرنج مع كراهته لذلك مع وقعات كثيرة ذكرت بعضها بالأصل ، وكان ممن حضر في الصلح صاحب الرملة فقال لصلاح الدين : ما عمل أحدٌ ما عملت ، إننا أحصينا من خرج إلينا في البحر فكانوا ستمائة ألف ما عاد منهم إلى بلادهم من كل عشرة واحد .

وفي سنة إحدى وتسعين :كانت وقعة الزلاقة وقد ذكرتها في الأصل بين يعقوب المنصور أمير المؤمنين والفُنس فهزم الله الفُنْس وكان عدد ممن قتل من الفرنج في هذه الوقعة مائة ألف وستة وأربعون ألفاً وأسر ثلاثون ألفاً وأخذ من الخيام مائة ألف خيمة وخمسون ألف ومن الخيل ثمانون ألفا ومن البغال مائة ألف ومن الحمير أربعمائة ألف ومن الأموال والجواهر مالا يحصى وبيع الأسير بدرهم والسيف بنصف والحمار بدرهم والحصان بخمسة دراهم .

قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذه النبذة كفاية في هذا المختصر ، والله المعين لا رب غيره .

الباب الثاني والعشرون

في تغليظ الإثم في الفرار من الزحف

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

٣٧٧- وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اجتنبوا السبع الموبقات) قيل : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : (الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) .

٣٧٨- وخرج الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف) .

٣٧٩- وعن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات فذكر فيه : (وأن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة : الإشراك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين) . الحديث رواه ابن حبان في صحيحه .

٣٨٠- عن أبي هريره رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئاً ، وأدى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسباً ، وسمع وأطاع فله الجنة ، وخمس ليس لهن كفارة : الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وبهت مؤمن ، والفرار من الزحف ، ويمين صابرة يقطع بها مالا بغير حق) . رواه أحمد .

٣٨١- وعن عبيد بن عمير الليثي رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله ، وكم الكبائر ؟ قال : (تسع : أعظمهن الإشراك بالله ، وقتل المؤمن بغير حق ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنات) . الحديث رواه الطبراني في حديث ذكرته في الأصل وإسناده حسن . وروى ابن المبارك بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الجريء كل الجريء الذي إذا حضر العدو ولى فراراً ، والجبان كل الجبان الذي إذا حضر العدو حمل فيهم حتى يكون منه ما شاء الله تعالى . فقيل : يا أبا هريرة كيف هذا ؟ قال : إن الذي يفر اجترأ على الله عز وجل ففر ، وإن الجبان فرِق من الله عز وجل . قوله فرق بكسر الراء يعني : خاف فثبت .

فصل

اعلم أن الفرار من الزحف من أعظم كبائر الذنوب عند الله تعالى بإجماع العلماء ، وفاعله مستحق لغضب الله ومقته وأليم عذابه ، وإنما يحرُم الفرار إذا لم يزد عدد الكفار على المثلين ، فإن زاد عدد الكفار على المثلين جاز الفرار ، وإن فرَّ مُتَحَرفا لقتال كمن فر ينصرف ليكمن في موضع أو يهجم أو لمكيدة من مكائد الحرب لم يحرم الفرار سواء كان الكفار كثيراً أو قليلاً ، وكذلك إذا فر متحيزاً إلى فئة يستنجد بها جاز ، وسواء كانت تلك الفئة كثيرة أو قليلة قريبة أو بعيدة على الصحيح ، ولهذه المسائل فروع مستوفاة في الأصل مع غيرها .

فصل

اعلم أيها الفار حرصاً على زيادة عمر لا يزيد بالفرار ، ولا ينقص بالثبات ، وخوفاً من هجوم أجل لا يتقدم نفساً ولا يتأخر لتحتم وقت الممات ، إن الموت لابد من نزوله على كل حال ، وإنه لا يمنع منه الفرار في قلل الجبال ، ولا يدفع عنه الاعتزاز بحيل الرجال ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ ومن سبق القدر بموته قتيلاً استحال أن يجد إلى غير ذلك سبيلا ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ وما أحسن قول بعض الشجعان :

أقولُ لها وقد طارَت شُعاعا ... مِن الأبطال ويحَكِ لن تُراعي

فإنكِ لو سألت بقاءَ يومٍ ... على الأجَلِ الذي لك لن تُطاعي

فصبراً في مجالِ الموت صبراً ... فمَا نيلُ الخلود بمستطاع

ومَن لم يعتبِط يهرَم ويَسأَمْ ... وتُسلِمُه المنونُ إلى انقطاعِ

لموتُ المرءِ خيرٌ من حياةٍ ... إذا مَا عُدَّ من سِقطِ المتاعِ

الفرار يا هذا سفرة من أسفار الموت ، وحرص على ما لا يخشى فيه الفوت ، ورب حياة كان سببها التعرض للوفاة ، وموت سببه طول الحياة ، وليس للمحارب حصن من الهلاك يلجأ إليه غير تأخير أجله ، ومن اجتهد على الموت في سبيل الله وهبت له الحياة مع حسن عمله ، الفار مُسَلِّمٌ لنفسه والمقاتل مدافع عنها ، وإذا انقضت مدة الأجل فالمنية لابد منها .

وإذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز أن تموت جبانا

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ لو لم يكن في القتل الذي تفر منه إلا الراحة من سكرات الموت وأهواله ، لكان في ذلك ما يوجب الثبات وإن لم تنظر إلى ما بعده وهو الفوز العظيم ، وجوار الرب الكريم في دار النعيم المقيم ، وما أحسن قول بعضهم :

وإنا لتستحلي المنايا نفوسُنا ... ونترك أخرى مُرةً ما نذوقها

وكان علي رضي الله عنه يحرض على القتال ويقول : إن لم تقتلوا تموتوا ، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش .

٣٨٢- وروي عن واثلة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف) . خرجه أبو نعيم في الحلية .

وقال شداد بن أوس : الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهو أشد من نشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ، ولو أن الميت نشر وأخبر أهل الدنيا بأ لم الموت ما انتفعوا بعيش أبداً ، ولا التذوا بنوم أبداً .

ويروى : لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا لذابت .

وقال عمر رضي الله عنه لكعب : يا كعب حدثنا عن الموت ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هو كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى .

٣٨٣- ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لو أن ألم شعرة من الميت وضع على أهل السماء والأرض لماتوا جميعا) . والآثار في وصف شدة الموت وعظيم أهواله كثيرة جدا ، فانظر يا هذا ما تختاره لنفسك وتفر إليه ! أهو خير أم القتل في سبيل الله ، الذي لا يجد الإنسان ألمه إلا كمس قرصة كما سيأتي ذلك في صحيح الخبر ، ولِمَا بعد الموت أفظع وأبشع وأهم وأشنع كضمة القبر ووحشته وفتنة الملكين وسؤالهما والصيحة والبعث والحشر وكربات القيامة وأهوالها من تطاير الصحف وجواز الصراط الذي هو كحد السيف ومناقشة الحساب على الجليل والحقير والفتيل والقطمير ووزن الخير والشر بموازين الذر وغير ذلك من الأهوال التي يطول شرحها ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾ فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فأني لا إخالك ناجيا ، كم بين هذا وبين من هم ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ قد أمنوا من عظيم الأهوال والكربات ، وسكنوا بأجل المحال في أعلى الغرفات ، وكرعوا من النعيم أكواباً ، وأدرعوا من التنعم أثواباً ، ومتعوا بجنان الخلد مستقرا ومآباً ، وتمتعوا بحور عين كواعب أتراباً ، أرواحهم في جوف طير خضر تجول في الجنان ، تأكل وتشرب وتأوي إلى قناديل معلقة في عرش الرحمن ، يتمنون الرجوع إلى هذه الدار ، ليقتلوا في سبيل الله عشر مرار ، لما بهرهم من ثواب الله الجزيل ، للجريح في سبيل الله أو القتيل ، فما أقبح العجز عن انتهاز هذه الفرص ، وما أنجح الاحتراز بالجهاد من مقاساة تلك الأهوال والغصص ، وليت شعري بأي وجه تقدُم على الله غداً ؟ مَن فرَّ اليوم من أعدائه ، وماطله بتسليم نفسه بعد عقد شرائه ، ودعاه الى جنته ففر وزهد في لقائه .

اللهم إليك يا من بيده أزِمَّة القلوب ترغب في إثباتها ، وعليك يا علام الغيوب نعتمد في تصحيح قصدها وإخلاص نياتها ، وإلى غناك نمدُّ أيدي الفاقة أن ترزقنا شهادةً ترضاها ، وأن تنيل نفوسنا من ثبات الأقدام في سبيلك مناها ، فالحِرَاكُ والسكون إليك ، والمعول في كل خير عليك ، وأنت على كل شيء قدير[1] .

الباب الثالث والعشرون

في بيان أن الأجر في الجهاد لا يحصل إلا بالنية الصالحة وتفصيل أنواع النيات

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾

٣٨٤- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) . رواه البخاري ومسلم .

٣٨٥- وعن أبي موسى رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) . رواه البخاري ومسلم وأبو داود ولفظه : أن أعرابياً جاء

---

[1] حقق الله له أمنيته واستجاب لعوته ورزقه الشهادة — نسأل الله تعالى أن يرزقنا إياها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم - قال ابن العماد في ترجمة ابن النحاس : الشيخ الإمام العلامة القدوة ... وفي سنة أربع عشر وثمانمائة من الهجرة هجم الفرنج على أهل الطينة - قرية في مصر - وخرج أهل دمياط لنجدتهم ، وكان كبيرهم ابن النحاس ودارت معركة كبيرة بينهم ، فقتل مقبلا غير مدبر .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الرجل يقاتل للذكر ، ويقاتل ليحمد ، ويقاتل ليغنم ، ويقاتل ليرى مكانه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قاتل لتكون كلمة الله هي أعلى فهو في سبيل الله) .

٣٨٦- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عنهما أنه قال : يا رسول الله ، أخبرني عن الجهاد والغزو ، فقال : (يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت صابرًا محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً ، وإن قاتلت مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً ، يا عبد الله بن عمرو على أي حال قاتلت أو قُتلت بعثك الله على تلك الحال) . رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد . وعن مرة قال : ذكروا عند عبد الله – يعني ابن مسعود رضي الله عنه – قوماً قتلوا في سبيل الله عز وجل ، فقال : إنه ليس على ما تذهبون وترون ، إنه إذا التقى الزحفان نزلت الملائكة فكتبت الناس على منازلهم : فلان يقاتل للدنيا ، وفلان يقاتل للملك ، وفلان يقاتل للذكر ونحو هذا ، وفلان يقاتل يريد وجه الله ، فمن قتل يريد وجه الله فذلك في الجنة . رواه ابن المبارك عن شعبة عن السدي عنه وهو موقوف .

٣٨٧- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالاً فله ما نوى) . رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد . وفي هذا الباب أحاديث أخر ذكرتها في الأصل

فصل

واعلم أن أنواع النيات في الجهاد لا تنحصر لتنوع المقاصد فيه ، ولكن نذكر هاهنا ما هو الغالب وجوداً ، ويقاس عليه ما قد يقع ، والتوفيق بيد الله سبحانه :

فمنهم من يقصد بجهاده وجه الله تعالى لاستحقاقه هذه العبادة وأمره بها وافتراضها على عباده من غير التفات عنده إلى جزاء عليها في الآخرة ، وهذا عزيز الوجود نادر الإمكان .

ومنهم من يحمله على الجهاد غيرة الإسلام والحرص على إعلاء كلمة الله تعالى وإعزازها ، وإذلال كلمة الكفر وأهلها . وهاتان النيتان لا شك في صحتهما ، ولا ريب في الفوز عند الله بهما ، وقد يحدث الإنسان نفسه بذلك ويكون على غيرة ، ومن علامات الصدق في هاتين النيتين والإخلاص فيهما : اجتهاده على إخفاء عمله في الحال ، وعدم التبجح والافتخار بما صدر منه في المآل ، وحبُّ أن لا يذكر بشيء من ذلك ، واحتسابُ نفسه عند الله إن قتل هنالك ، وكراهة الظهور اكتفاء باطلاع الله واتخاذ ما أصابه ذخيرة له عند الله تعالى .

ومنهم من يقصد الجنة وثوابها وكواعبها وأترابها ، والنجاة من النار وأليم عقابها وعذابها من غير تصور لغير ذلك ، وهذا هو الأغلب وجوداً ، وقد ذهب بعضهم إلى أن هذا القصد لا يكفي في نيل رتبة الشهادة ، والظاهر الصحيح أن هذا القصد كاف في نيلها ، وأن صاحبها من الفائزين بجنات النعيم ، وقد صرح بذلك الإمام العلامة تقي الدين ابن دقيق العيد في شرح العمدة فإنه قال : المجاهد لطلب ثواب الله والنعيم المقيم مجاهد في سبيل الله ، والشريعة كلها طافحة بأن الأعمال لأجل الجنة أعمالاً صحيحة غير معلولة ، لأن الله تعالى ذكر صفة الجنة وما أعد فيها للعاملين ترغيباً للناس في العمل ، ومحالٌ أن يرغبهم في العمل للثواب ويكون ذلك معلولاً مدخولاً إلا أن يُدعى غير هذا المقام أعلى منه ، فهذا قد يسامح فيه ، وإما أن يكون علة في العمل فلا . انتهى ملخصا مما في الأصل .

قال المؤلف عفا الله عنه : ومن أعظم الأدلة على نيل رتبة الشهادة بهذه النية :

٣٨٨- ما رواه شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، فلما كانت غزاة خيبر غنم النبي صلى الله عليه وسلم فقسم وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذا

؟ قال : (هذا قسمته لك) قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا – وأشار إلى حلقه – بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال : (إن تصدق الله يصدقك) ، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو ، فأُتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أهو هو ؟) قالوا : نعم ، قال : (صدق الله فصدقه) ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قدمه فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته : (اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً ، أنا شهيد على ذلك) . خرجه عبد الرزاق بإسناده ، ورجاله محتج بهم في الصحيح والنسائي وغيره .

فانظر – رحمك الله – كيف شهد النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهادة مع أنه ما أراد غير الجنة ، ولو كانت هذه النية غير صحيحة لأرشده النبي صلى الله عليه وسلم إلى غيرها حين ذكرها له .

٣٨٩– وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض) قال عمير بن الحمام : يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال : (نعم) قال : بخ بخ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما يحملك على قولك بخ بخ ؟) قال : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : إن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل . رواه مسلم وغيره . ورواه ابن المبارك إلا أنه قال فيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أردت من قولك بخ بخ ؟) فقال : يا رسول الله ، علمت أني إن دخلتها كان لي فيها سعة ، قال : (أجل) ثم قال : يا رسول الله كم بيني وبينها ، قال : (أن تلقى هؤلاء القوم فتصدق الله) قال : فألقى تمرات كن في يده وقال : تخلى من طعام الدنيا ثم تقدم فقاتل حتى قتل . ورواه ابن إسحاق في سيرته ولفظه : أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس – يعني يوم بدر – فحرضهم وقال : (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة) فقال عمير بن الحمام – وفي يده تمرات يأكلهن – : بخ بخ ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ قال : ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . وذكر ابن عقبة في مغازيه : أنه أول قتيل يومئذ من المسلمين .

وفي هذا الحديث التصريح بأن عميراً إنما قاتل رجاء دخوله الجنة وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهلها .

٣٩٠– وخرج الحاكم عن أنس أن رجلاً أسود أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني رجل أسود اللون منتن الريح لا مال لي ، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ قال : (في الجنة) فقاتل حتى قتل فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (قد بيض الله وجهك ، وطيب ريحك ، وأكثر مالك) الحديث . ويأتي بتمامه إن شاء الله تعالى . وفي الأصل هنا أحاديث أخر اختصرناها .

ويلتحق بهذه الرتبة الثالثة : من يفر من أصحاب النية الثانية حيث يجوز الفرار فيقتل مدبراً وهو مول .

وتشابهها أيضاً في الرتبة : من قتل من أصحاب النيتين الأوليين في حال توليه متحيزاً لا فاراً ، ويحتمل أن يكون هذا القتيل في تحيزه أفضل من قتيل المرتبة الثالثة في حال إقباله .

ومنهم من إذا دهمه القتال يقاتل مقبلا غير مدبر ليس له نية البتة غير الدفع عن نفسه ، وهذا قريب من أصحاب النية الثالثة وليس مثلهم ، وهو شهيد لأن من دفع عن نفسه قطاع الطريق فقتلوه كان من الشهداء ، فكيف لا يكون شهيداً من قتل بسيوف الأعداء بل هو شهيد في الفضل والحكم ، والمقاتل من هؤلاء – مع علمه أنه يَسلم إذا استسلم – أفضل من المقاتل الذي يعلم أنه إذا استسلم قتلوه ، والله أعلم .

وأما من فر حيث يحرم الفرار فقتل مدبراً فهذا وإن جرت عليه أحكام الشهداء في هذه الدار فإنه ليس بشهيد .

٣٩١- لما رواه مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قام فيهم فذكر : (أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال) فقام رجل فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم ، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كيف قلت ؟) قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم ، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك) . فدل هذا الحديث على أنه من قتل مدبرا حيث لا يجوز له الفرار أنه ليس بشهيد ، بل قد باء بغضب من الله وسخطه لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ فأين هذا من الفوز برتبة الشهداء ، وقد ذكر النووي في شرح مسلم : أن الشهداء ثلاثة أقسام : شهيد في الدنيا والآخرة ، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا وهو : المطعون والمبطون والغريق وأشباههم ، وشهيد في الدنيا دون الآخرة وهو : من غل في الغنيمة أو قتل مدبراً .

ومنهم من يخرج إلى الجهاد مكثراً سواد المجاهدين ليس له نية أن يقتل ولا يقتل وهذا إذا قتل قُتل شهيدا لأن من كثر سواد قوم فهو منهم .

٣٩٢- وقد روى البزار والبيهقي في الشعب وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الشهداء ثلاثة : رجل خرج بنفسه وماله في سبيل الله لا يريد أن يقاتل ولا يقتل يكثر سواد المسلمين فإن مات أو قتل غفرت ذنوبه كلها وأجير من عذاب القبر ويؤمن من الفزع ويزوج من الحور العين وحلت عليه حلة الكرامة ويوضع على رأسه تاج الوقار والخلد) الحديثَ ويأتي بتمامه في الشهداء إن شاء الله تعالى .

ومنهم من يجاهد ونيته وجه الله تعالى ونيل الغنيمة جميعاً ، ولو انفرد قصد الجهاد عنده لكان كفيلا بإنهاض العزم على الجهاد بحيث لو دعي إلى غزو طائفة فقراء ليس لهم ما يغنم لما أقعده عدم وجود ما يغنم عن الجهاد في سبيل الله تعالى بل كان يجاهد ، ولو دعي إلى غزو طائفتين أحدهما فقيرة جداً والأخرى غنية لرغب في جهاد الأغنياء رجاء الغنيمة فهذه النية مما اختلف فيها وفي أشباهها أئمة السلف ، فذهب بعضهم إلى أن هذه النية فاسدة وأن صاحبها يعاقب عليها لإدخاله قصد الدنيا في عمل الآخرة ، وذهب آخرون إلى أن هذه النية صحيحة وهذا هو المذهب الصحيح وإليه ذهب حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله وقد ذكرت كلامه في الأصل وكذلك صرح القرطبي بصحتها فإنه قال في التفسير : دل خروج النبي صلى الله عليه وسلم لتلقي العير - يعني عير أبي سفيان - لما قدم من الشام على جواز النفر للغنيمة لأنها كسب حلال وهو يرد ما كره مالك من ذلك إذ قال : ذلك قتال على الدنيا ، وما جاء : أن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله دون من يقاتل للغنيمة يراد به إذا كان قصده وحده وليس للدين فيه حظ . انتهى . قال المؤلف عفا الله عنه : ومن أعظم الأدلة أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرسل السرايا ليغيروا على نعم المشركين وذراريهم ، فإذا ظفروا بشيء منها ذهبوا به ولم يقاتلوهم ، وإن لحقهم الكفار قاتلوهم دفاعاً عما في أيديهم ، فإن انهزم المشركون لم يتبعوهم بل يذهبون بما معهم ويدعوهم .

٣٩٣- وقال أبو داوود في سننه : بابٌ فيمن يغزو ويلتمس الدنيا ، ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله ، رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا أجر له) فأعظم ذلك الناس وقالوا : عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلك لم تفهمه ، فقال : يا رسول الله ، رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا أجر له) فقالوا للرجل : عد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الثالثة : فقال : (لا أجر له) .

وهذا الحديث رواه ابن حبان أيضاً في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد . قال المؤلف عفا الله عنه : وهذا الحديث محمول على من غزا يلتمس الغنيمة من غير قصد قربة ، وعليه يدل تبويب أبي داود فإنه قال بعد هذا الباب : بابٌ فيمن يغزو ويلتمس الأجر والغنيمة ثم روى :

٣٩٤- عن عبد الله بن حوالة قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغنم على أقدامنا فرجعنا ولم نغنم شيئاً وعرف الجهد في وجوهنا ، فقام فينا فقال : (اللهم لا تكلهم إلي فأضعف ، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم) الحديثَ . وموضع الاستدلال منه : قوله : بعثنا لنغنم .

وقد تعرض البيهقي في سننه لما ذكرت فإنه ذكر حديث أبي هريرة المتقدم ثم قال : فهذا لعله فيمن لا ينوي لغزوه سوى الدنيا ، فأما من يبتغي الآخرة ويلمح الغنيمة فحدثنا فلان عن فلان ثم روى حديث عبد الله بن حوالة المذكور .

٣٩٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أظلتكم فتن كقطع الليل المظلم أنجى الناس منها صاحب شاهقة يأكل من رسل غنمه ورجل من وراء الدروب آخذ بعنان فرسه يأكل من فيء سيفه) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٣٩٦- وعن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله جعل رزق هذه الأمة في سنابك خيلها وأزجة رماحها ما لم يزرعوا ، فإذا زرعوا صاروا من الناس) . خرجه ابن أبي شيبة وهو مرسل وإسناده جيد .

٣٩٧- وخرج البيهقي في الشعب بإسناد حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بخباء أعرابي وهو في أصحابه يريد الغزو فرفع الأعرابي ناحية من الخباء فقال : من القوم ؟ فقيل : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يريدون الغزو ، فقال : هل من عرض الدنيا يصيبون ؟ قيل له : نعم ، يصيبون الغنائم ثم تقسم بين المسلمين ، ثم عمد إلى بكر له فاعتقله وسار معهم ، فجعل يدنو ببكره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل أصحابه يذودون بكره عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دعوا لي النجدي ، فو الذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة) قال : فلقوا العدو فاستشهد فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه فقعد عند رأسه مستبشراً وقام مسرورا يضحك ثم أعرض عنه ، فقلنا : يا رسول الله رأيناك مستبشراً تضحك ثم أعرضت عنه ، فقال : (أما ما رأيتم استبشاري أو قال سروري فلِمَا رأيت من كرامة روحه على الله عز وجل ، وأما إعراضي عنه فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه) . وهذا الحديث بمفرده دليل واضح على ما ذكرناه ، فإن في الحديث التصريح بقصده الغنيمة ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بكرامة روحه على الله تعالى وأنه من ملوك الجنة وحسبك بهذا شرفاً وفضلاً .

والأدلة على ما تقدم كثيرة وقد ذكرت في الأصل أدلة أخرى على ذلك ، غير أن من كان قصده مشوباً بإرادة الغنيمة والميل إليها لا يساوي من ليس له التفات البتة ، إذ نيل الغنيمة في الجملة منقص لأجر الغزاة وإن لم ينووها

٣٩٨- لقوله صلى الله عليه وسلم : (ما من غازية أو سريه تغزو في سبيل الله فيصيبوا الغنيمة إلا تعجَّلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ، ويبقى لهم الثلث ، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم) . رواه مسلم . ولأجل ما في نيل الغنيمة من شائبة نقص الأجر كان جماعة من السلف يتعففون عن أخذ شيء من المغنم ، والله أعلم .

واعلم أن المعرض عن نصيبه من المغنم لا يخلو : إما أن يتركه زهداً ، وإما أن يتركه قطعاً لمادة استشراف النفس .

فإن تركه زهداً في الدنيا ورغبة في نيل أجره من الله تعالى كاملاً من غير نقص فهذا لا نظر في أفضليته وقد يكون أخذه والإيثار به في بعض المواطن ولبعض الناس أفضل وأسلم من تركه زهدا فيه ، ولصحه القصد والترك في الأخذ موازين معروفه لا نطول بتفاصيلها لاختلافها بحسب الأشخاص وتعذر نظمها في أسلوب .

وإن تركه قطعاً لمادة استشراف النفس إلى نيل الغنيمة فحسن ، لأنها إذا استشرفت إلى نيل الغنيمة وتوقعت وجودها كان ذلك نقصاً في إخلاصها وإن حكمنا بصحة القصد معها كما تقدم .

وإن لم تستشرف ولكن تحققت أنها إذا حصلت غنيمة لا تمتنع منها ، ربما خفيت دسيسة استشرافها وبطنت بحيث لا يدركها صاحبها ، فإذا أيست من نيل الغنيمة قطعاً كان وجود الغنيمة وعدمها سواء وأمنت دسيستها في ذلك فسلم الإخلاص ، ولكن قد تخفى دسيسة الرياء في الترك أيضاً ، فينبغي التفطن لمثل ذلك والاحتراز من الدسائس فإن ذلك مما يتعين الاهتمام به والتفتيش عليه ، والله الموفق .

ومنهم من يجاهد لما يرجوه من الغنيمة من غير التفات إلى قصد نوع من العبادة ، بحيث لو عرض عليها غزو طائفة من الكفار ليس لهم ما يغنم أو علم أنه يمنع من الغنيمة لم يغز ، وهذا إذا قتل ليس بشهيد في الأجر وإن كان شهيداً في الحكم وليس له أجر البتة لقول النبي صلي الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة المتقدم لما سئل عن من يريد الجهاد وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا ؟ فقال : (لا أجر له) .

٣٩٩- وعن يعلى بن منبه رضي الله عنه قال : أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغزو وأنا شيخ كبير ليس لي خادم ، فالتمست أجيراً يكفيني وأجري له سهمه ، فوجدت رجلاً ، فلما دنا الرحيل أتاني فقال : ما أدري ما السهمان ، وما يبلغ سهمي ؟ فسمِّ لي شيئاً كان السهم أو لم يكن ، فسميت له ثلاثة دنانير ، فلما حضرت غنيمة أردت أن أجري له سهمه فذكرت الدنانير فجئت النبي صلي الله عليه وسلم فذكرت له أمره ، فقال : (ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمى) . رواه أبو داود والبيهقي والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

ثم هل يعاقب صاحب هذه النية عليها في الآخرة ؟ فيه خلاف : والظاهر أنه لا يعاقب لقول النبي صلي الله عليه وسلم : (لا أجر له) ولم يذكر عقاباً ، والله أعلم .

فإن كان له قصد في العبادة أيضاً بحيث لو حصل له نظير ما يتوقعه من الغنيمة جعلاً في قتال من يباح قتالهم من غير الكفار لما قاتل لقصد الدنيا فذهب ذاهبون في أشباه هذه المسألة إلى الإحباط كما في التي قبلها ، واختار الغزالي وجماعته أنه إن كان باعث الآخرة أقوى من باعث الدنيا أثيب بالقدر الزائد وإن كان باعث الدنيا أقوى أو استوى الباعثان حبط العمل كأن لم يكن وفي كلام القرطبي المتقدم ما يدل على أنه إذا كان له قصد ما في العبادة أن النية صحيحة ، وما اختاره الغزالي هو التحقيق ، والله أعلم .

فصل

وإن غزا رياء وسمعة وافتخاراً ليقال هو غازٍ أو شجاع أو نحو ذلك ولم يخطر بباله قصد التقرب إلى الله البتة بحيث لو خلا عن اطلاع من يتوقع منه الثناء والمدح أو قرب منزلة لما حمله قصد القربة على الجهاد ، فإن هذا إذا قتل ليس بشهيد عند الله تعالى بلا خلاف ، بل هو خليق في صفقته بالخسران ، وجدير في آخرته بالمذلة والهوان ، وهو أحد الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة قبل الخلائق :

٤٠٠- لقوله صلى الله عليه وسلم : (إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة : رجل استُشهِد فأتي به فعرّفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استُشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت ليقال : هو جريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى يلقى في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرّفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن فيك ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرّفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت

من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكن فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار) . رواه مسلم ورواه الترمذي أطول منه وقال فيه : (ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى له : في ماذا قتلت ؟ فيقول : أي ربي ، أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة له : كذبت بل أردت أن يقال : فلان جرئ فقد قيل ذلك) ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال : يا أبا هريرة : (أولئك الثلاثة : أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة) . الحديث وقد ذكرته بتمامه في الأصل . ومعنى قوله : جريء بفتح الجيم وكسر الراء وبالمد : أي شجاع مقدام .

فإن غزا ونيته الأجر وأن يذكر أيضاً بالغزو والشجاعة والإقدام ونحو ذلك وكان بحيث لو وجد قتالاً بين من لا يعرفه ولا يتوقع منه مدحاً ولا منزلة أو كان في ليل مظلم لا يرى فعله فيه لم يقاتل ، ولو وجد قطاع طريق ونحوهم غير كفار لم تحمله رؤية الناس على قتالهم طلباً للمحمدة وحدها فهذا أيضا إذا قتل ليس بشهيد في الأجر .

٤٠١- لما رواه أبو داود والنسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا شيء له) فأعادها ثلاث مرات ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا شيء له) ثم قال : (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه) . وأتى رجل أبا الدرداء رضي الله عنه فقال : الرجل يحب أن يحمد ويؤجر ، فقال : لا أجر له ولو ضرب بسيفه حتى ينقطع . أخرجه سعيد بن منصور في سننه وهو موقوف .

واختلف العلماء هل يعاقب على هذه النية المشتركة أم لا ؟ فذهب بعضهم إلى أنه يعاقب لإرادته بعبادة الله غيره وذهب آخرون إلى أنه لا يثاب ولا يعاقب ويكفيه من العقوبة إحباط أجره في بذل نفسه التي هي أنفس الأشياء لديه وأعزها عليه وهو الأظهر لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا شيء له ولم يذكر عقاباً) .

٤٠٢- ولقوله صلى الله عليه وسلم : (قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه ، وهو للذي أشرك) . ورواه ابن ماجه بإسناد صحيح وابن خزيمة في صحيحه . وكذلك :

٤٠٣- قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لاريب فيه نادى مناد : من كان أشرك في عمله أحداً فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك) . رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان .

قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذا القدر كفاية لمن وفقه الله تعالى ، وقد بسطت القول في الأصل في النيات في الجهاد وأنواعها وما يطرأ عليها من المفسدات ، فمن أراد ذلك فليطلبه ، فإن فيه شفاء إن شاء الله تعالى .

حكاية :

خرج ابن عساكر بإسناده إلى عبد الله بن سنان قال : كنت مع ابن المبارك والمعتمر بن سليمان بطرسوس فصاح الناس : النفير النفير ، قال : فخرج ابن المبارك والمعتمر وخرج الناس ، فلما اصطف المسلمون والعدو ، خرج رجل من الروم يطلب البراز فخرج إليه مسلم فشد العلج على المسلم فقتل المسلم ، حتى قتل ستة من المسلمين مبارزة ، فجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة لا يخرج إليه أحد قال : فالتفت إلي ابنُ المبارك فقال : يا أبا عبد الله إن حدث بي حادث الموت فافعل كذا ، قال : وحرك دابته وخرج إلى العلج ، فعالج معه ساعة ، فقتل العلج ثم طلب المبارزة ، فخرج إليه علج آخر فقتله ، حتى قتل ستة من العلوج مبارزة ، ثم طلب البراز فكأنهم كاعوا عنه ، فضرب دابته ونظر بين الصفين وغاب فلم أشعر بشيء فإذا أنا بابن المبارك في الموضع الذي كان ، فقال لي : يا عبد الله لئن حدثت بهذا أحدا وأنا حي – فذكر كلمة – ثم قال : فما حدثت به أحدا وهو حي .

وخرج أيضاً عن الأصمعي قال : حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً فأصابهم فيه جهد عظيم ، فندب الناس إلى نقب فيه فما دخله أحد ، فجاء رجل من الجند فدخله ، ففتح الله عليهم ، فنادى منادي مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فما جاء أحد حتى نادى مرتين وثلاثاً وأربعاً ، فجاء في الرابعة رجل فقال : أنا أيها الأمير صاحب النقب ، آخذ عهوداً ومواثيقاً لا تسود اسمي في صحيفة ، ولا تأمروا لي بشيء ، ولا تشغلوني عن أمري . قال : فقال له : مسلمة : قد فعلنا ذلك بك ، قال : فغاب بعد ذلك فلم يُر ، فكان مسلمة بعد ذلك يقول في دبر صلاته : اللهم اجعلني مع صاحب النقب . وحكايات السلف في إخفاء طاعتهم طلباً لسلامة الإخلاص كثيرة ، والله الموفق .

الباب الرابع والعشرون

في بيان أن من خرج غازياً في سبيل الله فمات من غير قتال فهو شهيد وله الجنة وفضل من صدع رأسه في سبيل الله أو مرض

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ .

٤٠٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم لا يفتر صلاة ولا صياماً حتى يرجعه الله إلى أهله بما يرجعه إليهم من أجر أو غنيمة أو يتوفاه فيدخله الجنة) . رواه ابن حبان وهو في الصحيحين بنحوه .

٤٠٥- وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما تعدون الشهادة فيكم ؟) قالوا : يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال : (إن شهداء أمتي إذاً لقليل) قالوا : فمن هم يا رسول الله ؟ قال : (من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات بالطاعون فهو شهيد ، ومن مات بالبطن فهو شهيد) . رواه مسلم .

٤٠٦- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من فصَل في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد أو وقصه فرس أو بعير أو لدغته هامة أو مات على فراشه وبأي حتف شاء الله مات فإنه شهيد وله الجنة) . رواه مسلم و أبو داود والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . قوله فصل بالصاد محركا : أي خرج . وقوله وقصه : أي رماه فمات . والهامة بتشديد الميم كل ذي سم يقتل فأما ما يسم ولا يقتل فهو سام كالعقرب والزنبور ونحوها .

٤٠٧- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قتل في سبيل الله أو مات فهو في الجنة) . رواه ابن أبي شيبه بإسناد رجاله ثقات والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٤٠٨- وعن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الشيطان لعنه الله قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : تسلم وتدع دينك ودين آبائك ؟ ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : تهاجر وتدع مولدك فيكون كالفرس في طوله ؟ ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد فتقتل فتتزوج امرأتك ويقسم ميراثك ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فمن فعل ذلك ضمن الله له الجنة إن قتل أو مات غرقاً أو حرقاً أو أكله السبع) . رواه أحمد وابن أبي شيبة وهذا لفظه والنسائي وابن حبان .

٤٠٩- وعن محمد بن عبد الله بن عتيك عن أبيه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من خرج مجاهداً في سبيل الله - ثم جمع أصابعه الثلاث - ثم قال : وأين المجاهدون في سبيل الله ؟ من خرج في سبيل الله فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله أو لسعته دابة فمات فقد وقع أجره على الله) قال : (وإن مات حتف أنفه - يعني على فراشه - فقد وقع أجره على الله ، ومن قتل قعصا فقد استوجب الجنة) . رواه أحمد وبن أبي شيبة والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٤١٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من خرج حاجاً فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة ، ومن خرج معتمراً ومات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ، ومن خرج غازياً فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة) . رواه أبو يعلى من طريق ابن إسحاق وبقية رجاله ثقات .

٤١١- وذكر في شفاء الصدور عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن أعد فرساً في سبيل الله فمات على فراشه فهو شهيد ، ومن أراد أن يعد سلاحاً في سبيل الله أو فرساً فمات قبل أن يعد فهو شهيد ، وإن لم يكن عنده ما يعد فمات وذلك نيته فهو شهيد) .

وعن عبد الرحمن بن جحدب الخولاني : أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي فجلس فضالة رضي الله عنه عند قبر المتوفى فقيل له : تركت الشهيد فلم تجلس عنده ؟ فقال : ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت إن الله عز وجل يقول : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ الَهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ فما تبتغي أيها العبد إذا دخلت مدخلاً ترضاه ورزقت رزقاً حسناً ؟ والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت). رواه ابن المبارك من طريق ابن لهيعة .

وعن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له : حممة جاء إلى أصبهان في خلافه عمر رضي الله عنه فقال : اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاك فإن كان حممة صادقاً فيما يقول فاعزم له عليه بصِدقه وإن كان كاذباً فاعزم له عليه بكذبه وإن كره اللهم لا ترد حممة من سفرته هذه ، فأخذته بطنه فمات بأصبهان . فقام أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقال : يأيها الناس إنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا فيما بلغ علمنا إلا أن حممة مات شهيداً . رواه أبو منده وأبو نعيم والبيهقي وغيرهم .

قال المؤلف عفا الله عنه : ذهب بعض العلماء إلى أن المقتول في سبيل الله والميت سواء لإطلاق الأحاديث المتقدمة ولحديث أم حرام وقول النبي صلى الله عليه وسلم لها : (فأنت من الأولين) مع أنها صرعت عن دابتها ولم تقتل كما تقدم ذلك في باب غزو البحر وذهب آخرون إلى أنهما سواء من حيث أن كلا منهما شهيد ، ولكن للشهيد المقتول زيادة فضل على الشهيد الميت وهذا القول أرجح لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل أي الجهاد أفضل قال : (أن يعقر جوادك ويهراق دمك) وأيضاً فإن الميت في سبيل الله يسمى ميتاً والمقتول لا يسمى ميتاً وللمقتول ثواب جرحه الذي يأتي يفجر دماً يوم القيامة لونه الدم وريحه المسك والميت ليس له جراح ، والمقتول في سبيل الله يتمنى الرجعة إلى الدنيا ليقتل ولا يتمناها الميت ، والمقتول يكفر عنه جميع ذنوبه ولم يرد ذلك في الميت ، والميت يصلى عليه دون المقتول لأن الصلاة على الميت شفاعة عند الله في غفران ذنوبه والمقتول قد غفرت ذنوبه فلا يصلى عليه ، والمقتول روحه في جوف طير أخضر في الجنة وليس الميت كذلك ، والمقتول لا يفتن في قبره وليس الميت كذلك ، والمقتول يشفع وليس الميت كذلك ، والمقتول يرى الحور العين قبل أن يجف دمه وليس الميت كذلك ، وإلى غير ذلك من الفضائل التي وردت في الشهيد المقتول في سبيل الله ولم يرد في الميت في سبيل الله ، والله أعلم .

فصل

٤١٢- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صدع رأسه في سبيل الله غفر له ما تقدم من ذنبه) . رواه بن أبي شيبه والطبراني وغيرهما وفي أسانيدهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم مختلف في توثيقه .

٤١٣- وخرج ابن عساكر بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مرض يوماً في سبيل الله أعطاه الله ثواب عبادة سنة) .

٤١٤- وذكر صاحب شفاء الصدور عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من مرض يوماً في سبيل الله كان أفضل من عتق ألف رقبة يعتقهم ويجهزهم في سبيل الله وينفق عليهم إلى يوم القيامة) .

الباب الخامس والعشرون

في الترغيب في سؤال الشهادة والحرص عليها وذكر بعض من تعرض لها فأناله الله إياها

قال الله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ افترض الله سبحانه وتعالى على عباده أن يسألوه في كل صلاة الهداية إلى صراط الذين أنعم عليهم وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ .

٤١٥- وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) . رواه مسلم .

٤١٦- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه) رواه مسلم والحاكم وقال : صحيح على شرطهما إلا أنه قال : (من سأل الله القتل في سبيل الله صادقاً ثم مات أعطاه الله أجر شهيد) .

٤١٧- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقاً ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد) رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان إلا أنه قال فيه : (ومن سأل الله الشهادة خالصاً أعطاه الله أجر شهيد وإن مات على فراشه) . قال المؤلف عفا الله : وقد كان أشرف الخلق وأعلاهم مكانة عند ذي الجلال يتمنى الشهادة ويودها لنفسه مع أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر :

٤١٨- ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ما كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) .

٤١٩- وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا ذكر أصحاب أحد والله لوددت أني غودرت مع أصحابي بنحص الجبل) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . قوله غودرت معهم : أي استشهدت قاله الهروي في الغريبين ، ونحص الجبل بضم النون وإسكان الحاء المهملة بعدها صاد مهملة : هو أصله .

٤٢٠- وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يسألها لأمته وكان يقول : (اللهم اجعل فِناء أمتي قتلا في سبيلك بالطعن والطاعون) رواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يتمنون الشهادة ويسألون الله فيها : فعن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : ألا تأتي ندعوا الله ، فخلَوا في ناحية فدعا سعد وقال : يا رب إذا لقينا العدو غداً فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده فأقاتله فيك ويقاتلني ، ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله ، فقام ابن جحش ثم قال : اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده ، شديداً بأسه أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً فقلت : يا عبد الله ، فيم جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول : فيك وفي رسولك ، فيقول : صدقت ، قال سعد : يا بني كانت دعوة عبد الله خيراً من دعوتي ، لقيته آخر النهار وإن أنفه وأذناه معلقتان في خيط . خرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ، وخرجه ابن المبارك عن سعيد بن المسيب مرسلاً باختصار .
٤٢١- وقد روى ابن إسحاق وغيره أن جيش مؤتة لما أرادوا الخروج ودع الناس أمراءهم وسلموا عليهم فبكى عبد الله بن رواحة ، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة فيكم ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تقذف الزبدا
أو طعنةً بيدَي حرَّانَ مجهزةً ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي ... أرشده الله من غاز وقد رشدا

ثم مضوا حتى لقوا جموع الروم وغيرهم بمؤتة ، وكانوا مائتي ألف والمسلمون ثلاثة آلاف ، فاستُشهد عبد الله بن رواحة أعطاه الله مناه وأناله من الشهادة ما تمناه على ما هو مذكور في باب المغازي من الأصل .
وخرج ابن عساكر بإسناده عن رجل من الأشعريين قال : وشهدت المعركة – يعني في غزوة مؤتة – فاقتتلنا قتالاً شديداً ولبس زيد درعاً له وركب فرساً وأخذ بيده الراية فقاتل ، ثم نزل عن الفرس ونزع الدرع وقال : من يأخذ هذا ؟ وقتل زيد ، وأخذه جعفر فلبس الدرع وركب الفرس وأخذ الراية فتقدم فقاتل ، قال : ونزل جعفر عن الفرس ونزع الدرع وقال : من يأخذ هذا ؟ فقتل ، فتقدم عبد الله بن رواحة فلبس الدرع وركب الفرس وأخذ الراية ثم صنع ما صنع صاحباه ثم نزل عن الفرس ونزع الدرع وقال : من يأخذ هذا ؟ الحديث ... .
وقال عمر رضي الله عنه : اللهم ارزقني شهادة في بلد رسولك . رواه البخاري معلقاً مجزوماً .
وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه : شهدت أنا وأخي هشام اليرموك فبات وبت ندعو الله تعالى أن يرزقنا الشهادة ، فلما أصبحنا رزقها وحرمتها ، وقيل : إن هشام بن العاص كان يحمل فيهم فيقتل النفر منهم حتى قتل ووطئته الخيل حتى جمع أخوه لحمه في نطع فواراه ، ولما بلغ عمر رضي الله عنه قال : رحمه الله ، فنعم العون كان للإسلام . ذكر ذلك الحافظ ابن الذهبي في سير النبلاء .
وخرج ابن المبارك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مررت يوم اليمامة بثابت بن قيس بن شماس وهو يتحنط فقلت : يا عم ألا ترى ما يلقى المسلمون وأنت هاهنا ؟ فتبسم ، ثم قال : الآن يا ابن أخي ، فلبس سلاحه وركب فرسه حتى أتى الصف فقال : أف لهؤلاء وما يصنعون ، وقال للعدو : أف لهؤلاء وما يعبدون ، خلوا عن سبيله – يعني فرسه – حتى أصلى بحرها ، فحمل فقاتل حتى قتل رضي الله عنه . الحنوط بفتح الحاء : هو ما يخلط من الطيب

للموتى خاصة وتحنط إذا تطيب به وإنما كانوا يفعلون ذلك – والله أعلم – لتوطين نفوسهم على الموت وتصميم العزم على نيل الشهادة .

وعن أيوب بن محمد قال : نبئت أن عبد الله بن سلام قال : إن أدركني – يعني القتال – وليس بي قوة فاحملوني على سرير حتى تضعوني بين الصفين . رواه ابن أبي شيبة .

وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عمر أن عمر رضي الله عنه قال يوم أحد لأخيه : خذ درعي يا أخي ، قال : إني أريد من الشهادة مثل الذي تريد ، فتركاها جميعاً .

قال المؤلف عفا الله عنه : وأخو عمر هو زيد بن الخطاب ، وكان أسن من عمر ، وسبقه إلى الإسلام وطلب الشهادة يوم أحد فلم تصبه ، وتأخر إلى يوم اليمامة وكانت معه راية المسلمين فلم يزل يتقدم بها ، فقاتل بسيفه حتى قتل ، وحزن عمر رضي الله عنه عليه حزناً شديداً وقال : ما هبت الصبا إلا وأنا أجد ريح زيد .

٤٢٢– وروى أبو المظفر ابن الجوزي في كتاب جوهرة الزمان بإسناده عن سعد قال : رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج إلى بدر يتوارى ، فقلت مالك يا أخي ؟ فقال : يا أخي ، إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرني فيردني ، وأنا أحب لقاء الله ، قال : فعُرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستصغره فقال : (ارجع) فبكى عمير فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعد : فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره فقتل يوم بدر وهو ابن ستة عشر سنة قتله عمرو بن عبد ود .

٤٢٣– وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله له : يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أي رب خير منزل ، فيقول : سل وتمنى ، فيقول : وما أسألك وأتمنى ، أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات ، لما يرى من فضل الشهادة) قال : (ويؤتى بالرجل من أهل النار ، فيقول الله له : يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أي رب شر منزل ، فيقول : فتفتدي منه بطلاع الأرض ذهباً ؟ فيقول : نعم ، فيقول : كذبت ، قد سألتك دون ذلك فلم تفعل) . رواه أبو عوانة في صحيحه والنسائي والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

قال المؤلف عفا الله عنه : فإذا كان أهل الجنة يتمنون الشهادة ويسألونها وقد حصلوا على ما حصلوا عليه من الفوز العظيم ووصلوا إلى ما وصلوا إليه من النعيم المقيم ، فكيف لا يسألها ويتمناها من هو الآن في دار المحن والغرور والأحزان والشرور ،لا يدري أإلى الجنة يصير أم إلى النار وبئس المصير ، وقد ثبت في غير ما حديث : أن الشهداء يتمنون الخروج من الجنة ومفارقة ما هم فيه من النعيم والرجوع إلى الدنيا ليقتلوا في سبيل الله لما وجدوا من لذة القتل في سبيل الله وفضل الشهادة عند الله .

وخرج ابن المبارك عن العلاء بن هلال أن رجلاً من قوم صلة قال لصلة رضي الله عنه : يا أبا الصهباء ، إني رأيت أني أعطيت شهادة وأعطيت أنت شهادتين ، فقال له صلة : خيرا رأيت ، تستشهد وأستشهد أنا وابني ، فلما كان يوم يزيد بن زياد ، لقيهم الترك بسجستان ، فكان أول جيش انهزم من المسلمين ذلك الجيش ، وقال صلة لابنه : يا بني ارجع إلى أمك ، فقال : يا أبت أتريد الخير لنفسك وتأمرني بالرجعة ، وأنت والله كنت خيراً لأمي مني ، قال : أما إذا قلت هذا فتقدم ، قال : فتقدم فقاتل حتى أصيب فرمى صلة عن جسده وكان رجلاً رامياً حتى تفرقوا عنه ، وأقبل يمشي حتى قام عليه فدعا له ، ثم قاتل حتى قتل .

وخرج أيضاً عن ثابت عن معاذة امرأة صلة : أنها لما جاء نعي زوجها وابنها قد قتلا جميعاً قدمه بين يديه ، قال لابنه : تقدم أحتسبك ، فقتل ، ثم قتل الأب ، فلما جاءها نعيها جاءها النساء فقالت : إن كنتن جئتن لتهنئننا بما أكرمنا الله به فذاك وإلا فارجعن .

وخرج أيضاً عن عبد الله بن قيس قال : لقد رأيتني خرجت في غزاة لنا فدعي الناس إلى مصافهم في يوم شديد الريح ، والناس يثورون إلى مصافهم ، فإذا رجل على فرس له ورأس فرسي عند عجز فرسه كأنه يقول : لا يشعرني ، وهو يقول : يا نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا ؟ فقلت لي : ولدك وأهلك فأطعتك ورجعت ، ألم أشهد مشهد كذا وكذا ؟ فقلت لي : عيالك وأهلك فأطعتك ورجعت ، أما والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك ، قال : قلت : لأرمقن هذا ، فرمقته ، فصف الناس ثم حملوا على عدوهم ، فكان في أوائلهم ، ثم إن العدو حمل وانكشف الناس فكان في حماتهم ، قال : والله ما زال ذلك دأبه حتى مررت به فعددت به وبدابته ستين طعنة أو قال : أكثر من ستين طعنة .

وروى أبو المظفر ابن الجوزي حكاية تشبه هذه عن شاب من النخع قال : بينا أنا في بعض الغزوات سمعت شاباً يخاطب نفسه وهو يقول : يا نفس في كل غزاه تقولين : فلانة وفلان أولادك مالك ضياعك ؟ فلانة طالق ، عبيدي أحرار ، أموالي في سبيل الله ، لأعرضنك اليوم على الله عرضة ، ثم حمل فقتل ، فعددت به بضعاً وثمانين جراحة ما بين طعنة وضربة .

عن ابن أبي عتبة الكندي قال : كنا نختلف إلى نوف البكالي إذ أتاه رجل وأنا عنده فقال : يا أبا يزيد رأيت لك رؤيا ، قال : اقصصها ، قال : رأيت أنك تسوق جيشاً ومعك رمح طويل في سنانه شمعة تضيء للناس ، فقال نوف : لئن صدقت رؤياك لأستشهدن ، فلم يكن إلا أن خرجت البعوث مع محمد بن مروان على الصائفة ، فلما حضر خروجه ذهبت أودعه ، فلما وضع رجله في الركاب ، قال : اللهم أرمل المرأة ، وأيتم الاولاد ، وأكرم نوفاً بالشهادة . قال : فغزونا ، فلما انصرفوا وكانوا بغباغب خرج العدو على السرج فكان أول من ركب ، فلما رآه شدّ عليهم فقتل رجلاً ، ثم رجلاً ، ثم قتل ، قال بعض من معه : فانتهينا إليه وقد اختلط دمه بدم فرسه قتيلين . خرجه ابن المبارك .

حكايات :

قال قاسم بن عثمان الخزاعي : رأيت في الطواف حول البيت رجلاً فتقربت منه فإذا هو لا يزيد عن قوله : اللهم إنك قضيت حاجة المحتاجين وحاجتي لم تقض ، فقلت له : مالك لا تزيد على هذا الكلام ؟ فقال : أحدثك : كنا سبعة رفقاء من بلدان شتى ، غزونا أرض العدو فاستؤسرنا كلنا ، فاعتزل بنا بعض الروم إلى موضع ليضرب أعناقنا فنظرت إلى السماء ، فإذا سبعة أبواب مفتحة فيها سبعة جوارٍ من الحور العين ، مع كل حوراء طست ومناديل ، فقدم رجل منا فضرب عنقه ، فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت إلى الأرض فمسحت دمه ، حتى ضربت أعناق ستة ، وبقيت أنا وبقي باب وجارية ، فلما قدمت ليضرب عنقي استوهبني بعض رجاله فوهبني له ، فسمعتها تقول : أي شيء فاتك يا محروم ؟ وأغلقت الباب ، وأنا يا أخي متحسر على ما فاتني . أخرجه البيهقي وغيره .

روى بكر بن مضر أن عبد الكريم بن الحارث حدثه عن رجل : أنهم كانوا مرابطين حصناً فخرج رجلان من الجيش ، فقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن تغتسل لعل الله يعرضنا للشهادة ؟ فقال صاحبه : ما أريد أن اغتسل ، فاغتسل هو ، فلما فرغ أقبل إلى الحصن ، فأصابته صخرة ، قال فمررت به وهم يجرونه إلى خيامهم ، فسألتهم : ما شانه ؟ فأخبروني الخبر ، فانصرفت إلى أصحابي ، ثم رجعت إليهم فأقمت عندهم وهم يشكون هل مات ؟ إذ عادت فيه الروح ، فبينما هم كذلك إذ ضحك ، فقلنا : إنه حي ، ثم مكث ملياً ثم ضحك ، ثم مكث ملياً ثم بكى ، وفتح

عينيه ، فقلنا : أبشر يا فلان فلا بأس عليك ، وقلنا : قد رأينا منك عجباً ، نحن نظن أنك قد مت إذ ضحكت ثم مكثت مليا ... إلى آخره ، قال : إنه لما أصابني ما أصابني أتاني رجل فأخذ بيدي ومضى بي إلى قصر من ياقوت فوقف بي على الباب فخرج إليّ غلمان مشمرون لم أر مثلهم فقالوا : مرحباً بسيدنا ، فقلت : من أنتم بارك الله فيكم ؟ فقالوا : نحن خلقنا لك ، ثم مضى بي حتى وقف بي على قصر آخر وخرج منه غلمان هم أفضل من الأولين فقالوا : مرحباً بسيدنا ، فقلت : من أنتم بارك الله فيكم ؟ فقالوا : نحن خلقنا لك ، ثم مضى بي إلى بيت لا أدري من ياقوت أم من زبرجد أو لؤلؤ فخرج إلي غلمان سوى الأولين فقالوا مثلما قال الأولون وقلت لهم مثل ذلك ، ووقف بي على باب البيت فإذا هو مبسوط وفيه فرش موضوعة بعضها فوق بعض ونمارق مبسوطة فأدخلني البيت وله بابان فألقيت نفسي بين وسادتين ، فقال : أقسمت عليك إلا ألقيت نفسك على هذه الفرش فإنك قد نصبت في يومك هذا ، فقمت فاضطجعت على تلك الفرش على وطاء لم أضع جنبي على مثله قط ، وبينما أنا كذلك إذ سمعت حساً من أحد البابين ، فإذا أنا بامرأة لم أر مثل ما عليها من الحلي والثياب ولا مثل جمالها فأقبلت لم تتخط في تلك النمارق ، ولكن أقبلت بين السماطين حتى وقفت وسلمت علي فرددت عليها السلام وقلت : من أنت بارك الله فيك ؟ قالت : أنا زوجتك من الحور العين ، فضحكت فرحاً بها فأقامت تحدثني وتذاكرني أمر نساء الدنيا كأن ذلك معها في كتاب ، فبينما أنا كذلك إذ سمعت حساً من الشق الآخر ، فإذا أنا بامرأة لم أر مثلها ولا مثل جمالها وحليها ، فأقبلت كنحو ما صنعت الأولى ووقفت علي وحادثتني وقصَرت الأخرى وفرّغتني لها فأهويت بيدي إلى إحداهما فقالت : كما أنت إن ذلك لم يأن إن ذلك مع صلاة الظهر ، قال : فما أدري أقالت ذلك أم رمي بي إلى صحراء لم أر منهم أحداً ؟ فبكيت عند ذلك ، قال الرجل : فما صليت الظهر أو عند الظهر حتى قبضه الله تعالى . ذكر هذه الحكاية الإمام فخر الدين ابن هبة الله في كتاب تأويل آي الجهاد بغير إسناد ورواها ابن عساكر مسندا .

وحكى أبو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الجوهري في كتابه ذخائر الواعظين وشعائر الذاكرين ، قال : قال عبد الواحد : خرجت في بعض مغازيّ فتفردت يوماً عن أصحابي ، فإذا بشاب يصلي ، وقد ركز عكازه وعلق عليه مصحفه ، ووقفت أنظر إليه ، وقلت في نفسي : أرجو أن أكون قد أصبت ولياً من أولياء الله عز وجل ، فلما قضى صلاته دنوت منه فسلمت عليه ، فقلت له : من أين يرحمك الله ، وأين تريد ؟ فقال الفتى : أنا من أهل دمشق ، قلت : فأين تريد قال : سألت ربي أن يزوجني حوراء فأنا أغزو مع القوم لعل الله يرزقني الشهادة ، فقلت له : ما اسمك ؟ قال أحمد وأكنى أبا قتادة ، فسألته أن يسير مع جملي فقبل فعرضت عليه الركوب ، وقلت : معنا فضل لركوبك فلا تمش حافياً قال : لست أخطب الحوراء إلا حافياً ، فسرنا حتى بلغنا العدو فنزلنا ، ونادى مناد : يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري ، فقام الشاب وقال : عليك السلام ، فلعلنا أن لا نلتقي ثم حمل على المشركين ثم لم يزل يضرب بسيفه يمينه وشماله حتى رماه رجل من المشركين بسهم فخر منه ميتاً ، وازدحم الصفان وارتفع الغبار بين الناس ، فلما انكشفت الحرب قلت لأصحابي : اطلبوا الشاب ، فذهبوا في طلبه فأصابوه بين القتلى وفيه رمق ، فحملوه إليّ فوضعت رأسه في حجري ومسحت التراب عن وجهه ، وقلت : يا حبيبي ، تكلم إن كان لك كلام ، فرفع بصره إليّ وقال : احمل جبتي هذه وعكازي ومصحفي واسأل عن داري فإنك ترشد إليها ، فإذا رأيت جارية خماسية فأقرئها سلامي فإنها بنيتي وليس لي سواها ، ثم فارق الدنيا ، فلما انصرفنا من الغزاة عبرنا على دمشق ، فسألت عن منزله فخرجت امرأته والصبية معها وهي تقول : أريد أبي ، فبكينا وعَلَا منا البكاء وارتفع النحيب ، فقالت : يا هؤلاء ، إن كان خيرا فأخبرونا ، فقلت : أعظم الله أجركم في أبي قتادة ، فصرخت المرأة ثم قالت : رحمك الله يا أبا قتادة ، فنعم الصاحب كنت ، ثم دفعنا إليها الجبة وعليها أثر دمه ، فجعلت الصبية تقول : يا أماه هذا دم أبي وتبكي وتصيح ، ثم

شهقت شهقة خرجت فيها روحها . وقد ذكرت في الأصل ههنا حكاية أبي قتادة الشامي واختصرتها لطولها ، والله أعلم .

الباب السادس والعشرون

في فضل الشهيد المقتول في سبيل الله

اعلم أن الشهادة رتبة عظيمة ومنزلة جسيمة لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، ولا ينالها إلا من سبق له القدر بالفوز المقيم ، وهي الرتبة الثالثة من مقام النبوة كما قال تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ قال الجوهري وغيره : لأنه مشهود له بالجنة ، وقيل غير ذلك ، وقد ذكرنا في الأصل جملة من الأقوال ، وقد من الله سبحانه على الشهداء بفضائل لا تحصى ، وها أنا أذكر من ذلك ما تيسر مما وصل إليه علمي القليل وفهمي الكليل : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ فمنها : أنهم أحياء عند ربهم يرزقون قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

٤٢٤- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دماً فازدحموا على باب الجنة فقيل : من هؤلاء ؟ قيل : الشهداء كانوا أحياءً مرزوقين) خرجه الطبراني في حديث بإسناد حسن .

٤٢٥- عن عبيد بن عمير قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وهو منجعف على وجهه يوم أحد شهيداً وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد عليكم أنكم شهداء عند الله يوم القيامة ثم أقبل على الناس وقال : (يأيها الناس ائتوهم وزوروهم وسلموا عليهم ، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام) . رواه ابن المبارك عن وهب بن فضل عن عبيد مرسلا .

٤٢٦- وذكر صاحب شفاء الصدور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ليس بين حياة الشهيد في الدنيا وحياته في الآخرة إلا كمضغ تمرة ، وبأول قطرة من دمه يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) .

٤٢٧- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : (يا جابر مالي أراك مهتماً ؟) قال : قلت : يا رسول الله ، أستُشهد أبي وترك عليه ديناً وعيالاً ، فقال : (ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً) ، قال علي ابن المديني : الكفاح المواجهة (فقال : سلني أعطك ، فقال : أسألك أن أُردَّ إلى الدنيا فأقتل ثانية ، فقال الرب عز وجل : إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال رب : فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾) حتى أنفذ الآية . خرجه ابن مردويه في تفسيره ورواه بنحوه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٤٢٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشهداء على بارق نهر باب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على

شرط مسلم . قال المؤلف عفا الله عنه : وقد اختلف العلماء في معنى حياة الشهداء : قال القرطبي : والذي عليه المعظم أن حياة الشهداء محققة وأنهم أحياء في الجنة يرزقون كما أخبر تعالى ، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المسلمين ، وفضلوا بالرزق في الجنة يرزقون من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم ، وقد ذكرنا في الأصل أقوالاً غير ذلك ، والله أعلم .

حكايات وآثار في معنى حياة الشهيد :

روى مالك رحمه الله عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة : أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حفر في السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلي السيل وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد فحفرا عنهما ليغيرا من مكانهما فوُجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين يوم أحد وبين يوم حُفر عنهما ست وأربعون سنة . وهذا الإسناد منقطع . وقد خرجه ابن المبارك وعبد الرازق في مصنفه بإسناد صحيح متصلاً عند جابر قال : لما أراد معاوية أن يجري الكظامة قال : من كان له قتيل فليأت قتيله – يعني قتلى أحد – فأخرجهم رطابا يتثنون ، قال : فأصابت المسحاةَ رِجْلُ رَجُلٍ منهم فانفطرت دماً . الكظامة بكسر الكاف وبالظاء المعجمة قال الجوهري : هي بئر إلى جانبها بئر وبينهما مجرى في بطن الوادي .

وخرج ابن عساكر عن عبد الصمد وهو ابن علي بن عبد الله بن عباس قال : أتيت قبر عمي حمزة وقد كاد السيل يكشفه ، فاستخرجته من قبره كهيئته ، وعليه النمرة التي كفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها والإذخر على قدميه ، فوضعت رأسه في حجري فكان كهيئة المرجل ، فأمرت بالقبر فأغمق ووضعت عليه أكفانا وأعيد إلى حفرته .

قال المؤلف عفا الله عنه : وقصة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه مشهورة رواها الحاكم وغيره : وهو أنه لما كان يوم اليمامة وانكشف المسلمون فقال ثابت بن قيس وسالم مولى أبي حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحفر كل واحد منهما لنفسه حفرة وثبتا فيها حتى قتلا ، وكان على ثابت يومئذ درع له نفيس ، فمر به رجل من المسلمين فأخذه ، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال : إني موصيك بوصية ، فإياك أن تقول هذه حلم فتضيعها ، إني لما قتلت أمس مَرّ بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ، ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله ، وقد كَفَأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل ، فائتِ خالد بن الوليد فأمره أن يبعث لي درعي فيأخذه ، فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له : علي من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقي عتيق وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه فلما استيقظ الرجل أتى خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فوجده كما ذكر ، فأخذه وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته قالوا : فلا نعلم أحدا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت .

وقصة بن أبي زيد المالكي شبيهة بهذه بل هي أغرب منها وهي : ما ذكرها الجزولي في شرح الرسالة في مناقب أبي محمد عبد الله بن أبي زيد قال : حدث عنه الثقات أنه خرج عام الخندق إلى الجهاد في زمن عبد الرحمن الناصر الأندلسي وكانوا أربعين ألف فارس وعشرين ألف راجل فانكسر المسلمون وتفرق الناجون منهم إلى غير جهة ، قال : فكنت أكمن نهاراً وأسير ليلاً ، فمشيت ذات ليلة فإذا بعسكر نازل وخيول مربوطة ونيران موقودة وقرآن يقرأ ، فقلت : الحمد لله هذا عسكر المسلمين فقصدتهم ، فاذا أنا بشاب وفرسه مربوطة وهو يقرأ سورة بني إسرائيل فسلمت عليه فرد علي السلام ، فقال لي : يا هذا أنت من الناجين ؟ قلت : نعم ، قال : اجلس تستريح ، وأعطاني عنقود عنب في غير أوانه ورغيفين خبز من خبزه وكوز ماء ما أكلت ولا شربت ألذ منهما ، قال لي : فلعلك تريد النوم ؟ فقلت : نعم ، فرقدني على فخذيه فغلبني النوم حتى ضربتني الشمس فلم أجد في الوادي أحدا ، وإذا برأسي على عظم ابن آدم ! فعلمت

أنهم الشهداء فكمنت في ذلك اليوم فلما جن الليل ، وإذا أنا بعساكر تجوز عليّ وتسلم علي ، وهم يذكرون الله ، وإذا في آخر القوم رجل تحته فرس أعرج فأدركني فسلم علي ، فقلت : يا أخي من هؤلاء ؟ قال : هم الشهداء ، مضوا إلى زيارة أهليهم ، فقلت : ما بال فرسك تعرج ؟ فقال لي : بقي علي من ثمنه ديناران ، فقلت : والله لئن رجعت إلى بلاد الإسلام لأقضينها عنك ، فانطلق الفرس حتى لحق بالقوم ، ثم رجع إلي حتى أردفني ، فلما صرخ الديك ، وصلنا إلى مدينة سالم وبيننا وبين الموضع الذي حملني منه مسيرة عشرة أيام ، فقال : ادخل هذه المدينة ، فإني كنت بها فاسأل عن دار محمد بن يحيى الغافقي وادع زوجتي واسمها فاطمة بنت سالم وسلم عليها وقل لها : في الطاقة جرة فيها خمسمائة دينار رُدِّي منها دينارين بقيت من ثمن الفرس لفلان ابن فلان ، ففعلتُ ما أمرني به ، فاستخرجت المرأة الجرة فأعطتني طعاماً وعشرة دنانير وقالت : استعن بهذا على سفرك .

قال الإمام العارف عبد الله اليافعي رحمه الله في كتابه روض الرياحين عن محمود الوراق قال : كان رجل أسود يعمل في المباح وكنا نقول له : ألا تتزوج يا مبارك ؟ فيقول : اسأل الله أن يزوجني من الحور العين ، قال : فغزونا بعض المغازي ، فخرج العدو علينا فقتل مبارك ، فمررنا به ورأسه في ناحية وبدنه في ناحية ، وهو منكب على بطنه ، ويداه تحت صدره ، ووقفنا عليه وقلنا : يا مبارك كم زوّجك الله من الحور العين ؟ فأخرج يده من تحت صدره وأشار إلينا بثلاث أصابع يقول : ثلاثاً .

وقال الزندويشتي في كتابه روضة العلماء : حدثنا الإمام بإسناد له عن إبراهيم بن سليمان قال : قال أبو زهدم : كان قوم يغزون الروم فيمرون بأهل الكوفة يغزون معهم ، فجاءوا مرة فنزلوا منزلهم الذي كانوا ينزلون ، وبعثوا إلى رجل فجاءهم فقالوا : الجهاد ، فقال : أغزو على اسم الله ، ليس معي ما أغزو ، فقالوا : عندنا قليل نفقة وراحلة ، قال : فخرج معهم حتى أتوا الدرب فوجدوهم قد أدربوا ، فأجمعوا رأيهم على أن يقيموا في بعض السواحل ، قال : فجعلوا الكوفي راعي الدواب ، فلما كان يوم الرحيل خرج الكوفي بالدواب حتى أتى مرجاً فترك الدواب ترعى ، فلما وضعت رؤوسها ترعى وضع الرجل رأسه لينام ، فأتاه آت فقال : أجب صاحب القصر ، فإذا هو بقصر فقام فانطلقا حتى إذا دنيا من القصر فإذا هو بجوارٍ يمدحن ويقلن : مرحباً ، قد جاء ، قد جاء . فصار في القصر فإذا هو بسرير عليه جارية عليها من الحلي والحلل والحسن ما يعجز النظر وهي تقول : مرحبا يا ولي الله ، فأخذت بيده وأجلسته إلى جنبها وجعلت تكلمه ، وترحبه حتى طمع فيها الفتى فأراد أن يعانقها ، فقالت : إنما أحل لك بالعشاء فقال : أطعميني شيئاً فأتت بقدح من لبن فقالت : اشرب من هذا ، فشرب فقام من عندها ، فخرج وهو محزون ، فلما خرج من القصر التفت ، فلم ير من القصر شيئاً فقال : قد خولطت في عقلي ، فلم يزل مغتماً حتى رجع بالدواب إلى أصحابه ، فرأوا فيه تغيراً ، فلم يزالوا يسألونه ما لنا نراك متغيراً حتى أفشى لهم الأمر ، فقال بعضهم لبعض : قد خولط في عقله ، وحزنوا لذلك ، فقال : هل تعلمون بحضرتنا لبناً ؟ قالوا : لا ، قال : فإنها قد سقتني قدحاً من لبن ، فاستقاء حتى نظروا إلى اللبن ، فلما صلوا العتمة وأخذ كل واحد منهم مصلاه وكان الفتى يصلي في المسجد بإزاء البحر ، فجاءت سفينة فيها العدو فدخلوا المسجد وهو يصلي فقتلوه ، فلما أصبح الناس إذا هو مقتول ، فصلوا عليه وواروه ، فرجعوا إلى الكوفة فعزوا أباه وذكروا ما كان من أمره ، قال : فبينما والده في برية يرعى غنماً إذا هو بفارس قد أقبل نحوه على أفره دابة تكون ، وعليه أحسن الثياب حتى دنا منه وسلم عليه ، فإذا هو ابنه ، قال : يا بني ألست قد قتلت وكان من أمرك كيت وكيت ؟ قال : نعم يا أبت ، ولكن نودي في الشهداء أن قوموا فصلوا على هذا العبد الصالح ، قال : من هو ؟ قال : عمر بن عبد العزيز ، قال : فنظروا فإذا هو قد مات في ذلك اليوم .

وخرج ابن عساكر حكاية تشبه هذه ذكرناها في الأصل مع غيرها .

وأعجب من هذه الحكاية ما رواه صاحب كتاب المعصومين قال : حدثني علي اليزيدي بطرسوس قال : حدثني أبي وكان أول من سكن طرسوس حين بنائها قال : كان يغازينا من الشام ثلاثة أخوة فرسان شجعان ، وكانوا لا يخالطون أهل العسكر ، وكانوا يسيرون وحداناً وينزلون كذلك ، فإذا رأوا العدو لم يقاتلوا ما كفوا ، فغزوا مرة فلقيهم الطاغية في جمع كثير من البطارقة ، فقاتل المسلمون قتالاً شديداً ، فقال بعضهم لبعض : هل ترون ما نزل بالمسلمين وقد وجب علينا الآن بذل أنفسنا فتقدموا ، وقالوا لمن بقي من المسلمين : كونوا من ورائنا وخلوا بيننا وبين القتال نكفكم إن شاء الله فقاتلوا حتى هزموا الروم . فقال ملك الروم لمن كان معه من البطارقة : من جاءني برجل من هؤلاء قدمته ، فشدت الروم عليهم وأخذتهم أسارى لم يصب أحد منهم جرحاً ، فقال ملكهم : لا فتح ولا غنيمة أفضل من هؤلاء . فارتحل حتى أتى بهم القسطنطينية فعرض عليهم دين النصرانية فأبوا عليه ونادوا يا محمداه ! فقال الملك : ما يقولون ؟ قال : يدعون نبيهم ، فأقبل عليهم الملك وقال : إن أنتم أجبتموني وإلا غليت قدوراً حتى إذا غلت ألقيت كل واحد منكم في قدر قال : فأبوا عليه . فأمر بثلاث قدور فنصبت ثم صب فيها الزيت ثم أمر بالوقود فأوقد تحتها ثلاثة أيام ، كل ذلك يعرض عليهم في كل يوم ويوقفهم على القدور . قال : فأبوا أن يجيبوه وأقاموا على الإسلام ، قال : فنادى الأكبر في اليوم الثالث ودعاه إلى الرجوع عن دينه وقال : إني ملقيك في هذه القدر ، فأبى ، فألقاه في القدر ، فما هو إلا أن سقط فيها وارتفعت عظامه تلوح ، ثم فعل بالثاني مثل ذلك ، فلما رأى صبرهما على ما فعل بهما ندم وقال : فعلت هذا بقوم لم أر أشجع منهم ، وإنما أردت أن يكون في الروم منهما بقية ، فأمر بالصغير فأدني منه فجعل يفتنه عن دينه فقام إليه علج من علوجه فقال : يا أيها الملك ما تجعل لي إن أنا فتنته ؟ قال أُبَطْرِقُكَ ، قال : قد رضيت ، قال الملك : بماذا تفتنه ؟ قال : قد علم الملك أن العرب أسرع شيء إلى النساء ، وقد علمت الروم أن ليس فيهم امرأة أجمل من ابنتي فلانة ، فادفعه إليّ حتى أخليه معها فإنها ستفتنه ، فضرب الملك بينه وبين العلج أجلاً أربعين يوماً . قال : ودفعه إليه ، فجاء به فأدخله مع ابنته وأخبرها بالذي فارق عليه الملك وبالأجل الذي بينه وبينه ، قالت : دعه قد كفيت أمره ، فأقام معها قائماً ليله صائماً نهاره لا يفتر من العمل في ليله ولا في نهاره من دعاء وذكر حتى مضى أكثر الأجل ، فسأل الملك العلج ما حال الرجل ؟ فرجع إلى ابنته فقال : ما صنعت ؟ قالت : ما صنعت شيئاً ، هذا رجل فقد أخوته في هذه البلدة ، وأخاف أن يكون امتناعه من أجل إخوته كلما رأى آثارهما ، ولكن استزد الملك الأجل وابعثني وإياه إلى غير هذه البلدة الذي قتل فيه إخوته . فسأل العلج الملك فزاده في الأجل أياماً ، وأذن له في خروجها فأخرجها إلى منزل كان لأخوال الجارية ، ومكث على ذلك أياماً والفتى على حاله قائم ليله صائم نهاره لا يفتر ، حتى أتى من الأجل أياماً فقالت الجارية في ليلة من الليالي : يا هذا إني اراك تعبد رباً عظيماً وقد دخلت معك في دينك وتركت النصرانية ، فلم يثق بذلك منها حتى أعادت عليه فقال لها : كيف الحيلة في النجاة مما نحن فيه ؟ قالت : أنا احتال لك فجاءته بدواب فقالت : قم بنا نهرب إلى بلادك ، فركب فكانا يسيران الليل ويكمنان النهار ، فبينما هما يسيران ذات ليلة إذ سمعت وقع حوافر الخيل ، فقالت : أيها الرجل ادع ربك الذي صدقته أن يخلصنا من عدونا ، قال : فالتفتَ فإذا هو بإخوته ومعهما ملائكة ، فسلم عليهما وسألهما عن حالهما فقال : ما كانت إلا الغطسة التي رأيت ، حتى خرجنا إلى الفردوس ، إن الله تعالى أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الجارية ، فزوجوه ورجعوا ، وخرجنا إلى بلاد الشام فكانا مشهورين بذلك معروفين به ، وتقدمت في الباب الأول حكاية البطال ، والله الموفق لا رب سواه .

ومن فضائل الشهيد : أنه ليس أحد يدخل الجنة ويحب أن يخرج منها ولو أعطي ما في الأرض جميعاً إلا الشهيد ، فإنه يتمنى أن يرده الله إلى الدنيا ليقتل في سبيل الله كما قتل أولا لما يرى من عظيم كرامة الشهداء على الله تعالى :

٤٢٩- ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما أحد يدخل الجنة ويحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما في الأرض من شيء إلا الشهيد ، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) ، وفي رواية : (لما يرى من فضل الشهادة) .

٤٣٠- عن ابن أبي عميرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من نفس مسلمة يقبضها ربها تحب أن ترجع إليكم وأن لها الدنيا وما فيها غير الشهيد) . رواه أحمد بإسناد حسن والنسائي واللفظ له .

٤٣١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا جابر ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟) قلت : بلى ، قال : (ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً ، قال : يا عبد الله تمن علي أعطك ، قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال : إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يا رب فأبلغ من ورائي . فأنزل الله هذه الآية : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾) الآية كلها رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد.

٤٣٢- وخرج البيهقي في دلائل النبوة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا جابر ألا أبشرك ؟) قال : بلى ، بشرك الله بالخير ، قال : (شعرت أن الله أحيا أباك فقال : تمن علي عبدي ما شئتَ أعطيكه ، قال : يا رب ما عبدتك حق عبادتك ، أتمنى عليك أن أرجع إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى ، قال : إنه سلف مني أنه لا يرجع إليها) . ويأتي حديث عبد الله بن مسعود وغيره إن شاء الله .

ومنها : أن الشهادة في سبيل الله تكفر جميع ما على العبد من الذنوب التي بينه وبين الله تعالى :

٤٣٣- وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر : (أن الجهاد في سبيل الله تعالى والإيمان بالله أفضل الأعمال) فقام رجل فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم ، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر) ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كيف قلت ؟) قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم ، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك) . رواه مسلم وغيره . والمراد بالدين : ما كان من حقوق الآدميين في المال والعرض والبدن ، فإن هذه الحقوق لابد من استيفائها ، والله أعلم .

٤٣٤- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين) . رواه مسلم .

قال أبو الوليد ابن رشد في مقدماته : وقد قيل : إن ذلك كان في أول الإسلام لما روي أن الله يقضي عنه دينه . انتهى قال القرطبي في تفسيره : الدين الذي يحبس صاحبه عن الجنة – والله أعلم – هو الذي قد ترك له وفاء ولم يوص به أو قدر على الأداء ولم يؤده أو ادَّانه في سفه أو سرف ومات ولم يوفه ، وأما من ادَّان في حق واجب كفاقة وعسر ومات ولم يترك وفاء فإن الله لا يحبسه عن الجنة إن شاء الله تعالى شهيدا كان أو غيره ، لأن على السلطان فرضاً أن يؤدي عنه دينه إما من جملة الصدقات أو من سهم الغارمين أو من الفيء الراجع على المسلمين قال صلى الله عليه وسلم : (من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله ومن ترك مالاً فلورثته) انتهى . وذكر هذا أيضاً في التذكرة ثم قال : فإن لم يؤد عنه السلطان فإن الله يقضي عنه ويرضي خصمه ، ثم ذكر الأدلة على ذلك ومن جملتها .

٤٣٥- قوله صلى الله عليه وسلم : (من أخذ أموال الناس يريد أدائها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله تعالى) . رواه البخاري . قال المؤلف عفا الله عنه : ومما يؤيد ما ذكره القرطبي : قصة عبد الله والد جابر فإنه خرج

يوم أحد وعليه دين فاستشهد ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله كلم أباه كفاحاً كما تقدم قريباً ولو كان محبوساً عن الجنة بسبب دينه لم تحصل له هذه الرتبة العظيمة ، والله أعلم .

ومنها : أن الشهادة الخالصة في سبيل الله توجب دخول الجنة قطعاً : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ .

٤٣٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (عُرِضَ عليَّ أول ثلاثة يدخلون الجنة : شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه) . رواه الترمذي وحسنه .

٤٣٦- وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة) قالوا : وكيف يا رسول الله ؟ قال : (يقتل هذا فيلج الجنة ، ثم يتوب الله على الآخر فيهديه للإسلام ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد) ، وفي رواية قال : (يقاتل هذا في سبيل الله فيستشهد ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل الله فيستشهد) . رواه البخاري ومسلم .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : في الجنة قصر يقال له عدن ، فيه خمسة آلاف باب ، على كل باب خمسة آلاف خيرة ، قال يعلى : أحسبه قال : لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد . خرجه ابن أبي شيبة موقوفاً ورجاله ثقات . الخيرة بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء : واحدة الخيرات وهن الحور الحسان الخيرات الأخلاق .

٤٣٧- وعن أنس رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب – فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء ، فقال : (يا أم حارثه إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى) رواه البخاري . قوله سهم غرب بالتنوين وبالإضافة أيضاً : وهو الذي لا يعرف راميه ، وهو بالغين المعجمة المفتوحة والراء الساكنة والباء الموحدة .

٤٣٨- وعنه أيضا أن رجلا أسود أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني رجل أسود منتن الرائحة قبيح الوجه ، لا مال لي ، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ قال : (في الجنة) فقاتل حتى قتل ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (قد بيض الله وجهك وطيب ريحك وأكثر مالك) وقال لهذا أو لغيره : (ولقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته) . رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، والبيهقي في الشعب وقال في آخره : فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال : (قد حسن الله وجهك وطيب ريحك وأكثر مالك) وقال : (لقد رأيت زوجتيه من الحور العين تتنازعان تدخلان فيما بينه وبين جلده وجبته) .

ومنها : أن الشهداء حين يقتلون يجعل الله أرواحهم في جوف طير خضر في الجنة :

٤٣٩- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقتلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾) رواه أبو داود والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . قوله : ينكلوا بفتح الكاف وضمها وكسرها أيضاً : معناه يجبنوا ويتأخروا عن الجهاد .

٤٤٠- وعن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقال : أما أنا فقد سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أرواحهم في جوف طير خضر في الجنة لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لم يُتركوا من أن يُسألوا ، قالوا : يا رب ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا) رواه مسلم وغيره .

قال المؤلف عفا الله عنه : الذي يظهر والله أعلم من الحكمة في جعل أرواحهم في هذه الطيور أنهم لما جادوا بأجسادهم الكثيفة لله تعالى وبذلوها في حبه ، وعرّضوها للآلام والمشاق الشديدة ، وسمحوا بها للفناء امتثالاً لأمر الله وطلباً لمرضاته ، عوّضهم عنها أجساداً لطيفة في دار النعيم الباقي يأكلون بها ويشربون ويسرحون في الجنة حيث يشاؤون ، ولما كان ألطف الحيوان أجساماً الطير ، وألطف الألوان الأخضر ، وألطف الجمادات الشفافة الزجاج ، فلذلك والله أعلم جعل أرواح الشهداء في ألطف الأجساد وهو الطير الملون بألطف الألوان وهو الخضرة يأوي إلى ألطف الجمادات وهي القناديل ، فإن كانت من زجاج الجنة فناهيك بصفاتها ونورها ، وإن كانت من ذهب فهو المفرح طبعاً وخاصية وناهيك بذهب الجنة ، وجعلها معلقة في ظل عرش الرحمن وما أدراك ما ظل عرش الرحمن ، اللهم لا تحرمنا ذلك فأنت أكرم الأكرمين ، وقد حكى القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه سراج المريدين إجماع الأمة على أنه لا يتعجل الأكل والنعيم إلا الشهيد في سبيل الله تعالى .

ومنها : أن الشهداء لا يفتنون في قبورهم ولا يصعقون عند نشورهم : وقد ثبت أن المرابط في سبيل الله لا يفتن في قبره فالشهيد أولى وأحرى :

٤٤١- وعن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة) رواه النسائي . وسيأتي في جملة من الأحاديث أن الشهيد يجار من عذاب القبر .

قال المؤلف عفا الله عنه : ومعنى قوله (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة) والله أعلم أن الفتنة في القبر بسؤال الملكين إنما هو لاختبار ما عند المؤمن من حقيقه الإيمان والتصديق ، ولا شك أن من وقف للقتال ورأى السيوف تلمع وتقطع ، والأسنة تبرق وتخرق ، والسهام ترشق وتمرق ، والرؤوس تندر والدماء تثعب والأعضاء تتطاير ، والناس بين قتيل وطريح وجريح فثبت على ذلك ولم يُوَلِّ الدبر ولم ينهزم وجاد بنفسه لله تعالى إيماناً به وتصديقاً بوعده ووعيده كما وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بقوله : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾ فيكفيه هذا امتحاناً لإيمانه واختباراً له وفتنة إذ لوكان عنده شك أو ارتياب لولى الدبر وذهل عما هو واجب عليه من الثبات ، وداخله الشك والارتياب كما قال تعالى : ﴿ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ فيكفى الشهيد هنا الامتحان من سؤال الفتان ، والله أعلم .

٤٤٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ قال : هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه ، فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب أعنتها السندس والإستبرق ونمارقها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة على خيول يقولون عند طول النزهة : انطلقوا بنا ننظر كيف يقضى بين خلقه ، يضحك الله إليهم ، وإذا ضحك الله إلى

عبد في موطن فلا حساب عليه . خرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة والحاكم مختصراً وقال : صحيح الإسناد .
ومنها : أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته :

٤٤٣- وعن نمران بن عتبة الذماري قال : دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام فقالت : أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته) رواه أبو داود وابن حبان .

٤٤٤- وخرج أحمد بإسناد حسن والطبراني وغيرهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن للشهيد عند الله سبع خصال : أن يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده في الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه) .

٤٤٥- وذكر القرطبي في تفسيره حديثا غريباً جداً قال : روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أكرم الله تعالى الشهداء بخمس كرامات لم يكرم بها أحدا من الأنبياء ولا أنا : إحداها : أن جميع الأنبياء قبض أرواحهم ملك الموت وهو الذي سيقبض روحي وأما الشهداء فالله الذي يقبض أرواحهم بقدرته كيف يشاء ولا يسلط على أرواحهم ملك الموت ، والثاني : أن جميع الأنبياء قد غسلوا بعد الموت وأنا أغسل بعد الموت والشهداء لا يغسلون ولا حاجة لهم إلى ماء الدنيا ، والثالث : أن جميع الأنبياء كفنوا وأنا أكفن والشهداء لا يكفنون بل يدفنون في ثيابهم ، والرابع : أن الأنبياء لما ماتوا سموا أمواتاً وإذا مت يقال : قد مات والشهداء لا يسمون أمواتاً ، والخامس : أن الأنبياء لهم الشفاعة يوم القيامة وشفاعتي أيضاً يوم القيامة وأما الشهداء فإنهم يشفعون كل يوم فيمن يشفعون) .

ومنها أن الشهيد يأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة :

٤٤٦- عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنان وسبعون من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه) رواه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . الدفعة بضم الدال المهملة وسكون الفاء وبالعين المهملة : هي الدفقة من الدم وغيره ، وقد وقع في نسخ الترمذي : للشهيد عند الله ست خصال ، وهي في متن الحديث سبع .

ومنها : أن الشهيد يغفر له بأول قطرة من دمه ذنوبه كلها ويرى مقعده من الجنة ، وتقدم في الحديث قبله أن الشهيد يغفر له في أول قطرة من دمه .

٤٤٧- عن سهل بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن أول ما يهراق من دم الشهيد تغفر له ذنوبه) . خرجه البيهقي في السنن .

٤٤٨- عن مجاهد قال : قام يزيد بن شجرة في أصحابه فقال : إنها قد أصبحت عليكم وأمسيت من بين أخضر وأحمر وأصفر وفي البيوت ما فيها ، فإذا لقيتم العدو غدا فقُدُماً قدماً فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما تقدم رجل من خطوة إلا تقدم إليه الحور العين ، فإن تأخر استترن منه ، وإن استشهد كان أول نضحة كفارة خطاياه ، وتنزل إليه اثنتان من الحور العين فتنفضان عنه التراب ويقولان له : مرحباً قد آن لك) . رواه ابن أبي شيبة عن محمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عنه مرفوعاً هكذا مصرحاً فيه بسماعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك رواه ابن الأثير في أسد الغابة بإسناده عن هناد ابن السري عن ابن فضيل به وعنه رواه ابن أبي شيبة أيضاً وعبد الرازق موقوفاً بأسانيد صحاح والطبراني كذلك ورواه البيهقي في كتاب البعث إلا أنه قال : (فأول قطرة تقطر من دم

أحدكم يحط به عن خطاياه كما يحط الغصن من ورق الشجر ، ويبتدره اثنتان من الحور العين تمسحان التراب عن وجهه وتقولان قد آن لك ويقول قد آن لكما ، فيكسى مائة حلة ولو وضعت بين إصبعي هاتين لوسعتهما ، ليست من نسج بني آدم ، ولكنها من ثياب الجنة ، مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم) الحديث . قوله قدماً قدماً هو بضم القاف والدال قاله الجوهري ومعناه : التحريض على القتال قال أهل اللغة : يقال : مضى قدماً إذا لم يعرج ولم ينثن ، وقوله آن بفتح الألف وتخفيف النون أي : حان ، يقال : آن الشيء إذا حان وقته .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : إذا قتل العبد في سبيل الله فأول قطرة تقع على الأرض من دمه يغفر له ذنوبه كلها ، ثم يرسل إليه بِرَيْطه من الجنة فيقبض فيها نفسه ، وبجسد من الجنة حتى تركب فيه روحه تعرج مع الملائكة كأنه كان معهم منذ خلقه الله تعالى ، حتى يؤتى به إلى السماء فلا يمر بباب إلا فتح له ولا على ملك إلا صلى عليه واستغفر له ، حتى يؤتى به الرحمن عز وجل فيسجُد قبلَ الملائكة ثم تسجد الملائكة بعده ، ثم يغفر له ويطهر ثم يمر به إلى الشهداء فيجدهم في رياض خضر وقباب من حرير وعندهم ثور وحوت يلعبان لهم كل يوم بشيء لم يلعباه بالأمس يظل الحوت في أنهار الجنة يسبح فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فذكّاه فأكلوا من لحمه فوجدوا في طعم لحمه رائحة كل شيء من أنهار الجنة ، ويبيت الثور نافشاً في الجنة يأكل من ثمر الجنة فاذا أصبح غدا عليه الحوت فذكاه بذنبه ، فأكلوا من لحمه فوجدوا في طعم لحمه كل ثمره في الجنة ، ينظرون إلى منازلهم يدعون الله بقيام الساعة . رواه الطبراني في الكبير من طريق هشام بن سعد وهو ضعيف . الريطة بفتح الراء وإسكان الياء المثناة تحت وبالطاء المهملة قيل : هي المنديل وقيل : كل ثوب رقيق لين فهو ريطه . وقوله نافشاً بالفاء والشين المعجمة : أي راعياً ، والنفش : هو الرعي بالليل .

ومنها : أن دم الشهيد لا يجف حتى يرى الحور العين : تقدم ذلك في حديث يزيد قبله :

٤٤٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ذكر الشهداء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجتان كأنهما ظئران أضلتا فصيلهما في براح من الأرض وفي يد كل واحدة منهما حلة خير من الدنيا وما عليها) رواه بن أبي شيبة وابن ماجه بإسناد حسن . الظئر بكسر الظاء المعجمة بعدها همزة ساكنة وراء : هي المرضع ، والفصيل : ولد الناقة قبل أن ينفصل عنها ، والبراح بفتح الباء الموحدة وبالحاء المهملة : هي الأرض المتسعة التي ليس فيها زرع ولا شجر ، ومعناه : أن زوجتي الشهيد من الحور العين تبتدرانه قبل أن يجف دمه كما تبتدر الناقة المرضع ولدها الضال إذا وجدته من شدة شوقها إليه في أرض متسعة ليس فيها شيء يحول بينه وبينها من بناء ولا غيره . وخرج عبد الرزاق بإسناد صحيح عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إذا التقا الصفّان أهبط الله الحور العين إلى السماء الدنيا فإذا رأين الرجل يَرضَين قُدمه قلن : اللهم ثبته ، وإن فر احتجبن منه ، فإن هو قتل نزلتا إليه فمسحتا التراب عن وجهه وقالتا : اللهم عفّر من عفّره وترّب من ترّبه . قوله : يرضين قُدْمه بضم القاف وسكون الدال : أي تقدمه إلى العدو وشجاعته .

ومنها : أن الشهيد في سبيل الله أفضل ممن انتصر ورجع سالماً .

٤٥٠- عن جابر رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ قال : (أن يعقر جوادك ويهراق دمك) . رواه ابن أبي شيبة وابن حبان .

٤٥١- عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ قال : (من أهريق دمه وعقر جواده) . خرجه ابن ماجه .

٤٥٢- عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله فأي الرقاب أفضل ؟ قال : (أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها) قلت : فأي الجهاد أفضل ؟ قال : (من عقر جواده وأهريق دمه) .

قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذه الأحاديث دليل واضح على بطلان قول من قال : إن الغالبَ أفضل من القتيل . وقد روى ابن المبارك عن جرير بن حازم قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : مر عمرو بن العاص فطاف بالبيت فرأى حلقة من قريش جلوس ، فلما رأوه قالوا : أهشام كان أفضل في أنفسكم أو عمرو بن العاص ؟ فلما فرغ من طوافه جاء فقام عليهم ، قال : إني قد علمت أنكم قد قلتم شيئاً حين رأيتموني ، فما قلتم ؟ قالوا : ذكرناك وهشاماً ، فقلنا : أيهما أفضل ؟ فقال : سأخبركم عن ذلك : إنا شهدنا اليرموك ، فبات وبت نسأل الله الشهادة ، فلما أصبحنا رزقها وحرمتها ، ففي ذلك تبين لكم فضله عليّ . وفي رواية فقال عمرو : سأخبركم عن ذلك : إنا أسلمنا فأحببنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وناصحناه ، فذكر يوم اليرموك ، فقال أخذتُ بعمود الفسطاط حتى اغتسلَ وتحنط وتكفن ، ثم أخذ بعمود حتى اغتسلتُ وتحنطت وتكفنت ، ثم اعترضنا على الله تبارك وتعالى فقَبِله ، هو خير مني هو خيرٌ مني هو خيرٌ مني . وهذا تصريح من عمرو رضي الله عنه بما تقدم من فضل الشهيد على من رجع سالماً ، والله أعلم .

ومنها : أن الشهيد لا يجد من ألم القتل في سبيل الله إلا كما يجد من ألم القرصة :

٤٥٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة) . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي في السنن ولفظه قال : (الشهيد لا يجد من ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة) .

٤٥٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا التقى الزحفان ونزل الصبر كان القتل أهون على الشهيد من الماء البارد في اليوم الصائف) . ذكره في شفاء الصدور قال : وفي حديث مرفوع قال : (عضة نملة أشد على الشهيد من مس السلاح ، بل هو أشهى إليه من شراب بارد في يوم صائف) .

٤٥٥- وخرج ابن عساكر بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن للموت فزعة هي أشد من ألف ألف ضربة بالسيف ومن كذا وكذا جبل يقع على رأس واحد ، وإنه أهون على الشهيد والمقتول ظلماً من قرص بعوضة ، وإن لله عز وجل ملكاً ينادي كل ليلة وقت السحر : معاشر أهل القبور من تغبطون ؟ - أظنه قال : فيقولون : الشهيد - وإن الشهيد لينظر إلى ربه عز وجل كل يوم مرتين لا يشتاق إلى الدنيا ولا يتأسف عليها) .

٤٥٦- خرج البزار والبيهقي في الشعب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشهداء ثلاثة) وذكر الحديث إلى أن قال : (والثالث : خرج بنفسه وماله محتسباً يريد أن يقتل ويقتل فإن مات أو قتل جاء يوم القيامة شاهراً سيفه وواضعه على عاتقه والناس جاثون على الركب يقول : ألا فافسحوا لنا فإنا قد بذلنا دمائنا وأموالنا لله عز وجل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده لو قال ذلك لإبراهيم خليل الرحمن أو لنبي من الأنبياء لزحل لهم عن الطريق لما يراه من واجب حقهم حتى يأتوا منابر من نور تحت العرش فيجلسون عليها وينظرون كيف يقضى بين الناس ، لا يجدون غم الموت ولا يغتمون في البرزخ ولا تفزعهم الصيحة ولا يهمهم الميزان ولا الحساب ولا الصراط) ... الحديث ويأتي بتمامه إن شاء الله تعالى .

حكاية :

رأيت في مجموع اللطائف المنسوب إلى والد الشيخ شهاب الدين السُّهرَوردي قال : كان بعضهم يقول : اللهم أحدعني - يريد حذني بغتة من غير أن أقاسي ألما - فخرج يوما للنزهة ونام في بستان فجاءه قوم من الكفار وحزوا رأسه فرآه

بعض معارفه في النوم وسأله عن حاله ؟ فقال : نمت في البستان ففتحت عيني فإذا أنا في الجنة . وقد روى هذه الحكاية ابن المبارك بنحوها أطول من هذه .

وتقدمت في هذا الباب حكاية الأسيرين اللذين عرض عليهما الطاغية الرجوع عن دينهما فلم يفعلا فألقاهما في قدر فيها زيت قد أغلي عليه ثلاثة أيام فحين سقط فيها ارتفعت عظامهما تلوح فرآهما أخوهما فسألهما عن حالهما ؟ فقالا : ما كانت إلا الغَطسة التي رأيت حتى خرجنا إلى الفردوس .

ومنها : أن الملائكة يدخلون على الشهداء من كل باب ويسلمون عليهم :

٤٥٧- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أول ثلة يدخلون الجنة : الفقراء المهاجرون الذين تتقى بهم المكاره وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كان لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره ، وإن الله عز وجل ليدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول الله : أين عبادي الذين قاتلوا وقتلوا وأوذوا وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة بغير حساب ، وتأتي الملائكة فيسجدون ، فيقولون : ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل : هؤلاء عبادي الذين قاتلوا وأوذوا في سبيلي ، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) . رواه أحمد والبزار وابن حبان والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وروى ابن المبارك عن الأوزاعي عن المطلب بن حنطب قال : إن للشهيد غرفة كما بين صنعاء والجابية ، أعلاها الدر والياقوت وجوفها المسك والكافور ، قال : فيدخل عليه الملائكة بهدية من ربه تعالى فما تخرج حتى تدخل عليه ملائكة آخرون من باب آخر بهدية من عند ربه تعالى .

ومنها : أن الشهيد في سبيل الله تعالى يرضى الله عنه رضاً لا سخط بعده :

٤٥٨- عن أنس رضي الله عنه قال : جاء أناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ابعث معنا رجالا يعلموننا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم : القراء ، منهم خالي حرام يقرؤون القرآن ويتدارسونه بالليل ويتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونها في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفَّة وللفقراء ، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم فتعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان ، قالوا : اللهم أبلغ عنا نبينا أنا لقيناك ورضينا عنك ورضيت عنا ، قال : وأتى رجل حراماً خال أنس فطعنه برمح حتى أنفذها فقال حرام : فزت ورب الكعبة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا : اللهم أبلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك ورضينا عنك ورضيت عنا) رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية للبخاري قال أنس : (أنزل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآنا قرأناه ثم نسخ بعد : بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه) .

ومنها : أن الشهادة لا يشترط فيها سبق أعمال الأبرار بل هي بسباق الإرادة الإلهية :

٤٥٩- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد فقال : يا رسول الله أقاتل أو أسلم ؟ قال : (أسلم ثم قاتل) فأسلم ثم قاتل فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عمل قليلا وأجر كثيرا) رواه البخاري .

عن القاسم بن عبد الرحمن قال : غزونا مع فضالة بن عبيد رضي الله عنه إلى البر أرض الروم ولم يغز فضالة في البر غيرها ، فبينما نحن نسير إذ تسرع فضالة وهو أمير الناس ، وكانت الولاة إذ ذاك يسمعون ممن استرعاهم الله عز وجل ، فقال له قائل : أيها الأمير إن الناس قد انقطعوا فقف حتى يلحقوك ، فوقف في مرج عليه تل فيه قلعة فيها حصن ، قال : فمنا الواقف ومنا النازل إذا نحن برجل أحمر ذي شوارب بين أظهرنا فأتينا به فضالة فقلنا له : إن هذا هبط من

الحصن بلا عهد ولا عقد ، فسأله ما شأنه ؟ فقال : إني أكلت البارحة لحم خنزير وشربت خمراً وأتيت أهلي ، فبينما أنا نائم أتاني رجلان فغسلا بطني وزوجاني امرأتين لا تغار إحداهما على الأخرى وقالا لي أسلِم : فإني لمسلم ، فما كانت كلمته أسرع من أن رمينا ، فأقبل يهوي حتى أصابه فوق عنقه من بين الناس ، فقال فضالة : الله أكبر عمل قليلا وأجر كثيرا ، صلوا على أخيكم ، فصلينا عليه ، ثم دفناه في موقفنا وسرنا . خرجه ابن المبارك .

٤٦٠- عن جابر رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر خرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها فجاؤوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ما شاء الله أن يكلمه فقال له الرجل : إني قد آمنت بك وبما جئت به فكيف بالغنم فإنها أمانة وهي للناس ، الشاة والشاتان ؟ قال أحصب وجوهها ترجع إلى أهلها ، فأخذ قبضة من حصباء أو تراب فرمى به وجوهها ، فخرجت تشتد حتى دخلت كل شاة إلى أهلها ، ثم تقدم إلى الصف فأصابه سهم فقتله ، ولم يصلِّ لله سجدة قط ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أدخلوه الخباء) فأدخل خباء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه ثم خرج فقال : (لقد حسن إسلام صاحبكم ، لقد دخلت عليه وإن عنده لزوجتين له من الحور العين) . خرجه البيهقي وصححه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

ومنها : أن الشهيد في سبيل الله لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة :

٤٦١- عن عتبة بن عبد الله السلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (القتلى ثلاثة : رجل مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد الْمُمتَحن في حب الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة ، ورجل فرِق على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل فتلك مُمَصْمصَة مَحَت ذنوبه وخطاياه وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو وقاتل في سبيل الله عز وجل حتى يقتل فذلك في النار وإن السيف لا يمحو النفاق) . رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له . وقوله الممتَحَن بفتح الحاء المهملة قال شَمِر : هو المصفى المهذب . والْمُمَصْمِصة بضم الميم الأولى وفتح الثانية وكسر الثالثة وبصادين مهملتين معناه : مطهرة غاسلة للذنوب . وقوله : فرق بكسر الراء : أي خاف وجزع .

٤٦٢- ومنها : ما خرج البراز والبيهقي في الشعب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشهداء ثلاثة : رجل خرج بنفسه وماله في سبيل الله لا يريد أن يُقتَل ولا يَقتُل ولا يقاتل يكثر سواد المسلمين فإن مات أو قُتل غُفرت له ذنوبه كلها وأجير من عذاب القبر ويؤمن من الفزع الأكبر ويزوج من الحور العين وحلت عليه حله الكرامة ويوضع على رأسه تاج الوقار والخلد ، والثاني : خرج بنفسه وماله محتسباً يريد أن يَقتُل ولا يُقتَل فإن مات أو قتل كانت ركبته مع إبراهيم خليل الرحمن بين يدي الله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والثالث : خرج بنفسه وماله محتسباً يريد أن يَقتُل ويُقتَل فإن مات أو قتل جاء يوم القيامة شاهراً سيفه واضعه على عاتقه والناس جاثون على الركب يقول : ألا افسحوا لنا فإنا قد بذلنا دماءنا وأموالنا لله عز وجل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لو قال ذلك لإبراهيم خليل الرحمن أو لنبي من الأنبياء لزحل لهم عن الطريق لما يرى من واجب حقهم حتى يأتوا منابر من نور تحت العرش فيجلسون عليها ينظرون كيف يقضِي بين الناس لا يجدون غم الموت ولا يغتمون في البرزخ ولا تفزعهم الصيحة ولا يهمهم الحساب ولا الميزان ولا الصراط ، ينظرون كيف يقضِي

بين الناس ، ولا يسألون شيئاً إلا أعطوا ، ولا يشفعون في شيء إلا شُفعوا فيه ويعطون من الجنة ما أحبوا ويتبوؤوا من الجنة حيث أحبوا) . قوله : زَحَلَ هو بالزاي والحاء المهملة محركاً : أي تنحى وزال عن مكانه .

٤٦٣- ومنها ما رواه الترمذي وحسنه والبيهقي وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك الذي يرفع الناس إليهم أعينهم يوم القيامة هكذا) ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته ، فلا أدري قلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (ورجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجُبْن أتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ، ورجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قُتل فذاك في الدرجة الثالثة ، ورجل مؤمن أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى هلك فذاك في الدرجة الرابعة). القَلَنْسُوة بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين المهملة : هو ما يلبس على الرأس . الطَلْح بفتح الطاء المهملة وسكون اللام شجر له شوك . الجُبْن بضم الجيم وسكون الباء الموحدة : هو ضد الشجاعة . وقوله سهم غَرب : أي لا يعرف راميه ولا من أين جاء ، ويقال فيه : سهم غرب بتنوينهما ، وسهم غرب بالإضافة والغين المعجمة فيهما مفتوحة والراء ساكنة وقد تفتح الراء ، ففيهما أربعة أوجه .

ومنها أن الشهيد يزوجه الله الحور العين ، وقد تقدم ذلك في غير ما حديث :

٤٦٤- عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن أول قطره تقطر من دم الشهيد يكفر بها ذنوبه ، والثانية يكسى من حلل الإيمان ، والثالثة يزوج من الحور العين) خرجه البيهقي .

٤٦٥- وذكر صاحب شفاء الصدور عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يؤتى الشهيد بجسد من الجنة كأحسن جسد فيؤمر بروحه فيدخل فيه فهو ينظر إلى جسده وكيف يعبث به وما يصنع به ومن يتحزّن له ومن لا يتحزّن له ويتكلم فيرى أنهم يسمعونه وينظر إليهم فيرى أنهم ينظرون إليه ثم تأتي أزواجه من الحور العين فيذهبون به) قال المؤلف عفا الله عنه : وهذا الحديث خرجه ابن المبارك بنحوه من حديث حيان بن أبي حبلة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٤٦٦- وذكر في شفاء الصدور أيضاً حديثاً غريباً عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه علقمة اليهودي وهو شاب جميل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (يا علقمة لو كان مع جمالك إسلام لكان كمل لك أمرك ، ألا تتقين النار على حسن صورتك ؟) قال : فقال : يا رسول الله إن أسلمت فما لي ؟ قال : (أزوجك سبعين من الحور العين) قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ومعه علقمة فقاتل بين يديه حتى استُشهد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : (ابنيا لي خيمة من سعف ولا يدخل عليَّ أحد) فدخل النبي صلى الله عليه وسلم في الخيمة وعليه جبة له فسمع أبو بكر وعمر بجلبَة كجلبة الخيل ، فقام عمر وأخذ سيفه فقال له أبو بكر : كف يا عمر ، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل عليه أحد ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انقطعت أزرار جبته وقد شقوها من خلفه ، فقال : (هل سمعتم شيئاً ؟) فقال عمر : نعم يا رسول الله ، قد سمعنا جلبة كجلبة الخيل فأخذت سيفي ظننت أن العدو أتاك فحبسني أبو بكر ، فقال : (إن تلك الجلبة التي سمعتها الحور العين اقتتلن علي حتى أوفيته سبعين حوراء فهن شققن علي جبتي) .

حكايات :

روي عن ثابت البناني قال : كنت عند أنس بن مالك رضي الله عنه إذ قدم عليه ابن له يقال له أبو بكر من غزوته فسأله فقال : ألا أخبرك عن صاحبنا فلان ؟ بينما نحن قافلون في غزاتنا إذ ثار وهو يقول : يا أهلا يا أهلاه ، فثرنا إليه وظننا أن عارضاً عرض له ، فقلنا : مالك ؟ فقال : إني كنت أحدث نفسي أن لا أتزوج حتى أستشهد فيزوجني الله من الحور العين ، فلما طالت عليَّ الشهادة قلت في سفري هذا : إن رجعت تزوجت ، فأتاني آت في المنام ، فقال : أنت القائل إن رجعت تزوجت ؟ قلت : نعم ، فقال : قد زوجك الله العيناء ، فانطلق بي إلى روضة خضراء معشبة فيها عشرُ جوار بيد كل واحدة صنعة تصنع بها لم أر مثلهن في الحسن والجمال فقلت : فيكن العيناء ؟ فقلن : نحن من خدمها وهي أمامك ، فمضيت فإذا روضة أعشب من الأولى وأحسن فيها عشرون جارية ليس العشر إليهن بشيء في الحسن والجمال فقلت : فيكن العيناء ؟ قلن : نحن من خدمها وهي أمامك ، فمضيت حتى أتيت روضة وهي أعشب وأحسن من الأولى والثانية وفيها أربعون جارية ليس العشر والعشرون إليهن بشيء في الحسن والجمال قلت : فيكن العيناء ؟ قلن : نحن من خدمها وهي أمامك ، ومضيت فإذا أنا بياقوتة مجوفة فيها سرير عليه امرأة قد فضل جنباها السرير ، قلت : أنت العيناء ؟ قالت : نعم مرحباً ، فذهبت أضع يدي عليها قالت : مه إن فيك شيئاً من الروح بعد ، ولكن تفطر عندنا الليلة ، فانتبهت ، قال أبو بكر بن أنس : فما فرغ من حديثه لنا حتى نادى مناد القوم : يا خيل الله اركبي ، قال : فركبنا فصادفنا العدو ، قال : فإني أنظر إلى الرجل وأنظر إلى الشمس وأذكر حديثه فما أدري رأسه سقط أم الشمس سقطت ؟ ذكر هذه الحكاية الإمام فخر الدين بن هبة الله في كتاب تأويل آي الجهاد بغير إسناد وخرجها ابن عساكر مسنده .

حكاية أخرى :

قال صاحب شفاء الصدور : روى عبد الملك عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب قال : كنت في غزاة فاستيقظت ورجل يبكي أشد بكاء ويقول : يا أهلاه يا أهلاه ، فقمت إليه فقلت : يا عبد الله إنا نقفل غداً ، فاتق الله واصبر فقال : إني لست أبكي على أهلي الذين فارقت في الدنيا ، ولكني أُتيت آنفاً في المنام فقيل لي : انطلق إلى زوجتك العيناء ، فانطلق بي ، فوقعت بأرض لم أر مثلها ، وإذا بجوار لم أر مثل حسنهن وجمالهن وثيابهن فسلمت عليهن فرددن السلام فقلت : أفيكن العيناء ؟ فقلن : لا ، ونحن من خدمها وهي أمامك ، فمضيت فرفعت لي أرض أحسن من الأولى ، وإذا بجوار أحسن من الأولين فسلمت فرددن السلام فقلت : أفيكن العيناء ؟ فقلن : لا ، ونحن من خدمها وهي في تلك الدرة ، فأتيتها فإذا بامرأة جالسة على سرير من ياقوتة حمراء فضول عجيزها خارجة من السرير ، فسلمت فردت السلام وجلست إليها فحدثتني وحدثتها ، ثم ذهبت لأنهض فأخرجت معصماً لها كما شاء الله وقالت : ما أنت بالذي تفارقنا حتى تعاهدنا الله لتبيتن عندنا الليلة القابلة فعاهدتها على ذلك ، ثم انتبهت ، فعليها أبكي ، ثم أخذ في بكائه ونودي في الخيل ففزع الناس إلى خيلهم وسلاحهم فكان الرجل أول قتيل ، قال شهر بن حوشب : أشهد أنه بات عند العيناء .

وذكر صاحب كتاب الوعظ والرقائق عن عبد الواحد بن زيد قال : بينما نحن ذات يوم في مجلسنا هذا قد تهيأنا للخروج إلى الغزو وقد أمرت أصحابي أن يتهيؤوا لقراءة آيتين فقرأ رجل : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ ... الآية فقال غلام – في مقدار خمس عشر سنة أو نحو ذلك وقد مات أبوه وورثه مالاً كثيراً – يا عبد الواحد : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ ... الآية فقلت : نعم حبيبي ، فقال : إني أشهدك بأني قد بعت نفسي ومالي بأن

لي الجنة ، فقلت له : إن جرح السيف شديد وأنت صبي ، وإني أخاف أن لا تصبر وتعجز عن ذلك ، فقال : يا عبد الواحد أبايع الله بالجنة وأعجز ؟ أنا أشهد الله أني قد بايعته ، قال عبد الواحد : فتقاصرت إلينا أنفسنا ، وقلنا : صبي يعقل ونحن لا نعقل ، وخرج من ماله كله ، وتصدق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته ، فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا فقال : السلام عليك يا عبد الواحد ، فقلت : وعليك السلام ربح البيع ، ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا إذا نمنا حتى إذا انتهينا إلى بلاد الروم فبينما نحن كذلك إذا به قد أقبل وهو ينادي : واشواقاه إلى العيناء المرضية ، فقال أصحابي : لعله وسوس هذا الغلام واختلط عقله ، فقلت : حبيبي وما هي العيناء المرضية ؟ فقال : إني قد غفوت غفوة فرأيت كانه أتاني آت فقال لي : اذهب إلى العيناء المرضية فهجم بي على روضة فيها نهر من ماء غير آسن وإذا على شط النهر جوار عليهن من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه فلما رأينني استبشرن بي وقلن : هذا زوج العيناء المرضية ، فقلت : السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية ؟ قلن : لا نحن خدمها وإماؤها امض أمامك ، فمضيت أمامي فإذا أنا بنهر من لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة فيها جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن فلما رأينني استبشرن بي وقلن : والله هذا زوج العيناء المرضية ، فقلت : السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية ؟ فقلن : وعليك السلام يا ولي الله ، نحن خدمها وإماؤها فتقدم أمامك ، فتقدمت فإذا أنا بنهر من خمر وعلى شطه جوار أنسينني ما خلفت ، فقلت : السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية ؟ قلن : لا نحن خدمها وإماؤها امض أمامك ، فمضيت فإذا أنا بنهر من عسل مصفى وجوار عليهن من النور والجمال ما أنساني ما خلفت فقلت : السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية ؟ قلن : يا ولي الله نحن خدمها وإماؤها امض أمامك ، فمضيت أمامي فوصلت إلى خيمة من درة بيضاء ، وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه ، فلما رأتني استبشرت ونادت من في الخيمة : أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم ، قال : فدنوت من الخيمة فإذا هي قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ، فلما رأيتها افتتنت بها وهي تقول : مرحباً بك يا ولي الرحمن ، قد دنا لك القدوم علينا ، فذهبت لأعتنقها فقالت : مهلاً فإنه لم يأن لك أن تعانقني فإن فيك روح الحياة ، وأنت تفطر عندنا الليلة إن شاء الله ، فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لي عنها ، قال عبد الواحد : فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل عليهم الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر رحمه الله فمررت به وهو يتشحط في دمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا .

قال المؤلف عفا الله عنه : قد جاء في كل حكاية من هذه الحكايات ذكر العيناء وهي : الواحدة من الحور العين نساء أهل الجنة ، والحوراء هي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها ، والعيناء العظيمة العينين ، وقد جاء في وصفهن من القرآن والسنة ما يبهر العقول :

٤٦٧- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث : (ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) رواه البخاري ومسلم .

٤٦٨- وقال صلى الله عليه وسلم : (إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة ، حتى يرى مخّها وذلك أن الله عز وجل يقول : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾) رواه الترمذي وابن حبان .

٤٦٩- وروى البزار والطبراني عن سعيد بن عامر بن حذيم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت لملأت الأرض ريح مسك ولأذهبت ضوء الشمس والقمر) .

٤٧٠- وروى أحمد وابن حبان عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ قال : (ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ، وإنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك) .

وروى ابن أبي الدنيا عن كعب قال : لو أن يداً من الحور العين بدا من السماء بياضها وخواتيمها دليت لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، ثم قال : إنما قلت يدها فكيف بالوجه بياضه وحسنه وجماله وتاجه وياقوته ولؤلؤه وزبرجده ، وروى أيضا عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل ، قال المؤلف عفا الله عنه : والأحاديث في وصف الجنة ونسائها ونعيمها لا ينحصر ، وقد ذكرت في الأصل منها جملة كافية ، والله أعلم .

ولنختم هذا الباب بما رواه أبو الحسن علي بن الخضر السلمي في كتاب الجهاد له بإسناده عن رافع بن عبد الله قال : قال لي هشام بن يحيى الكناني : لأحدثنك حديثاً رأيته بعيني وشهدته بنفسي ونفعني الله عز وجل به فعسى الله أن ينفعك به كما نفعني ، قلت : حدثني يا أبا الوليد ، قال : غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثلاثين وعلينا مسلمة بن عبد الملك وعبد الله بن الوليد بن عبد الملك وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة في موضع واحد وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات وكان معنا رجل يقال له : سعيد بن الحارث ذو حظ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل فكنا نحرص أن نخفف من نوبته ونتولى ذلك فيأبى إلا أن يكون في جميع الأمور من حيث لا يخلي شيئاً من عبادته وقال : ما رأيته في ليل ولا نهار قط إلا في حال اجتهاد فإن لم يكن وقت أو كنا نسير لم يفتر من ذكر الله ودراسة القرآن ، قال هشام : فأدركتني وإياه النوبة ذات ليلة في الحراسة ونحن محاصرون حصناً من حصون الروم قد استصعب علينا أمره ، قال : فرأيت من سعيد بن الحارث في تلك الليلة من شدة الصبر على العبادة ما احتقرت معه نفسي وعجبت من قوة جسمه على ذلك ، وعلمت أن الله عز وجل يهب الفضل لمن يشاء ، وأصبح كالاً نصباً لما كان منه في ليلته ، فقلت له : رحمك الله إن لنفسك عليك حقاً وإن لعينيك عليك حقاً وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اكلفوا من العمل ما تطيقون) وذكرت له شبه هذا من الأحاديث فقال لي يا أخي : إنما هي أنفاس تُعد وعمر يفنى وأيام تنقضي وأنا رجل ارتقب الموت وأبادر خروج نفسي ، فأبكاني جوابه ودعوت الله عز وجل له بالتثبيت ثم قلت له : نم قليلاً تستريح فإنك لا تدري ما يحدث من أمر العدو فإن حدث شيء كنت نشيطاً ، قال : فنام إلى جانب الخباء ، وتفرق أصحابنا فمنهم من هو في القتال ، ومنهم من هو في غير ذلك ، وأقمت في موضعي أتفقد رحالاتهم وأصلح لهم طعاماً ينصرفون إليه ، فإني كذلك إذ سمعت كلاماً في الخباء فأنكرته إذ ليس فيه غير سعيد بن الحارث نائماً وظننت أن أحداً دخله من حيث لم أره فبادرت فدخلت فإذا ليس فيه أحد غيره وهو نائم بحاله إلا أنه يتكلم في نومه ويضحك فأصغيت إليه فكأنما يخاطب إنساناً فحفظت من قوله : ما أحب أن أرجع ، ثم مد يده كأنه يلتمس شيئاً ثم ردها رداً رفيقاً وهو يضحك ، ثم قال : فالليلة ، ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرعد فأتيته فاحتضنته إلى صدري مليًّا وهو يلتفت يميناً وشمالاً حتى سكن وعاد إليه فهمه وجعل يهلل ويكبر ويحمد الله فقلت له : يا أخي ما شانك ؟ فقال : خيراً يا أبا الوليد ، قلت : إني قد رأيت منك أشياء وسمعت منك كلاماً في نومك فحدثني بما رأيت فقال : أو تعفيني من ذلك يا أبا الوليد ، فذكّرته حق الصحبة وقلت : حدثني رحمك الله فعسى الله أن يجعل لي في ذلك عظة وخيراً ، فقال : إني لما نمت رأيت في وقتي هذا كأن القيامة قد قامت وخرج العباد من قبورهم فوقفوا في موقفهم وشخصوا بأبصارهم ينتظرون أمر ربهم فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجلان لم أر مثل صورتهما كمالاً وحسناً فسلما عليّ فرددت عليهما السلام فقالا : يا سعيد أبشر فقد غُفر ذنبك وشُكر سعيك وقُبل

عملك واستجيب دعاؤك وعُجّلت لك البشرى في حياتك ، فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم . قال : فانطلقت معهما حتى أخرجاني عن جملة أهل الموقف ، فإذا نحن ذات اليمين بخيل لا تشبه خيلنا هذه ، إنما هي كالبرق الخاطف فركبناها فسارت بنا كهبوب الرياح حتى انتهينا إلى قصر عظيم لا يقع الطرف على أوله ولا على آخره ولا على ارتفاعه ثم هو مع ذلك كأنه صيغ من فضة صافية فهو نور يتلألأ فلما وردنا بابه انفتح لنا من غير أن نستفتح فدخلنا إلى ما لا يبلغه وصف واصف ولا يخطر على قلب بشر وإذا في القصر من الوصفاء والوصائف كعدد النجوم كأنهم كما قال الله تعالى : ﴿ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ فحين رأونا أخذوا في ألوان من القول الحسن بنغم مختلفة وكلهم يخلطون بكلامهم : هذا ولي الله ، وقد جاء ولي الله ، ومرحباً بولي الله ، فسرنا كذلك حتى انتهينا إلى مجالس ذات أسرة من ذهب ، مكللة بالجواهر محفوفة بكراسي من ذهب وإذا على كل سرير منها جارية ولا يستطيع أحد من خلق الله عز وجل وصفها ، وفي وسطهن واحدة عالية عليهن في طولها وتمامها وجمالها وكمالها ، فقال الرجلان : هذا منزلك وهذا أهلك وههنا مقيلك ومآلك عند ربك من الرضوان الأكبر ، وانصرفا عني ووثب الجواري نحوي بالترحيب والتعظيم والاستبشار ، كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهم ، وحملوني حتى أجلسوني على السرير الأوسط إلى جانب تلك الجارية ، وقلن لي : هذه زوجتك ولك مثلها معها وقد طال انتظارنا إياك فكلمتني وكلمتها فقلت لها : أين أنا ؟ فقالت : أنت في جنة المأوى ، فقلت : من أنت ؟ قالت : أنا زوجتك الخالدة ، فقلت : وأين الأخرى ؟ قالت : في قصرك الآخر ، فقلت : إني أقيم عندك اليوم ثم أتحول إلى تلك غدا ، ومددت يدي إليها فردتها رداً رفيقاً ، وقالت : أما اليوم فلا ، أراك راجعاً إلى الدنيا ، فقلت : ما أحب أن أرجع ، فقالت : لا بد من ذلك ، وستقيم ثلاثاً ثم تفطر عندنا من الليلة الثالثة إن شاء الله ، فقلت : فالليلة الليلة ، فقالت : إنه كان أمراً مقضياً ، ثم نهضت عن مجلسها فوثبتُ لقيامها فإذا أنا قد استيقظت ، قال هشام : فقلت له يا أخي أحدِث لله شكراً فقد كشف لك عن ثواب عملك ، فقال لي : يا أبا الوليد هل رأى أحد غيرك ما رأيت ؟ فقلت : لا ، قال : فأسألك بالله عز وجل إلا سترت علي ما دمت حياً ، فقلت : نعم ، فقال : ما فعل أصحابنا ؟ فقلت : بعضهم في القتال وبعضهم في الحوائج ، فقام فتطهر واغتسل ومس طيباً وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال ، وهو صائم ، فلم يزل يقاتل حتى الليل ، وانصرف أصحابه وهو فيهم فقالوا : يا أبا الوليد لقد صنع هذا الرجل شيئاً ما رأيناه صنع مثل هذا قط ، ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه ، فقلت في نفسي : لو تعلمون شأنه لتنافستم في مثل صنيعه ، قال : فأفطر على شيء من الطعام ، وبات ليلته قائماً وأصبح صائماً فصنع كصنيعه بالأمس ، فانصرف من آخر النهار فذكر عنه أصحابه مثل ذلك ، حتى كان اليوم الثالث وقد مضت ليلتان ، قال هشام : فانطلقت معه وقلت : لا بد أن أشهد أمره وما يكون منه ، فلم يزل يلقي نفسه تحت مكايد العدو نهاره كله ولا يصل إليه شيء ، وهو يؤثر فيهم الآثار وأنا أرعاه بطرفي من بعيد لا أستطيع الدنو منه ، حتى إذا تدلت الشمس للغروب ، وهو أنشط ما كان فإذا رجل من فوق حائط الحصن قد تعمده بسهم فوقع في نحره فخر صريعاً وأنا أنظر إليه فصحت بالناس فابتدروه فجذبوه وبه رمق ، وجاءوا به يحملونه فلما رأيته ، قلت له : هنيئاً لك ما تفطر عليه الليلة ، يا ليتني كنت معك ، قال فعض شفته السفلى وأومأ إليّ بطرفه وهو يضحك ، يذكّرني ما كان سألني بالكتمان عليه ، ثم قال : الحمد لله الذي صدقنا وعده ، فوالله ما تكلم بشيء غيرها ، ثم قضى رحمة الله عليه ، قال هشام : فقلت بأعلى صوتي يا عباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون ، اسمعوا ما أخبركم به عن أخيكم هذا ، فأقبل الناس إلي فحدثتهم بالحديث على وجهه ، فما رأيت قط أكثر من تلك الساعة باكياً ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر ، وجعل الناس يخبر بعضهم بعضاً حتى ذاع الحديث في جميعهم فأقبلوا للصلاة عليه وبلغ مسلمة بن عبد الملك وأقبل وقد وضعناه لنصلي عليه فلما حضر قلنا : إن رأى الأمير

– أصلحه الله – أن يصلي عليه ، فقال : بل يصلي عليه صاحبه الذي عرف من أمره ما عرف ، قال هشام : فصليت عليه ودفناه في موضعه وعمّينا أثر القبر ، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرّض بعضهم بعضاً ، ثم أصبحوا فنهضوا إلى الحصن بنيّات مجددة وقلوب مشتاقة إلى لقاء الله تعالى ، فما أضحى النهار حتى فتح الله الحصن ببركته رحمه الله [1] .

الباب السابع والعشرون

في بيان تحريم الغلول وتغليظ الإثم فيه

والدليل على أن من غل في سبيل الله ثم قتل لا يكون شهيداً

واعلم أن الغلول عبارة عما يأخذه أمير الجيش أو أحد الغزاة من المغنم مما يجب قسمته بين العسكر ولا يأتي به إلى متولي القسم ليقسمه بين مستحقيه سواء كان قليلاً أو كثيراً وهو أحد عظائم الذنوب وكبائر المعاصي وموبقات الإثم .

٤٧١– وقد قال صلى الله عليه وسلم : (من مات وهو بريء من ثلاث : الكبر ، والغلول ، والدَّيْن دخل الجنة) .

وأما ما ورد فيه من الوعيد الشديد والنهي الأكيد فكثير جداً وها أنا أذكر بعض ما ورد ، والله المستعان :

اعلم أن من غل شيئاً في سبيل الله تعالى مما يلبس فإنه يلبسه في النار وهو يلتهب عليه :

٤٧٢– لما في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني عمر رضي الله عنه قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلا ، إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة غلها) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا ابن الخطاب ، اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) .

قال المؤلف عفا الله عنه : وفي هذا اشارة إلى أن الغالّ ليس بمؤمن ويؤيده :

٤٧٣– ما خرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يغل مؤمن) .

٤٧٤– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً فاغتنمنا المتاع والطعام والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي – يعني وادي القرى – ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جُذَام يدعى رِفَاعَة بن يزيد فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا : هنيئاً له الشهادة يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلا ، والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم) قال : ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال : أصبته يوم خيبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (شراك من نار أو شراكان من نار) رواه البخاري ومسلم . والشملة : كساء صغير يتوشح به ، والحتف بفتح الحاء المهملة واسكان التاء المثناة فوق : هو الموت .

٤٧٥– وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له : كِرْكِرَة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هو في النار) فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها . رواه البخاري .

---

[1] تنبيه : قال سيدنا النووي في المنهاج : ولا يغسل الشهيد ولا يصلى عليه وهو من مات في قتال الكفار بسببه فإن مات بعد انقضائه أو في قتال البغاة فغير شهيد في الأظهر وكذا في القتال لا بسببه على المذهب . ا.هـ. وقال المرغيناني الحنفي في الهداية : الشهيد من قتله المشركون أو وجد في المعركة وبه أثر أو قتله المسلمون ظلما ... فكل من قتل بالحديدة ظلما وهو طاهر بالغ ولم يجب به عوض مالي فهو في معناهم فيلحق بهم والمراد بالأثر الجراحة لأنها دلالة القتل وكذا خروج الدم من موضع غير معتاد كالعين ونحوه ا.هـ.

٤٧٦- عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرى وجاءه رجل فقال : استشهد مولاك أو قال غلامك فلان قال : (بل يجر إلى النار في عباءة غلها) رواه أحمد بإسناد صحيح .
٤٧٧- وروى أبو داود في مراسيله عن أبي حازم قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بنطع من الغنيمة فقيل : يا رسول الله هذا لك تستظل به من الشمس قال : (أتحبون أن يستظل نبيكم بظل من نار) .
٤٧٨- وروى فيها أيضاً عن يزيد بن معاوية أنه كتب إلى أهل البصرة : سلام عليكم ، أما بعد ، فإن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم زماماً من شعر من مغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سألتني زماماً من نار لم يكن لك أن تسألنيه ولم يكن لي أن أعطيه) .
وأما من غل شيئاً مما لا يلبس فإنه يأتي يوم القيامة يحمله على عنقه قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ :
٤٧٩- وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال : (لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء فيقول : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أغثني فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك) .
قوله لا ألفين بفتح الفاء والياء : أي لا أجدن ، الرغاء بضم الراء وبالغين المعجمة ممدوداً وهو صوت الإبل وذوات الخف ، كما أن الحمحمة بالحائين المهملتين المفتوحتين هو صوت الفرس ، والثغاء بضم الثاء المثلثة وبالعين المعجمة ممدوداً هو صوت الغنم ، الرقاع بكسر الراء هو جمع رقعة وهو ما يكتب فيه الحقوق ، ومعنى تخفق أي يتحرك ويضطرب ، والذي يظهر في خفق الرقاع وصياح الإبل والغنم والخيل : أن كل من غل شيئاً في سبيل الله فإنه يأتي يوم القيامة وهو على عنقه يصوت بلغته ويصيح على رأسه ليروعه بصياحه وليفتضح بذلك على رؤوس الأشهاد ويحصل له الخزي بإظهار خيانته بين كافة العباد مع ما هو فيه من مشقة حمله في كرب المحشر وشدة الزحام وإلجام العرق وعظيم الأهوال وغير ذلك ، والله أعلم .
وخرج ابن عساكر بإسناده عن عطية بن قيس أن رجلاً نفقت دابته يعني ماتت فأتى مالك بن عبد الله الخثعمي وبين يديه برذون من المغنم فقال : احملني أيها الأمير على هذا البرذون ، فقال : ما أستطيع حمله فقال الرجل : إني لم أسألك حمله وإنما سألتك لتحملني عليه ، قال مالك : إنه من المغنم والله تعالى يقول : ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فما أطيق حملها ولكن سل جميع الجيش حظوظهم فإن أعطوكها فحظي لك معها .
قال المؤلف عفا الله عنه : مالك بن عبد الله هذا صحابي مشهور يعرف بمالك السرايا لأنه كان كثير الغزو وقائد سرايا الصوائف في سبيل الله تعالى أربعين سنة رضي الله عنه .
٤٨٠- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصاب غنيمة أمر بلالاً فنادى في الناس فيجيئون بغنائمهم فيجمعه ويقسمه فجاء رجل يوماً بعد النداء بزمام من شعر فقال : يا

رسول الله هذا كان فيما أصبناه من الغنائم فقال : (أسمعت بلالاً ينادي ثلاثاً ؟) قال : نعم قال : (فما منعك ألا تجيء به ؟) فاعتذر إليه قال : (كن أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله عنك) رواه أبو داود وابن حبان .
وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي على من غلَّ في سبيل الله ولو كان غلوله شيئاً يسيراً تعظيماً لجرمه وتغليظاً لإثمه وإشارة إلى أنه كما امتنع من الدعاء له والشفاعة فيه في الدنيا كذلك يمتنع فيه من الشفاعة في الآخرة كما تقدم أنه إذا جاء إليه حاملاً مكروباً يوم القيامة يقول : يا رسول الله أغثني فيجيبه : (لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك) .

٤٨١- عن زيد بن خالد رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي يوم خيبر فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : (صلوا على صاحبكم) فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال : (إن صاحبكم غلّ في سبيل الله) ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهودي لا يساوي درهمين . رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم ، وقد جاء أن من رأى غالاً أو علم به فستر عليه كان عليه مثل إثمه :

٤٨٢- عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه قال : أما بعد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من كتم غالاً فإنه مثله) رواه أبو داوود .

واعلم أن الغلول ذنب عظيم عند الله تعالى سواء كان قليلاً أو كثيراً جليلاً أو حقيراً .

٤٨٣- لما روى أحمد والبزار وغيرهما عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الوبرة من فيء الله فيقول : (ما لي من هذا إلا مثل ما لأحدكم إلا الخمس وهو مردود فيكم ، فأدوا الخيط والمخيط فما فوقهما ، وإياكم والغلول فإنه عار ونار وشنار على صاحبه يوم القيامة) والشنار بفتح الشين المعجمة وبالنون قال صاحب العباب : هو العار والعيب .

٤٨٤- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه في قصة وفد هوازن قال : ثم دنا - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - من بعير فأخذ وبرة من سنامه ثم قال : (يا أيها الناس إنه ليس لي من هذا الفيء شيء ولا هذا - ورفع أصبعيه - إلا الخمس ، والخمس المردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط) فقام رجل في يده كبة من شعر فقال : أخذت هذه لأصلح برذعة لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لك) فقال : أما إذا بلغت ما أرى فلا أرب لي فيها ونبذها . رواه أبو داوود ، الخياط بكسر الخاء هو الخيط ، والمخيط بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء هو ما يخاط به كالإبرة ونحوها .

٤٨٥- وعن عبد الله بن شقيق عن رجل من بلقين قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرى وهو يعرض فرساً فقلت : يا رسول الله ما تقول في الغنيمة ؟ فقال : (لله خمسها وأربعة أخماسها للجيش) قلت : فما أحد أولى به من أحد ؟ قال : (لا ، ولا السهم تستخرجه من جنبك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم) . رواه البيهقي في السنن وقال الحافظ ابن الذهبي : إسناده قوي ، وقال ابن كثير في تفسيره : إسناده صحيح .

٤٨٦- وخرج ابن عساكر بإسناده عن زيد بن أسلم قال : دخل عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه على امرأته فاطمة بنت عقبة بن ربيعة وسيفه متلطخ بالدماء فقالت : إني عرفت أنك قد قاتلت فما أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونك هذه الإبرة فخيطي بها ثيابك ودفعها إليها فسمع مناد النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (من أصاب شيئاً فليؤده وإن كانت إبرة) فرجع عقيل إلى امرأته فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت منك ، فأخذ عقيل الإبرة فألقاها في الغنائم . واعلم أن من غل شيئاً في سبيل الله استوجب عقوبتين : عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة ، أما عقوبة الدنيا : فإن الغلول ما ظهر في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب وأخر عنهم النصر :

٤٨٧- وروى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ... الحديث وهو موقوف ، وقد روي مرفوعاً بنحوه من حديث ابن عمر وغيره .
٤٨٨- وخرج الطبراني بإسناد جيد عن حبيب بن مسلمة قال : سمعت أبا ذر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن لم تغل أمتي لم يقم لهم عدو أبداً) قال أبو ذر لحبيب بن مسلمة : هل يثبت لكم العدو حلب شاة ؟ قال : نعم وثلاث شياه غزر ، قال أبو ذر رضي الله عنه : غللتم ورب الكعبة .
وخرج ابن عساكر عن سفيان بن عينية قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لمن ورد عليه : هل ثبت لكم العدو ؟ فإن قالوا : نعم ، قال : غللتم . ومن عقوبة الغال في الدنيا :
٤٨٩- ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا وجدتم الرجل قد غل فأحرقوا متاعه واضربوه) رواه أبو داوود . وقد اختلف العلماء في العمل به ولقد بسطت الكلام على ذلك في الأصل ، والله الموفق .
وأما عقوبة الآخرة فقد تقدم أن من غلّ يدخل النار ويلبس مثل ما غل من النار ، وأنه يأتي يوم القيامة يحمل ما غله على عنقه وهو يصيح عليه ويفضحه على رؤوس الأشهاد ، وأنه إذا جاء يوم القيامة يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة والإغاثة يجيبه : (لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك) وأنه يحرم الفوز بالشهادة لقوله صلى الله عليه وسلم حين قال الصحابة رضي الله عنهم لمن قتل في سبيل الله وقد غل : فلان شهيد ، قال : (كلا والله إنه في النار) فنفى أن يكون شهيداً وأكد ذلك بقسمه البار صلى الله عليه وسلم ولو كان شهيداً لم يدخل النار ، وقد صرح النووي رحمه الله في شرح مسلم في باب بيان الشهداء أن من غلّ في سبيل الله لا يكون شهيداً في الآخرة :
٤٩٠- وجاء في الحديث أيضاً : (أن من غل شيئاً في سبيل الله ألقي غلوله يوم القيامة في النار ثم يكلف أن يغوص خلفه في النار ليخرجه) .
٤٩١- فروى علي بن يزيد عن القاسم بن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يؤتى بصاحب الغلول يوم القيامة ، فيقال : أين ما غللت ؟ فيقول : تركته في الدنيا ، فيفتح له باب جهنم فينكس على رأسه أربعين عاماً قبل أن يبلغه ، فما ظنكم ؟ فمتى يخرج منه ؟) وخرجه ابن عساكر وغيره .
٤٩٢- عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الحجر ليزن سبع خلفات فيلقى في جهنم فيهوي فيها سبعين خريفاً ويؤتى بالغلول فيلقى معه ثم يكلف صاحبه أن يأتي به) قال : (فهو قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾) خرجه البيهقي في الشعب من طريق اسماعيل بن أبان الكوفي وهو متهم . الخلفات بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام جمع خلفة وهي الناقة الحامل .
٤٩٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وأما عذاب الذين يغلون فيؤتى بغلولهم يلقى في بحر جهنم ثم يقال لهم : غوصوا حتى تخرجوا غلولكم) قال : (وإن غلولهم ينتهي إلى قعره ولا يعلم قعره إلا الذي خلقه) قال : (فيغوصون ما شاء الله ثم يخرج رؤوسهم ليتنفسوا فيبتدر إلى كل إنسان منهم سبعون ألف ملك مع كل ملك منهم مقمع من حديد فيهوي به إلى رأسه فذلك عذابه أبداً) ذكره في شفاء الصدور .
قال المؤلف عفا الله عنه : هذا الذي ذكرنا هو من جملة أنواع ما يعاقب به الغالّ في الآخرة ، وناهيك ببعضه عذاباً ونكالاً ، وحسبك به في الآخرة خزياً ووبالاً ، ولسُخطُ الله أعظمُ وأعظم ، وقد روى مطرف عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ ﴾ قال : من لم يغل ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ ﴾ من غل .
اللهم إنا نعوذ بك من أسباب سخطك وموجبات عقابك .

مسائل مما ذكرناه في الأصل :

أجمع العلماء أن على الغالّ أن يرد ما غلّ إلى صاحب المقاسم إذا وجد السبيل إلى ذلك ولم يفترق الناس ، فإن افترقوا ولم يصل إليهم فقالت طائفة : يدفع إلى الإمام الخمس ويتصدق بالباقي هذا مذهب الحسن البصري والزهري ومالك والأوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد ، قال صاحب المغني : وهو مقتضى مذهب أحمد ، ولم ير الشافعي الصدقة به . وأجمعوا إلا من شذ منهم على أن للقوم إذا دخلوا دار الحرب أن يأكلوا طعام العدو وأن يعلفوا دوابهم .

فروع :

ما ليس بقوت ولكن يؤكل غالبا كالفواكه فيه وجهان للشافعية : الذي قطع به الجمهور منهم جواز التبسط فيه ، وأما الفانيد والسكر والأدوية التي تندر الحاجة إليها فالصحيح الذي قطع به الجمهور : أنها لا تباح ، ويجب رد جلد ما يذبحه إلى المغنم ، ويحرم عليه أن يأخذ من جلده سقاء أو شراكاً . وقال مالك في جلود البقر تكون في المغانم : لا بأس أن يتخذ منه نعالاً وأخفافاً إذا احتاج إليها ، وهذا قول ابن القاسم ، وروي عنه لا يجوز .

ولهذه المسائل فروع مبسوطة في الأصل اختصرناها هنا ، والله المستعان .

خاتمة الكتاب وتشتمل على فصول

فصل في فكاك الأسارى

وقد أوجبه مالك وأحمد بن حنبل وجماعة من العلماء قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ قال القرطبي في تفسيره : أوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده وإن كان في ذلك تلف النفوس وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال ، وإما بالأموال وذلك أوجب لأنها دون النفوس إذ هي أهون منها ، قال مالك : واجب على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم ، وهذا لا خلاف فيه لقوله صلى الله عليه وسلم : (فكوا العاني) فإن كان الأسير غنياً فهل يرجع عليه الفادي أم لا ؟ قولان للعلماء : أصحهما : الرجوع . انتهى . وخرج ابن عساكر بإسناده عن صفوان بن عمرو أن عمر بن عبد العزيز قال : إذا خرج الأسير المسلم يفادي نفسه فقد وجب فداؤه على المسلمين ليس لهم رده إلى المشركين ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ وقال القرطبي أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ : يريد إن طلب هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض العدو عونكم بنفير ومال لاستنقاذهم فأعينوهم ، فذلك فرض عليكم ولا تخذلوهم إلا إن استنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى يتم مدته قال ابن العربي : إلا أن يكونوا مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا يبقى منّا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لواحد منا درهم ، كذا قال مالك وجميع العلماء ، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد . انتهى .

٤٩٥- وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من فدى أسيراً من أيدي العدو فأنا ذلك الأسير) خرجه الطبراني في الصغير وقال : لم يروه عن زيد بن أسلم إلا هشام بن سعد ولا عنه إلا بكر بن صدقة الجدّي ، تفرد به أيوب بن سلمان يعني الأيلي ولا يروى إلا بهذا الإسناد .

وخرج ابن عساكر بإسناده عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لأن استنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي المشركين أحب إليّ من جزيرة العرب .

وخرج أيضا عن بكر بن خنيس أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى من المسلمين بالقسطنطينية : أما بعد ، فإنكم تعدون أنفسكم الأسارى ؟ معاذ الله ! بل أنتم الحبساء في سبيل الله ، واعلموا أني لست أقسم شيئاً بين رعيتي إلا خصصت أهلكم بأكثر من ذلك وأطيبه ، وإني قد بعثت إليكم فلان بن فلان بخمسة دنانير ، ولولا أني خشيت أن يحبسها عنكم طاغية الروم لزدتكم ، وقد بعثت لكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم ، وذكركم وأنثاكم ، وحركم ومملوككم بما يسأل به ، فأبشروا ثم أبشروا ، والسلام .

حكاية :

أسر رجل في زمن معاوية رضي الله عنه وأدخل القسطنطينية فتكلم بين يدي ملكهم بكلام فلطمه أحد البطارقة ، فقال الأسير وكان قرشياً : بيننا وبينك الله يا معاوية ، وليت أمورنا فضيعتها ، فبلغ معاوية كلامه فسير وافتداه ، فلما أتاه سأله عن اسم البطريق فأخبره ثم تفكر طويلاً ثم نفذ خلف قائد من قواد صور ذي خبرة ومعرفة ، وقال : أريد منك أن تتحيل في إحضار فلان البطريق من القسطنطينية ، فقال : أريد أن أنشئ مركباً بمجاذيف مخفية يَلحَق ولا يُلحَق ، فقال له : افعل ما بدا لك ، ومكنه من كل ما يحتاج إليه ، فلما كملت أوسقها من كل طرفة وتحفة وأعطاه أموالاً جزيلة وقال : اذهب إلى القسطنطينية كأنك تاجر فبع واشتري وأهد لوزير الملك وبطارقته وخاصته خلا ذلك البطريق فلا تقربه ولا تهاديه ، فإذا أعتبك على ذلك فقل له : ما عرفتك ولكن سأضاعف لك في عودتي فإنه لم يبق معي ما يصلح لمثلك ، ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فأخبره بما صنع ، فجهزه ثانية وأعطاه أضعاف أضعاف ذلك وقال : هذا أيضاً للملك ولسائر خواصه ولذلك البطريق ، فإذا عزمت على الحضور إلينا فقل لذلك البطريق : إني أحب أن أصادقك ويكون بيني وبينك معرفة ، فسلني حاجتك أحضرها لك على حسب ما تقترحه ويكون عوضاً عما قصرته في حقك فقال : أريد بساطاً من حرير يحوي جميع الألوان وصور سائر الأطيار والأشجار والأزهار والوحوش ، طوله كذا كذا وعرضه كذا كذا ، فلما رجع أخبر معاوية فجمع له سائر الصناع ، فأكمل في أحسن صورة يدهش الناظرين ، وجهز معه كل ما يحتاج إليه ، وقال له : إذا وصلت إلى البحر فانشر البساط على ظهر المركب فسيحمله الشره على أن ينزل إليك ، فإذا صار عندك فشاغله بالحديث واعرض عليه البساط وقدّم له غير ذلك من التحف ، وأمر صاحب المركب أن يقذفوا بالمجاذيف المخفية فإذا صرت في البحر فارفع الشراع وأوثقه ومن معه كتافاً وائتني بهم . وكان للبطريق بستان على فم البحر فلما بلغه وصول المركب أشرف لينظر إليها ، فلما رأى البساط كاد عقله يذهب ، فخرج مسرعاً للقائه ونزل إليه مسلِّماً فعرضه عليه مع غيره ، وأصحابه يقذفون ولا يعلم بذلك فما شعر إلا برفع الشراع – يعني القلع – فقال : ما هذا ؟ فقبض عليه وأوثقه بالحديد وسائر أصحابه ، وأتى به إلى معاوية رضي الله عنه فأحضر القرشي وقال : هذا خصمك ؟ قال : نعم ، فقال له : قم فالطمه كما لطمك ولا تزد ، ففعل ذلك ، ثم قال لصاحب المركب : خذه واذهب به إلى الموضع الذي أخذته منه وأعطه ذلك البساط وغيره ، وقال له : قل للملك تركت ملك المسلمين يقتص ممن هو على بساطك ومن خواصك وبطارقتك ؟ فلما أوصلوه إلى القسطنطينية ووجدوهم قد اتخذوا على فم البحر سلسلة ، فرموه هناك وأعطوه البساط ، فهاب ملكُ الروم معاويةَ وعظمه وهاداه . ذكر هذه الحكاية القرطبي في تاريخه .

وذكر صاحب كتاب الوحيد في سلوك أهل التوحيد : أن المعتصم أمير المؤمنين بلغه أن علجاً من علوج الإفرنج لطم امرأة أسيرة في عمورية فقالت : وا معتصماه ! فقال لها العلج : لا يجيء المعتصم إلا على فرس أبلق ، فسير المعتصم إلى سائر الجهات بطلب الخيل البلق وبذل فيها الأموال الجزيلة والخلع النفيسة حتى كمل له ثمانية عشر ألف فرس أبلق ، وقيل : ثمانون ألفاً ، وسار إليها بقوة العزم وصدق النية والغيرة على دين الله ، ففتحها الله على يديه ولم يكن فتحت

قبل ذلك ، وسبا وقتل وحرقها بالنار ، وأحرق جمعاً كثيراً وأحضر العلج والمرأة بين يديه وهو راكب على فرس أبلق ، وقال له : ها أنا قد جئتك على فرس أبلق ! .

فهكذا فليكن إعزاز الدين ، ومثل هذا ينبغي أن يكون أئمة المسلمين ، اللهم لا تحرمه أجر هذه الهمة ، وأثبه واعف عنه بكشف هذه الغمة ، يا أرحم الراحمين .

وقد ذكر القرطبي في تاريخه : أن عامل هشام بن عبد الملك بالمغرب غزا الروم ، فغنم ما لا يحصى ، وكان ما سيره لهشام عشرين ألف ألف عبد وثياباً كثيرة وطرائف وتحفا ، وغزا عامله بالسند ففتح مدناً كثيرة وسير لهشام خمس الغنيمة ثلاثمائة ألف وخمسين ألف رأس رقيق ومائتي ألف درهم ، وغزا آخر بلاد الحرير فوجد منهم عشرة آلاف فارس مع كل فارس أسير مسلم ، فقتلهم عن آخرهم وفتح عدة مدائن ، وغزا آخر ملك السرير فصالحه على ألف وخمسمائة غلام سود الشعور ، وكل ذلك في عام واحد .

وذكر الحافظ ابن الذهبي في سير النبلاء : أن موسى بن نصير بعث ابنه مروان على الجيش فأصاب من السبي مائة ألف ، وبعث ابن أخيه فسبا أيضاً من البربر مائة ألف ، والأخبار في مثل هذا كثيرة ، ومن نظر في مغازي المسلمين وفتوحاتهم رأى من ذلك ما يبهر العقول ، وما زال المسلمون يهتمون بفكاك إخوانهم الأسارى ويرغبون في خلاصهم في الدنيا للنجاة في الآخرة ، ويغزون الكفار فيأسرون ويجاهدونهم براً وبحراً فيغنمون إلى أن انعكس الحال ، وعاد الكفار يغزون المسلمين ويأسرونهم فلا يجدون لهم معينا ، ويجتمع في بلادهم من المسلمين المئين والألوف فلا يجدون مفتدياً ولا مغتدياً ملهوفا ، أيظن المسلمون أنهم عن ذلك لا يسئلون ؟ وأنهم بفكاك إخوانهم الأسارى لا يطلبون ؟ وبجهاد أعدائهم لا يكلفون ؟ كلا ، إنهم والله في ذلك عن الحق لناكبون ، وإنه لفرض عليهم ولكن لا يشعرون ، ولينـدمن على ذلك في القيامة المفرطون ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ .

فصل في مسائل لابد من معرفتها

مسألة :

يجوز تبييت الكفار وهو كبسهم ليلاً وإن كان فيهم نساء وأطفال ومسلمون وبهذا قال أحمد ولا نعلم أحداً كرهه .

مسألة :

إذا استنفَر الإمامُ في الجهاد الذي هو فرض كفاية رجلاً أو جماعة صار في حقهم فرض عين وهذا مذهب مالك أيضاً وأحمد .

مسألة :

يحرم قتل المرأة والصبي إن لم يقاتلا وهو مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة ، واختلفوا في الشيخ الفاني والضعيف والأعمى والمقعد والمقطوع اليد والرهابين على ما هو مذكور في الأصل .

مسألة :

لو تترسوا بأسرى المسلمين وأطفالهم ولم تدع ضرورة إلى رميهم تركناهم صيانة للمسلمين ، فإن دعت الضرورة إلى رميهم مثل أن يتترسوا بهم في حال التحام الحرب ولو كففنا عنهم ظفروا بنا أو كثرت نكايتهم أو تعذر أخذ قلعتهم جاز رميهم وبهذا قال أحمد ، وأجاز أبو حنيفة رميهم مطلقاً ، ويشترط توقي المسلم مهما أمكن عند الجميع .

فصل في السلب

وهو للقاتل بشروط : أحدها : أن يكون المقتول من المقاتلة لا صبياً ولا امرأة ولا شيخاً فانياً .

الثاني : أن يقتله أو يثخنه بجراح يجعله في حكم المقتول ، وكذا لو أسره في الأظهر خلافاً لأحمد .

الثالث : أن يكون في المقتول منعة فإن كان مثخناً بالجراح أو نائماً أو مشغولاً بأكل ونحوه لم يستحق سلبه وبهذا قال أحمد ، الرابع : أن يغرر بنفسه في قتله بأن يقتله مبارزة أو ينغمس في صفهم فيقتله ، فإن رماه من الصف أو من حصن فقتله لم يستحق سلبه وبه قال أحمد ، وذهب أبو ثور وابن المنذر إلى أن من قتل كافراً في الحرب مقبلاً أو مدبراً أو هارباً أو مريداً لأصحابه كيفما قتله استحق سلبه .

واختلفوا هل يشترط في استحقاق السلب قول الإمام : من قتل قتيلاً فله سلبه ، فذهب الشافعي وأحمد : إلى أنه لا يشترط ، وقال أبو حنيفة : يشترط ، ومذهب مالك : إن قال الإمام ذلك بعد القتال جاز وقبله لم يجز .

واختلفوا في اشتراط البينة على القتل فقال مالك : يعطى القاتل السلب بلا بينة ، وقال الشافعي وأحمد : لا تدفع إلا ببينة .

فصل

يبدأ من الغنيمة بإخراج مؤنة الحفظ والنقل وإخراج السلب أيضاً عند الشافعي وأحمد ، ثم يقسم الباقي خمسة أسهم بالقرعة ، يؤخذ منها سهم واحد ، فيقسم على خمسة أيضاً : سهم منها لمصالح المسلمين كالنفقة على الثغور وعمارة الحصون والقناطر والمساجد المحتاج إليها وأرزاق العلماء والقضاة والمؤذنون وإن لم يكونوا فقراء .

والسهم الثاني : لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وهم بنو هاشم وبنو المطلب لفقرائهم وأغنيائهم ونسائهم .

والسهم الثالث : لليتامى ويشترط فقرهم على المشهور . والسهمان الباقيان : للمساكين وابن السبيل ، هذا مذهب الشافعي ، وأما الأربعة الباقية فإنها تقسم على الغانمين : للفارس ثلاثة أسهم ، وللراجل سهم واحد ، وهذا بالإجماع خلافاً لأبي حنيفة ، فإنه يقسم للفارس سهمين وللراجل سهم . ولا يسهم لأكثر من فرس عند الشافعي ومالك وأبو حنيفة . وقال أحمد : يسهم لفرسين لا لأكثر .

واتفقوا على أن من حضر الوقعة بنية الجهاد وهو حر مسلم بالغ عاقل صحيح استحق السهم سواء قاتل أو لم يقاتل .

واختلفوا في الأسارى من الرجال الأحرار الكاملين فذهب مالك والشافعي وأحمد : إلى أن الإمام يفعل ما فيه الأحظ للمسلمين من ضرب أعناقهم أو المن عليهم بلا عوض أو المفاداة بأسرى المسلمين أو بمال أو يسترقهم .

وقال أبو حنيفة : ليس له أن يفادي بهم أسرى المسلمين ، ولا أن يمن عليهم فيطلقهم ، ولا أن يفديهم بمال في المشهور من مذهبه ، وأما نساء الكفار وصبيانهم فأنهم إذا أُسروا رقوا بنفس الأسر وحكمهم حكم مال الغنيمة .

فصل

واختلفوا في الصبي والمرأة يحضران الواقعة : فذهب الشافعي وأحمد وأبو حنيفة إلى أنه يرضخ لهما دون سهم البالغ ، ولم ير مالك لهما من الغنائم شيئاً ، وكذلك العبيد عنده خلافاً للثلاثة ، والرضخ في أظهر أقوال الشافعي من أربعة أخماس الغنيمة وهو مذهب أبي حنيفة ، والقول الثاني من أصلها وهما روايتان عن أحمد ، والثالث من خمس الخمس .

فصل

في النفل وهو زيادة يشرطها الإمام لمن ارتكب خطراً في سبيل الله تعالى .

ومذهب مالك أن محله الخمس لا يصرف إلا منه ، وقال الشافعي : مصرفه خمس الخمس المرصد للمصالح ، وقال أحمد : من أربعة أخماس الغنيمة ، وقال أبو حنيفة : إن كان قبل إحراز الغنيمة فهو من أربعة أخماسها ، وإن كان بعد إحرازها بدار المسلمين فليس للإمام أن ينفل إلا من الخمس .

فصل

يصح أمان المسلم المكلف المختار لحربي أو لعدد محصور ، وأما أمان أهل بلد فيختص بالإمام وبهذا قال أحمد ، وقال أبو حنيفة : يصح أمانه لأهل حصن أو مدينة . ويصح أمان العبد في الأشهر عن مالك وهو مذهب الشافعي وأحمد ، واشترط أبو حنيفة أن يكون العبد مأذونا له في القتال ، واتفقوا على صحة أمان المرأة .

مسألة :

وللإشارة إلى المشرك في الأمان أمان وهو قول مالك أيضاً .

قال المؤلف عفا الله عنه : ولهذه المسائل فروع مذكورة في الأصل وبهذا القدر كفاية إن شاء الله تعالى .

وقد اختصرنا عن الأصل باباً في مدح الشجاعة وذم الجبان وبيان حقيقتهما وكيفية علاجهما وذكر بعض شجعان السلف وأبطالهم ، وباباً آخر في الإشارة إلى مغازي النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه وذكر بعض غزوات المسلمين وفتوحاتهم بعده ، واختصرنا القسم الثاني من خاتمة الأصل وهو يشتمل على نبذ مختصرة من المكايد والآداب والحيل الحربية ، وهذا المختصر هو القدر الذي حسن في العقل إثباته ، وغلب على الظن أنه أهم ما يطلب ويرغب فيه ، والله المسؤول أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به إنه ذو الفضل العظيم .

فصل يختم به الكتاب

٤٩٦- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أتى إليكم بمعروف فكافئوه ، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والطبراني ولفظه : (من اصطنع إليكم معروفاً فجازوه ، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتموه فإن الله يحب الشاكرين) فمما على كل مسلم من الحقوق أن يرى ما هو فيه من النعم ويشكر لمن كان السبب فيها ويجتهد في الدعاء لمن بذل نفسه في سبيل الله تعالى حتى وصل هو مع ضَعفه إليها ، ويشهد وفور عجزه وقصور همته عن الاقتداء بهم ببذل ماله ومهجته ، ويعلم يقيناً أنه لولا من أقامهم الله من الصحابة والتابعين ومن اقتفى سننهم من الغزاة والمجاهدين – أنصار الدين وحماته وشجعان الإسلام وكماته رجال الطعن والضرب ، وفاتحي الشرق والغرب ، وما استنجدوه من جنودهم ، وحشدوه من حشودهم ، وما جمعوه من الجحافل الحافلة ، وأنفقوه من الحواصل المتواصلة ، وما دفعوه من القساور القاسرة ، وأوقعوه من العساكر الكاسرة ، إلى أن ردوا المرتدين عن ملة الاسلام إليها ، واستنزلوا ملوك الروم والفرس عن أسرتهم وعلوا عليها ، واستلبوا ثياب عزهم عن أجسامهم ، واجتذبوا تيجانهم عن هامهم ، واستعذبوا شرب دمائهم بشفاه شفارهم ، وألسنة أسنتهم وسهامهم ، ومزقوا منهم الجسوم والرسوم ، وألحقوا الموجود منهم بالمعدوم ، وأدخلوا جموع الباقين منهم ، وإن كانوا ألوف الألوف كثرة في باب القلة ، وأنزلوا شم الأنوف العالين منهم على رغم الأنوف الذلة ، وأقاموا على محصن حصونهم ومدنهم بالمجانيق حدود الرجم المشروع ، حتى صاروا حيالهم على التحقيق ما كان في حكم الممنوع – لَمَا كنا قاطنين في أطلال نعمهم بغمّهم فيها وهمّهم ، ولما عشنا آمنين في ظلال هممهم بجودهم بأنفسهم وكرمهم ، إلى أن جهلنا بمؤانسة العوائد ما اجتهدوا عليه ، وذهلنا عن مقايسة المعاند والخروج إليه ، واستغنينا بما أسدَوا إلينا عن شرب كؤوس الحتوف الاكتساب بالرماح والسيوف ، واستعنا بالرفاهية في ذلك والنعيم على منع ما أوجبه البيع القديم علينا من التسليم ، وقنعنا بما نحن فيه من الأنشاب والأسباب وغبطنا أنفسنا بالزائل من المنازل والأحباب وركنا إلى الدنيا

بركون الظمآن إلى شراب السراب ، وسكنا إلى دار الغرور سكون من ليس له عنها انقلاب ولا مآب ، وأعرضنا عن الجهاد إذ لا فقر ولا فرق يدعو إليه ، وأخلدنا من أوج الخلود إلى حضيض الكسل ، إذ لا أحد يذكر الغزو ولا يحرض عليه ، فأخلق الجديد أن مع الأمان ثوب الجهاد ، بعد أن كان جديداً بهياً ، وذوى بالهوى والهوان ثمنه بعد أن كان نضيداً زهياً ، وهوى نجمه من سما عزه بعد أن كان مشرقاً سنياً ، وانمحى اسمه ورسمه كأن لم يكن له من قبل سمياً ، فضعف الدين لذلك بعد أن كان أيداً قوياً ، ووهى ركن المسلمين بعد أن كان مؤيداً محمياً ، فصرنا نتخطف بأيدي العدو الغائر بحراً وبراً ، ونُلتقط كما يَلتقط الطائر الحب سراً وجهراً ، ونؤخذ جمعاً وفرادى من المواسط والسواحل ، فلا تتحرك القلوب لذلك ، كأنهم على الحق ونحن على الباطل ، فلا تنكر أيها الأخ ما بنا من فساد الأحوال ، وما إليه أمرنا من النقص آل بعد الكمال ، إذ تركنا من الدين شعيرته العظمى ، وأهملنا من أمور المشركين ما به كلفنا ، وأقبلنا على بناء المساكن والدور ، ورغبنا من دار الشرور في كل محظور ، فلا يمر بنا الجهاد أبداً على بال ، ولا نرى مندوحة عن الاجتهاد في طول الآمال وكنز الأموال ، والكتمان لما نحن فيه أولى من المقال ، ومن يهد الله فهو المهتد وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ .

اللهم ببابك أوقفنا ركائب الذل والانكسار ، وبجنابك أنخنا نجائب العجز والافتقار ، ولعطائك مددنا يد الفاقة والاضطرار ، وبفِنائك وقفنا وأنت عالم الأسرار ، رب فلا تجعل ما ألفته قرائحنا مردوداً إلينا بالطرد والإبعاد ، ولا ما سطرته أناملنا شهيداً علينا يوم يقوم الأشهاد ، وارزقنا شهادة ننال بها أعلى رتب الزلفى لديك ، وبيّض وجوهنا يوم تسوّد الوجوه وتبيض بين يديك ، فأنت ذو الطول العظيم ، والفضل العميم ، ولا حول ولا قوة إلا بك يا الله ، اللهم وصل أكمل صلاة وأفضلها وأشرفها قدراً على سيدنا محمد الذي أذهب ظلم الشرك باجتهاده ، وأرهب أمم الإفك بجهاده وجلاده ، وعلى آله الأعيان الأمجاد ، وصحبه الشجعان الأنجاد ، ما أومضت بوارق البوارق في ظلمات القساطل ، وركضت سوابق الفيالق في صدمات الجحافل ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً .

آخر المختصر والحمد لله العليم كثيرا